المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية اللغة العربية في الرياض
قسم الأدب

شعر علي دُمَّر

(ت : ١٤٠٥هـ)

موضوعاته وسماته الفنية

رسالة مقدمة لنيل درجة (الماجستير) في الأدب والنقد

إعداد الطالب

محمد بن علي بن فهد السليم

إشراف الأستاذ الدكتور

محمود بن إسماعيل عمار

الأستاذ في قسم الأدب بكلية اللغة العربية بالرياض

العام الجامعي : ١٤٣٤هـ / ١٤٣٥هـ

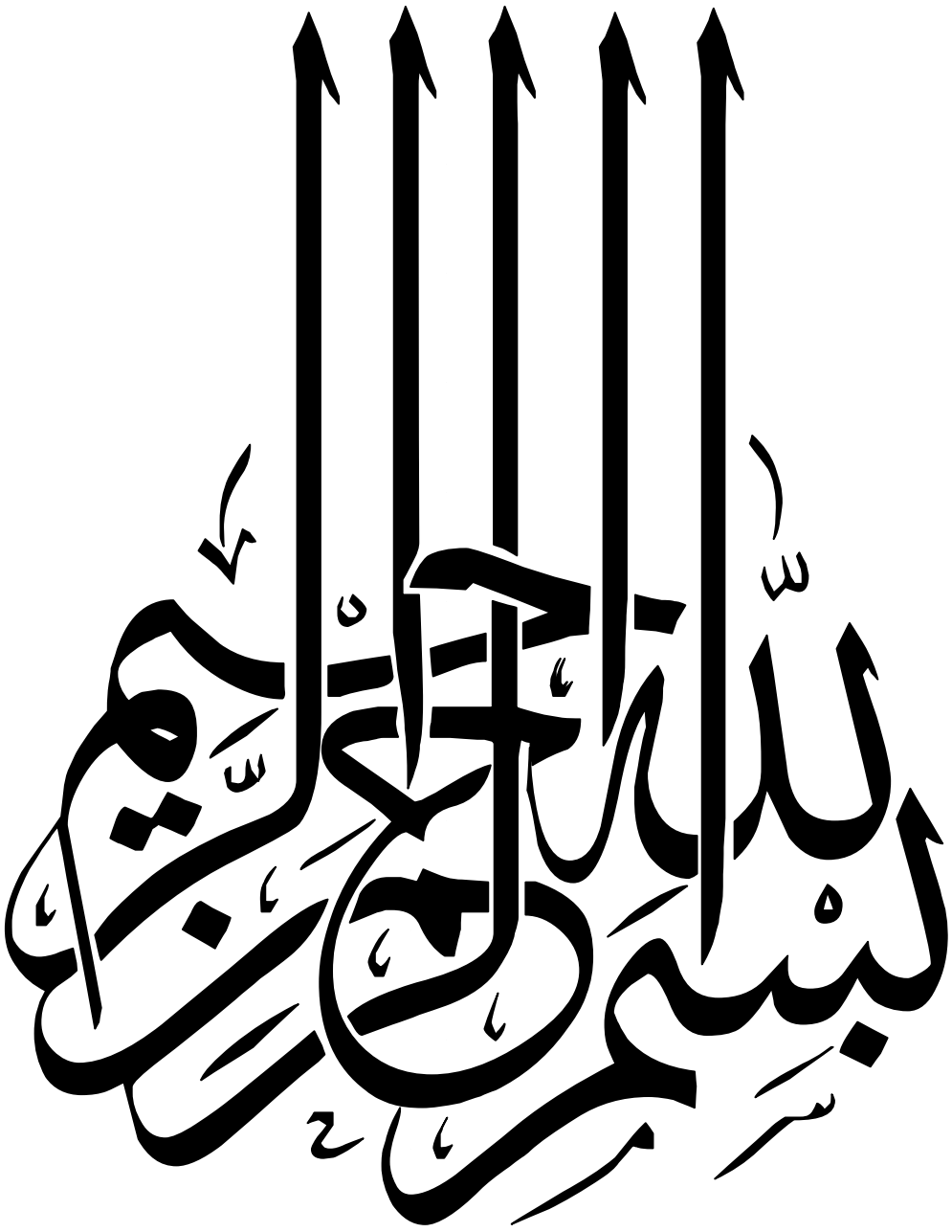

الصقر للنسخ والطباعة
٠٥٠٥٩٢٥٧٦٥

المقدمة

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا ، والصلاة والسلام على أشرف خلقه ، نبينا محمد ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم . .

أما بعد :

فيظل الشعر من حيث هو فن أدبي أكثر تأثيرًا في المجتمعات العربية من غيره ؛ لأنه أعلق بالوجدان ، وأعذب في الآذان ؛ لذلك سيظل نفيسًا عند العرب ما بقيت الحياة .

وعالمنا العربي كان ، ولا يزال مسرحًا لخفقان قلب الشعر ، وتهويمات خياله ، وكأن بينه وبين الشعر عهدًا أن يظلا متلازمين حتى الممات ، ولتشظيات الشعر لم تستطع دراسة واحدة أن تحيط بأمره ، وأمر شعرائه ، وأن تأتي فيهما على آخر ، وحسب كل دراسة أنها تسلط الضوء على جزء يسير من مسيرة الشعر ، أو سيرة الشاعر ، وهذا ما أخذته على نفسي في هذه الدراسة نحو هذا الفن العريق في عالمنا العربي .

والشاعر علي دمر الذي أتناول شعره في هذه الرسالة كانت له صلة وثيقة بوطني العزيز (المملكة العربية السعودية) ، فقد عَمِلَ فيها معلمًا ، وتوثقت صلاته وامتدت بعدد من أهل العلم والأدب ، ونشر فيها عددًا من دواوينه ، وقد قضى فيها أواخر أيامه حتى وافته المنية في قرية الطَّرَف في محافظة الأحساء الواقعة في المنطقة الشرقية .

والشاعر ولد في ظروف مغايرة للظروف التي مات فيها ، وكأنه جمع بين عصرين ؛ مما يجعل من هذا البحث مظنة للكشف عن جانب من جوانب التطور في الشعر العربي الحديث ، من خلال دراسة شعر شاعر تنقل في أكثر من بيئة ، وزار أكثر من بلد ، ومرَّ بظروف جمعت بين ثنائيات متعددة : الخوف والأمن ، والتشتت والاجتماع ، والفقر واليسر ، وغيرها مما هو كفيل برصد نوع من التغير الإيجابي أو السلبي في الشعر .

ودمر شاعر مطبوع ، ينحو منحى أصيلاً في شعره ، فهو يلتزم الموزون المقفى ، ولديه

مقدرة على قول الشعر في أي موضوع ، وفي شعره رقة وعذوبة ، والصدق سمة واضحة فيه .

" وقد نظم في كثير من أغراض الشعر التي يطلبها عصره ، فلم تفارق عدسته الشعرية مظاهر الحياة العامة ، وبواطنها الاجتماعية ، وأحداث الوطن العربي عامة وتقلباتها وبخاصة أحداث فلسطين ، كما عبر فيه عن مشاعر النفس ، ونزعاتها الإنسانية ، وأهوائها الوجدانية مسترسلاً في الكشف عن ذاتيَّة صادقة ، نلمس في براءة صراحتها شفافية شاعريته من غير طلاء ولا صنعة . . . كما أنه قد تعهد زرعه ونتاجه فنما وزها بتربة حقل عام يزدحم فيه كثير مما يشابهه من عطاءات غيره . . . ، وهو لا يختار الموضوع الذي يريد أنْ يكتب فيه ، وإنَّما تمليه التجربة ، ويفرضه الموقف " (١) .

ومع ذلك كله لم يحظ هذا الشاعر بدراسة شاملة خاصة – قبل تسجيل هذه الأطروحة – في جميع جامعات العالم العربي والإسلامي (بحسب المعلومات التي توفرت لدي) ؛ مما يشير إلى أهمية الدراسة الشاملة لشعره ؛ لتسد هذا النقص .

وأبرز المصادر التي اعتمدتها في دراسة حياته والعوامل المؤثرة في شعره : ما كتبه الشاعر عن نفسه أو ما كُتِبَ عنه في الصحف ، إلى جانب عدد من اللقاءات مع ذويه وأصدقائه .

وأما مصادر شعره ومراجع دراسته ، فقد كنت حريصًا على استيفائها بأكملها ؛ لأحاول أن أقدم صورة لشعره أقرب إلى الدقة والوفاء بمطالب البحث ما استطعت إلى ذلك سبيلاً . وهو ما حدا بي أن أقوم برحلة علمية طويلة ؛ لزيارة سورية ، وقطر ، وجدة ، ومكة المكرمة ، والرياض ، وقد يسَّر الله لي أن أجمع كل دواوينه المطبوعة ، وأن أصور دواوينه المخطوطة ، أو ما لم يدخله الشاعر في ديوان ، وقابلت عددًا من أفراد أسرته وأصدقائه ، وكان ذلك كله عونًا لي على توثيق دراسته وإتمامها بفضل الله وتوفيقه .

وجاءت هذه الدراسة في : مقدمة ، وتمهيد ، وبابين ، يشتملان على سبعة فصول ،

---

(١) ديوان علي دمر ، علي دمر ، نادي جدة الأدبي ، ١٤٠٧/١هـ ، ص (١٩) – باختصار وتصرف يسير – .

وخاتمة ، وثبت للمصادر والمراجع ، وفهرس عام لمحتويات البحث .

عرض **التمهيد** – باختصار – لحياة الشاعر والعوامل المؤثرة في شعره .

وتناول **الباب الأول** : موضوعات شعره، وقسمته إلى ثلاثة فصول :

الفصل الأول : الشعر الوجداني وهو الاتجاه المسيطر على معظم شعره ؛ حيث عُرِض فيه لأبرز المظاهر الوجدانية في شعر الشاعر .

والفصل الثاني : كان للشعر الاجتماعي .

وأما **الفصل الثالث** فقد خصص للاتجاه السياسي ؛ حيث جاء الحديث فيه عن أبـــرز المظاهر السياسية في شعره .

أما **الباب الثاني** فقد كان خاصًا بالدراسة الفنية ؛ حيث قُسِّم إلى أربعة فصول :

الفصل الأول : لهيكل القصيدة بدءًا ببنية العنوان .

والفصل الثاني : خصص للغة .

والفصل الثالث خصص للصورة الشعرية .

والفصل الرابع تناول الموسيقا الشعرية .

وسجلت **الخاتمة** أبرز النتائج التي وصل إليها البحث .

ولعل من المناسب أن أشير إلى ما بذلته في شعر دمر المخطوط ؛ حيث إنـــه كـــان في أوراق سائبة ، وكان معظمه قد ورد في الدواوين المطبوعة ؛ مما حدا بي أن أقابل كل قصيدة ومقطوعة في الشعر المخطوط على قصائد الدواوين ، وقد استغرق هذا الأمر ما استغرق من الوقت والجهد .

ومن الصعوبات التي صادفتها أن مجموع الديوان ضخم المادة ، تتكرر فيه النصوص مع

عدم اكتمال بعضها .

ومن الصعوبات – أيضًا – ما كان في كتابة النص وشكله ؛ إذ أدى الخطأ في كتابة النصوص إلى الاجتهاد في قراءة النصوص وضبطها .

وإنني – قبل ذلك وبعده – لأشكر الله – تعالى – على أن وفقني لإتمام هذا العمل ، وأساله أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم وفي سجل حسناتي .

وختامًا لهذا العرض الوجيز لمحتوى الرسالة ، فإنه يجدر بي ويشرفني – من منطلق الموضوعية وردّ الفضل لأهله – أن أتوجّه بخالص الشكر والتقدير والامتنان لكل من أعانني – بعد الله – في إنجاز هذه الدراسة ، وأخصّ بالشكر : **دولتي الكريمة المملكة العربية السعودية** ، على ما هيأت من جامعات ترعى العلم ، وتقدر أهله ، ومنها جامعتي **جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية** ، ممثلة في معالي مدير الجامعة ، وأصحاب الفضيلة الوكلاء .

كما أشكر **كلية اللغة العربية بالرياض عميدًا ووكيلاً** ، وأخص قسم الأدب ، الذي آثرني بالدراسة ، وفتح لي أبوابه ، ويسَّر لي سبل العلم ؛ للنهل من أساتذته الفضلاء ، رئيسًا ، ووكيلاً ، وأساتذة ، وأعضاء على ما يقدمونه للباحثين من مساعدة واهتمام وتيسير .

أما من أجدني محاطًا بمسافات شاسعة من الشكر والتقدير له فهو أستاذي الذي أشرف على هذه الرسالة **سعادة الأستاذ الدكتور محمود بن إسماعيل عمار** – أستاذ الدراسات العليا بالكلية – ، فقد وجدت فيه عالمًا متواضعًا ، وأبًا ناصحًا ، ومرشدًا حكيمًا ، أفدت من أدبه قبل علمه ، ومن فضله قبل توجيهه ، فهو الذي رعى موضوعي مرشدًا أكاديميًا ، ثم سقاه من علمه مشرفًا ، ثم هاهو ذا يقف على نهاية مطافه مقررًا ، فأرفع أكف الضراعة إلى الله تعالى أن يجعل ما قدَّمه لي ذخرًا له يوم يلقاه ، وأن يبارك في علمه وماله وولده .

كما أشكر **أستاذيَّ الكريمين** ؛ اللذين كرما بقبول مناقشة الرسالة ، فوهباني جزءًا غاليًا من أوقاتهما الثمينة ، وتفضلا بقراءة الرسالة ، وإبداء ما لاحظاه عليها ، سائلاً الله تعالى أن ينفع بجهودهما .

وأخيرًا ، علّ هذه الدراسة تكشف جوانب عديدة ، أحسب أنها جـــديرة بالبحـــث والوقوف عندها .

ويبقى بعد ذلك الكمال لله – ﷻ – ، وما أنا إلا بشر يخطئ ويصيب ، ولكن حسبي أنني بذلت كل جهد ممكن في سبيل الوصول إلى نتائج مقبولة ، مع إيماني أن المجال مـــا زال مفتوحًا للبحث والدراسة .

والله أسأل أن يجنبنا الزلل ، وأن يلهمنا الصواب والسداد .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

التمهيد

١- حياة علي دمر .

٢- العوامل المؤثرة في شعره .

١- حياة علي دُمَّر

أ- اسمه ونسبه :

هو محمد عالي بن أحمد بن محمد بن سليمان بن محمود آل حمراء (١) .

ويلاحظ في اسمه التركيب وهي عادة في بعض البلاد العربية ؛ إذ إنَّهم يضعون اسم (محمد) أمام بعض أسماء أبنائهم للتبرك ، وقد واصل ذلك التقليد والد الشاعر في تسمية أولاده جميعًا .

أمَّا الاسم الذي اشتهر به ، ووقَّع أعماله الأدبية به ، فهو علي دُمَّر ، ولما كانت (ألف) عالي نادرة وثقيلة في الاستعمال لم يستعطها الناس ، بقي الاسم على ألسنتهم (علـــي) ، ودُمَّر لقب جدِّه ، لقّبه أصدقاؤه بهذا اللقب ، فعُرف به بينهم حتى غلب على الاسم الرسمي ، وسُمِّي به أبناؤه من بعده ، ولكن دون أنْ يسجل في السجلات الرسمية الحكومية (٢) .

ووالده هو : أحمد بن محمد آل حمراء ، عمل منذ وقت مبكر من حياته بـــالجزارة في سوق الحاضر بحماة ، وله زوجتان ، وأربعة أولاد من الزوجة الأولى ، وولد واحد من الثانية هو شاعرنا الذي لم يكن له شقيق ولا شقيقة ، بل إخوة من أبيه ، وأخوات من أُمِّه . وكان والده مربوع القامة ، إلى القصر أقرب ، محبوكًا ، ذا لحية سوداء ، يضع على رأسه عمامـــة صفراء ، توفي عام ١٩٢٨م (٣) .

أمَّا **والدته** فهي : (نائلة) بنت صالح آل الشيخ صبح ، من أسرة تسكن حي الزنبقي بالحاضر في حماة ، عرفت بالعلم والشعر ، ومن مشاهير أسرتها : الشيخ : أحمد بن صالح (٤) ، وعمر بن يحيى (٥) مدير التربية والتعليم في حماة سابقًا ، وأستاذ الأدب العـــربي في جامعـــة

---

(١) ملامح عمري ، لعلي دُمَّر ، ص (١) ، مخطوطة محفوظة لدى أسرة الشاعر ، وفي مكتبتي نسخة منها .

(٢) المصدر السابق ، الصفحة نفسها ، **ودمَّر** : ضاحية من ضواحي دمشق .

(٣) المصدر السابق ، ص (٢) .

(٤) أحمد بن صالح : لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من مصادر .

(٥) **هو** : عمر بن يحيى بن خالد الفرجي ، (١٣١٧ - ١٣٩٩هـــ) ، شاعر ، أديب ، مـــربٍ ، ولـــد بحمـــاة ، وتعلم بها وبالمدرسة الصلاحية بالقدس ، وثقَّف نفسه بالمطالعة النهمة ، وعرف التركية والفارسية والفرنسية ، ودرس الأدب العربي في ثانويات حلب ، والنحو والعرض في جامعة حلب ، وحقق الوافي في العرض والقوافي =

حلب ، وحقق بعض كتب التراث .

وكانت متزوجة في صباها من عبده العساني ، فولدت له اثني عشر ولدًا وبنتًا ، مات بعضهم في الطفولة ، ومات بعضهم في ريعان الشباب في مجاعة الحرب العالمية الأولى في عهد الدولة العثمانية ، واستشهد بعضهم في جيش الدولة العثمانية في تلك الحرب ، ولم يبقَ لها منهم سوى ولدين هما : عبد القادر وعبد اللطيف ، وبنت اسمها صبرية . اغترب الولدان بعد وفاة أبيهما ، وتزوجت البنت ، وبقيت الأرملة نائلة في الأربعين من عمرها فريدة فقيرة حين تزوجها أحمد آل حمراء ، فولدت له طفلاً واحدًا هو شاعرنا ، ومات الزوج لتعود مرة أخرى أرملة فقيرة مع طفل في الثالثة من عمره ، توفيت عام ١٩٤٥م (١) .

أمَّا جدته لأمه فهي : خديجة الجندي وآل الجندي – من حي المدينة بحماة – من أكبر وأعرق الأسر في سوريَّا . وكانت تأخذ نصيبها من إرثها من الملك المظفر (٢) أحد ملوك حماة الأيوبيين ؛ لأنها من ذريَّته (٣) .

تزوج شاعرنا مرتين ، وكان زواجه الأول من ابنة عمِّه ، وهو لَّما يزل طالبًا في الجامعة ، ورزق منها تسعة أولاد ، هم : أنس ، هاني ، عَرَب ، شهاب ، أبو العَلاء ، مؤنس ، أزهر ، كهلان ، الهادي ، وثلاث بنات هنَّ : سمر ، سحر ، قمر .

أمَّا زواجه الثاني فكان من فتاة طلقها بعد أشهر من ذلك الزواج (٤) .

= للتبريزي مع فخر الدين قباوة ، وله ديوان (البراعم) ، وديوان (سراب عمري) . (إتمام الأعلام ذيل لكتاب الأعلام ، لخير الدين الزركلي ، د. نزار أباظة ، ومحمد رياض المالح ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٩/١م ، ص : ١٩٣ – ١٩٤) .

(١) ملامح عمري ، ص (٣) .

(٢) **الملك المظفر هو** : محمود بن محمد (المنصور) بن محمود (المظفر) بن محمد (المنصور بن عمر بن) شاهنشاه ابن أيوب ، ولد عام ٦٥٧هـ ، صاحب حماة ، تولاها بعد وفاة أبيه ، توفي عام ٦٩٨هـ . (انظر : الأعلام ، لخير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٤/٦م ، ١٨٢/٧) .

(٣) ملامح عمري ، ص (٣) .

(٤) شعراء عرفتهم ، أحمد الخاني ، مطابع المدينة ، ١٤٠٨هـ ، ص (٣٨) .

ب- مولده ونشأته :

ولد علي دُمَّر في حي يعرف بالعصيدة في الحاضر بمدينة حماة في منزل رقم (٣٣) في ١٩٢٥/٢/٨م [١] ١٣٤٣/٢/٢٢هـ ، في الليلة التي أحرق فيها مجاهدو حماة سرايا الحكومة في ثورتهم ضد الانتداب الفرنسي [٢] .

نشأ عليٌّ يتيمًا ، فقيرًا ، فقد مات أبوه ، وهو يخطو على عتبات السنة الرابعة ، فعاش في منزل والدته الصغير المكون من غرفة وفناء في حي البساتين الكبيرة على الضفة الشرقية من نهر العاصي ، وهو حي تسكنه مجموعة من الفقراء بجوار حي آل الكيلاني الحي الذي تسكنه الطبقة الغنية [٣] ، وظلَّ مع أمِّه في دارها لا يعرف إخوته من أبيه ، ولا أحدًا من أقاربه ، فلمَّا كبر قيل له هذا أخوك ، وهذا عمك ، وهذا ابن عمك ، وهكذا عاش غريبًا في طفولته حتى عن أقرب أقربائه ، ومن هنا تولَّد فيه الاغتراب النفسي منذ الصغر .

" ويوم وفاة أبيه الذي لا يذكر من ملامحه إلا خيالاً غير واضح ، بدأ رحلة اليتم والجوع والعري والحفاء والذل . . . وكان بعض الرجال المسنين المتدينين حينما يذهبون إلى المسجد ، فيرونه واقفًا أو جالسًا على باب الدار بمعزل عن الأولاد يمسحون على رأسه بِأكفهم ، ويقول بعضهم لبعض : إنَّ المسح على رأس اليتيم فيه ثواب عظيم ، فيشعر أنَّ كلمة (يتيم) خاصة به من بين أولاد الحارة الذين لهم آباء ، فيعمق حسُّه بالانزواء والحزن والاغتراب ، ويدخل الدار مكسور الجناح ، يجلس على ركبة أمِّه ، ويريح رأسه على صدرها ؛ حيث يسمع نشيجها ، ويحس دموعها تهمي عليه ، وهي تندب مصيره . . . " [٤] .

هذا الفقر والبؤس واليتم حرم شاعرنا جزءًا من طفولته ؛ فلا يخرج إلى الشارع ، ولا يلعب مع أطفال الحي ، ولا يمارس ما اعتاده الأطفال من حوله إلا نادرًا ؛ إذ كانت والدته

---

(١) مسافر وزاده الشعر ، مقال ، أ. طاهر زينو ، جريدة الثورة ، العدد (١٣٦٠٥) ، ٢٠٠٨/٥/٥م ، ص (٥) .

(٢) مذكرة عن السنوات الأولى من حياة علي دُمَّر ، لعلي دُمَّر ، ص (١) ، مخطوطة محفوظة لدى الأستاذ : أحمد الديولي ، صديق الشاعر ، وفي مكتبتي نسخة منها .

(٣) ملامح عمري ، ص (٤) .

(٤) المصدر السابق ، ص (٥) .

تمنعه الخروج ؛ لأنه عتيق الثوب ، حافي القدمين ، وفي صباح أحد الأعياد سمع ضجيج الأولاد في الحي ، فلم يملك نفسه ، فانسلَّ رغمًا عن أمِّه ، ولَّما أراد الاندماج مع الأطفال اللاعبين اعترضه أحد أولاد الأغنياء قائلاً : انصرف أيها اليتيم بعيدًا عنَّا ؛ حتى لا تلامس ثيابنَا الجديدة ثوبك المرقع ، فلمَّا رفض الانصراف دفعه ذلك الولد الغليظ ، فأسقطه أرضًا .

وقد اعتصرته أيام الفقر واليتم والشقاء ، وعرف شظف العيش ، وقسوة الحياة ، ولَّما يزل في سنيه الأولى ؛ ممَّا ولَّدَ في نفسه شعورًا بالكبت والحرمان ، والحزن المستمر ، والغربة المبكرة ، والقلق الممض .

ولعلَّ هذا البؤس واليتم اللذين عاشهما الشاعر ، يعدان من أبرز الأسباب التي أدَّتْ إلى شيوع الشكوى في شعره ، ومن ذلك قوله من قصيدة (مصباح بيتي) (١) :

يتيم له عم وخال وإخوة ولكنه لم يحظ بالعطف منهم

وكان لأمِّه الأثر الكبير في نشأته ، فقد عاش معها بعد وفاة أبيه حين بدأ يعي معنى الحياة في الطفولة ، فغرست في نفسه الحنان بعطفها عليه ، وحدبها حينما يشعر بمضايقات أطفال الحي من الموسرين . فذات يوم سأل أمَّه لماذا يلبس أولاد الكيلاني دائمًا ثياب العيد الجديدة ؟! فلم تجبه إلا بالنحيب والضم إلى صدرها ، وكانت والدته تصحبه معها إلى مصنع نسائي لنفش الصوف تعمل فيه ، فلمس حياة العاملات الفقيرات .

وإنَّ لها موقفًا تربويًا له أثر بالغ في شخصيته ، وإيحاءات تكشف الخلفية التربوية في العلاقة بينهما :

فقد جاء مرَّة ببيضة وجدها في الطريق قرب بيت دجاج ، فقامت أمُّه ، فلبست (ملاءتها) ، وأمسكت بيده ، وهو في الرابعة من عمره ، ومشت معه إلى المكان الذي وجد فيه البيضة ، فأمرته بأن يرجعها إلى مكانها ، وفي أثناء العودة قالت له : إياك يا بنيَّ أنْ تأخذ شيئًا ليس لك ، فهذا حرام ، يعاقب الله عليه (٢) .

---

(١) ديوان عالم الأسرة ، لعلي دمر ، ص (٢٩) ، مخطوط محفوظ لدى أسرة الشاعر ، وفي مكتبتي نسخة منه .

(٢) انظر : مذكرات عن السنوات الأولى ، ص (٥) .

ومن – هنا – بدأت تربية الضمير الآمر الناهي الذي صحبه طول حياته . يقـــول في قصيدة (همس الأعماق) (١) :

دائمًـــا مـــذنبٌ لـــديك معاتـــب ومـــدى العمـــر نـــادم ومراقَـــبُ
في منـــامي ويقظـــتي أنـــت نـــاه زاجـــر ســـاخر الحـــوار مواظـــبُ
... ...
يا قـــريني مـــن أنـــت يمـــلأ ســـري بجـــدال محـــاكم الفكـــر غالـــبُ
فسرى لي من عمـــق نفـــسي همـــس يا رفيقـــي أنـــا الـــضمير المحاســـبُ

ولو كانت قد قبلت منه وشجعته على الكسب من أي طريق ؛ لأصبح لصًّا خائنًـــا ؛ لذلك ظلَّ يستشعر لها إلى آخر حياته حنانًا وحبًا عميقًا ، ممَّا يدلُّ على أثرهـــا القـــوي في تكوين شخصيته .

ومن خلال دراسة شعر دمر يظهر مدى ارتباطه بأمه ، وإعجابه بها .

ولأخيه عبد القادر أهمِّية خاصة في نشأته ؛ إذ بعد عودته من غربته رأى أخًا جديدًا له صغيرًا فأحبه ، ووجد فيه تعويضًا عن إخوته ، فشمله بعواطف الأخوة والأبوة معًا ، وأحبَّ أن يحقق به ما فاته من الآمال ، فبدأ يقرأ أمامه القرآن الكريم ، ويحدثه بكل معارفه الدينية ، وما يسمعه من الوعاظ والخطباء ، فأثَّر تأثيرًا بالغًا في نفسيته ، وفتح له خيالاً واسعًا .

وللمدرسة أثر واضح في تكوينه ؛ " فالناشئ يقضي نصف ساعات يقظتـــه – عـــدة سنوات – في المدرسة . . . ، ويطرأ في هذه المرحلة تحول تدريجي لعلاقات الدعم النفـــسي من الوالدين إلى الأقران وأفراد المجتمع ، ويغدو لاتجاهات الأقران دور أساسي في تكـــوين مفهومه عن ذاته ، كما يلعب الراشدون في محيط الطفل ؛ بدءًا من معلمي المدرسة ، وانتهاء بالأبطال التاريخيين [الذين يحبهم أو يسمع بهم أو يدرس عنهم] دورًا أساسيًا في التأهيـــل الاجتماعي للطفل " (٢) .

---

(١) ديوان علي دُمَّر ، لعلي دُمَّر ، نادي جدة الأدبي ، ١٤٠٧/١هـــ ، ص (١٦١) .

(٢) مشكلات الطفولة والمراهقة ، للدكتور : ميخائيل إبراهيم أسعد ، دار الآفاق الجديدة ببيروت ، ١٤٠٥/٢هـــــ ، =

" وتحتل شخصية المدرس مكانة في هذا الصدد ؛ إذ ينبغي أن يكون المدرس ذاتـــه ذا شخصية مبتكرة ؛ كي يستطيع أن يستقبل ويتقبل ابتكارية تلاميذه ، وينمي ويعـــزِّز هـــذه الابتكارية لديهم " (١) .

وعليٌّ درس في مدرسة كانت تعمل على تربية الشخصية الإسلامية من جميع نواحيها المعرفية والخلقية ، تقيم حفل تكريم للناجحين في آخر كل عام دراسي ، تدعو إليه رجـــال الحي وأولياء أمور الطلاب ، وكان يشرف على هذا النشاط المعلم : سليمان المـــصري (٢) الذي اكتشف في علي موهبة إلقاء الشعر ، فشجعه على ممارسة هذا اللون من خلال تكليفه بفقرة خاصة في الحفل ، وحين جاء دور علي ذكر الشيخ : محمود الشقفة (٣) للحاضـــرين أن الفتى عليًّا يقرض الشعر . وكان بينهم الشيخ بدر الدين الحامد (٤) – رحمه الله – فاستنشده .

ومكث بين أيديهم فترة غير قصيرة وهو ينشدهم من شعره ، فأعجب به بدر الـــدين الحامد ، فغمره بعطفه ورعايته وتوجيهه ، وهنأه على موهبته (٥) . وحين أصدر دمر ديوانه الأول (رعشات) قدم له بدر الدين بقوله : " يا علي ؛ قرأت في وجهك آيـــة الـــشعر ، وسمعت من صوتك نغمة الفن ، وكنت كلما مرَّت الأيام أتتبع ما تفيض به ، فأقرأ وأطرب وأعجب وأقول لمن يسألني عنك : إن هذا الفتى شاعر موهوب . أنت هزار على فنن مورق في حديقة وارفة الظلال ، فغرد ولك من الجمال والجلال والمجد والعظمة والبسمة والدمعـــة

= ص (١٩٥ ، ١٩٦) .

(١) سيوكلوجية المراهق ، للدكتور : إبراهيم قشقوش ، مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة ، مكتبة مصر عن دار مصر للطباعة ، ١٩٧٩/١م ، ص (٢١٤) .

(٢) سليمان المصري : لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من مصادر .

(٣) **هو** : الشيخ محمود بن عبد الرحمن بن حسين الشقفة (١٣١٥هـــ – ١٣٩٩هـــ / ١٨٩٩ – ١٩٧٩م) ، ولد بحماة ، وهو من علماء حماة المبرزين ، وشيوخ سورية المشهورين ، أثرى الحياة العلمية في بلدتـــه إثـــراء عظيمًا بإنشائه المدارس الشرعية ، وإلقائه الخطب المنبرية ، وقيامه بتدريس العلوم الشرعية واللغوية على مـــدى ستين عامًا ، من أشهر مؤلفاته : كتاب العروة الوثقى ، وديوان المدائح النبوية . انظر : كتاب العالم الـــشهيد الشيخ محمود الشقفة : حياته وآثاره ، للدكتور : محمد رياض الخوام ، دار عمار للنشر والتوزيـــع ، عمـــان ، ٢٠٠٤/١م ، ص (١٠ – ٤٠) .

(٤) **هو** : بدر الدين الحامد (١٣١٥ – ١٣٨٢هـــ) ، شاعر حموي ، شارك في الحركـــات الوطنيـــة بـــشعره ، فاضطهده الفرنسيون وسجنوه ، وطبع ديوانه كاملاً بعد وفاته . الأعلام (٤٦/٢) .

(٥) انظر : علي دمر شاعر الحب والغربة والحنين ، للدكتور : رجا سمرين ، منشورات اتحاد الكتـــاب العـــرب ، ١٩٩٩/١م ، ص (١٢) .

ألحان تملأ جوَّ الحياة شعرًا وفنًا . إنك في أول الطريق فسر قدمًا ، وأرجو أن تبلغ في الشعر ذروة المجد وأنت الراشد الموفق " (١) .

ولا شك أنَّ هذه المرحلة من حياته قد فتحت أمامه طاقة من النضج في شخصيته التي أسهمت في تشكيل تجربته الشعرية .

ج- تعليمه :

بدأ علي دراسته لما بلغ السادسة في كتَّاب الحي ، وأمضى فيه أربع سنوات ، وحدث أنه " بعد صلاة العصر في أحد الأيام جلس علي في المسجد يستمع درس التفسير من مفتي حماة الشيخ : سعيد النعساني الوردي (٢) ، وكان عمره في تلك الأيام يقرب من المئة ، وقد شرح في تلك الجلسة قول الله – تعالى – : ﴿ ۞ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ . . . ﴾ (٣) ، وأثناء شرحه تمثَّل ببيت من الشعر ، حيث أمسك بيده لحيته البيضاء ، وقال :

ألم يأن لي يا قلب أن أترك الجهلا وأن يحدث الشيب الملم لي العقلا (٤)

فحفظ عليٌّ البيت من مرَّة واحدة كما حفظ الآية وتفسيرها ، ولما رجع إلى البيت سرد كل ذلك على أخيه عبد القادر الذي كان من أتباع المفتي ، فأخذه إلى صلاة المغرب في جامع النووي ، وبعد الصلاة أجلسه أمام المفتي ، وطلب منه أن يسرد للشيخ كل ما حفظه من درسه في عصر ذلك اليوم ، فدهش المفتي من حافظة هذا الفتى ، وفهمه وذكائه وفصاحته ، وسأل أخاه عنه فقال : إنَّه أخي ، وهو يعمل أجيرًا في دكان حداد ، فقال المفتي : يا سبحان الله ! كيف تلقي هذه الجوهرة بين فحم الحدادين ؟ أرسله لي صباحًا ؛ لأرسله إلى إحدى مدارسنا " (٥) ؛ وإثر هذا الموقف انتقل إلى مدرسة أبي الفداء الابتدائية

---

(١) مقدمة ديوان رعشات ، ١٣٦٦/١هـ ، ص (١) .

(٢) الشيخ سعيد النعساني : لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من مصادر .

(٣) سورة الحديد ، من الآية (١٦) .

(٤) البيت لكثير عزَّة ، ديوان كثير عزة ، شرح قدري مايو ، دار الجيل ببيروت ، ١٤١٦/١هـ ، ص (٢١٥) .

(٥) ملامح عمري ، ص (١٤) .

في حي باب الجسر قريبًا من جامع الحيات الذي يحوي قبر أبي الفداء ملك حماة والعالم المؤرخ المعروف (١) .

في هذه المدرسة تعلم عليٌّ القرآن على " يد الشيخ : عبد الرزاق الياسين (٢) الذي كان يُعنى عناية فائقة بحسن اللفظ ، وأحكام التلاوة ، ولما توفي خلفه الشيخ : صالح الكرو (٣) الذي كان معجبًا بصوت التلميذ الصغير عليٍّ ، فكان يكلفه ترتيل آيات لقَّنه إياها من آخر سورة الفتح كلَّ يوم خميس على زملائه . . . ، وقبل أن يكمل تعليمه في هذه المدرسة التحق بالمدرسة المحمودية الشرعية في حماة ، وكانت قد افتتحت حديثًا .

وفي هذه المدرسة برزت البوادر الشعرية الأولى لدى عليٍّ ، وكان الشعر عنده في هذه البداية نوعًا من اللعب ، وليس ذلك بالأمر المستغرب أو المستهجن ، فقد أثبت علماء التربية أنَّ كل إبداع فني إنَّما يجد بذوره الأولى في اللعب العفوي المبكر لدى الصغار (٤) .

ثم انتقل إلى مدرسة المقاصد الإسلامية في بيروت ، ثم إلى الكلية الشرعية الثانوية في دمشق ، ثم إلى كلية اللغة العربية في جامعة الأزهر بالقاهرة .

وفي شهر يوليو عام ١٩٥٥م تخرج ونال شهادته الجامعية " (٥) .

ثم تطلع إلى الدراسات العليا ؛ لينال درجة الماجستير ، فتقدم بأوراقه لجامعة يوسف القديس ببيروت ، فأنهى السنة التحضيرية ، ثم حال بينه وبين إكمال الدراسة ظروف قاهرة (٦) .

---

(١) **هو** : أبو الفداء ، إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب . ولد عام (٦٧٢هـ) ، صاحب حماة ، مؤرخ جغرافي ، قرأ التاريخ والأدب وأصول الدين ، ونظم الشعر . له : المختصر في أخبار البشر . توفي عام (٧٣٢هـ) . انظر : الأعلام (٣١٩/١) .

(٢) عبد الرزاق الياسين : لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من مصادر .

(٣) صالح الكرو : لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من مصادر .

(٤) انظر : النمو النفسي للطفل والمراهق ونظريات الشخصية ، للدكتور : محمد مصطفى زيدان ، دار الشروق بجدة ، ١٤٠٦/٢هـ ، ص (٩٩) .

(٥) انظر : ديوان علي دُمَّر ، ص (٢٨) .

(٦) انظر : مقدمة ديوان عالم الأسرة (مخطوط) ، ل (٣) .

د- رحلاته :

للرحلات أثر في تكوين الشخصية ، لا سيما إذا كانت كثيرة ومتنوعة الاتجاهات . وقد أتيح له – منذ طفولته – أن يستكشف عوالم جديدة من حوله ، ففي عام ١٩٤٠م سافر إلى لبنان مع أخيه إلى أخ لهما كان يعمل في بيروت ، ثم سافر إلى دمشق عام ١٩٤٠م .

أما الرحلة التي كانت لها أبعاد عميقة في نفسه ، وتلقَّى فيها ثقافته ، واتسع منها إدراكه فهي رحلته إلى مصر عام ١٩٥١م حينما سافر للدراسة الجامعية ، وبعد تخرجه في كلية اللغة العربية عام ١٩٥٥م تعاقد للعمل في المملكة العربية السعودية مدرسًا ، فتنقل بين جدة ، ورابغ ، وبريدة ، والمذنب ، والأحساء ، وأبها ، وظهران الجنوب ، ونجران .

وكان دمر يتلقى في تنقلاته السابقة ثقافة منوعة بشكل تلقائي ، وتتسع مداركه ، وتختزن مخيلته الشاعرة صورة البحر – في جدة – في سكونه وهيجانه ، والوديان المختلفة – في جنوب المملكة – بمهرجان الربيع ، والجبال الشامخة المكسوة بحلل خضراء ، والزهور المبثوثة فوق النسيج الأخضر – في الأحساء وأبها – ، وزحف كثبان الرمال في نجد .

وكثيرًا ما زار الأماكن المقدسة ، حينما كان مدرسًا في جدة ، وتصور أنه بين يدي رسول الله – ﷺ – فراح يخاطبه [1] :

لا تلمني فما يفيد ملامي ... إن تجدني في عالم الأحلام
ما على الروح إن سمت وتعالت ... في سماء الخلود والإلهام
إنما رعشة السرور رحيق ... حسدت صفوها كؤوس المدام
ما أحيلى التغريد باسمك يا أحـ ... ـمد يشفي من الضنى والسقام
ويح نفسي ما لي ارتعشت وكاد الطِّـ ... ـرس يهتز بارتعاش أمامي

ولا شك أن هذه الزيارات من أكثر مغذيات شعره الإسلامي .

وزار دمر مدينة (القدس) ، وقد ألهمته هذه الزيارة قصائد كثيرة ، حتى أفرد

(١) من القصائد المخطوطة في غير الدواوين ، وفي مكتبتي نسخة منها ، **والطِّرس** : الصحيفة .

لفلسطين ديوانين من شعره هما : (عواصف على هضاب فلسطين ، وشعب الله المختار) .

وفي عام ١٣٨٧هـ (١٩٥٨م) تلقى الشاعر دعوة من صديق له لزيارته في بغداد ، وكان لهذه الزيارة الأثر الكبير في حياته الأدبية ؛ فقد اجتمع مع كبار الشعراء العراقيين في تلك الحقبة ، وقد أشار إلى تلك الزيارة في قصيدة (أغنية إلى بغداد) ؛ حيث يقول [١] :

كم كنت أرجو يا عرا ... قي أن أرى فيك الرشيدا
وأرى النواسي العظيـ ... ـم يصوغ للحسن القصيدا

وزار لبنان في ميعة الشباب ، فالتقت عيناه بجمال الطبيعة ، وقد دبَّج فيها أجمل قصائده الغزلية ؛ يقول [٢] :

لم ألق في لبنان غير خيالك الـ ... ـفاف عند إقامتي ونزوحي
شم الجبال صعدتها وهبطت في ... لجج البحار فكان لي كالروح
ما لاح حسن أو تناغت نغمة ... إلا وطيفك سهرتي وصبوحي

وقام برحلات إلى الأردن ، ورام الله ، والكويت ، وبومباي ، وحيدر آباد [٣] .

هـ- صلاته برجال عصره :

لعلَّ أول ما يستوقفني في حياة دُمَّر اتساع دوائر صلاته برجال عصره ، ويعود ذلك إلى نبل أخلاقه ، ونضارة شعره ، وتنقلاته ما بين مصر والسعودية وغيرهما من البلدان العربية .

ولن يستطيع الباحث أنْ يحيط بمن اتصل بهم من معارفه البارزين ، ولكني سأقف مع مجموعة من رجالات عصره ، الذين كانت تربطه بهم علاقات وثيقة ، وكان لهم أثر واضح في شعره .

ففي مسقط رأسه مدينة (حماة) التي تضم عددًا من الأعلام البارزين ، الذين تأثر بهم ،

---

(١) من القصائد المخطوطة في غير الدواوين ، وفي مكتبتي نسخة منها .

(٢) ديوان غيبوبة الحب ، دار مجلة الثقافة ، دمشق ، ١٣٨٨/١هـ ، ص (٩٢) .

(٣) انظر : ديوان علي دمر ، ص (٢٨) .

أو غمروه بعطفهم ورعايتهم وتوجيههم ، ومن أبرزهم الشيخ : سعيد النعساني الوردي الذي كان يوجهه شرعيًا ، والشيخ : محمود الشقفة الذي أجازه في علوم اللغة العربية ، والشيخ بدر الدين الحامد الذي كان يُعنى بموهبته الشعرية ، ويحبه محبة خاصة .

ومن الشخصيات التي كان له اتصال بها في خارج سوريا :

٢- الدكتور : محمد عبد المنعم خفاجي (١) :

يذكر دمر أن من بين مدرسيه في كلية اللغة العربية بالقاهرة الدكتور : محمد عبد المنعم خفاجي ، الذي يرى أن دمرًا في بدايته الشعرية قد تأثر بشوقي ، ومطران ، وعمر أبي ريشة ، وإيليا أبي ماضي ، لكنه سرعان ما عاد فركن إلى الاستقلال الفني في طريق خاص به ، بعد أن كان ينهي حياته العلمية في مصر ، ويسلكه في شعراء الوجدان ، وعلق على بعض القصائد التي عرضها عليه الشاعر ، فقال : " الشاعر دمر مع وطأة الأحداث على نفسه ، ينفيها من خياله بالأمل الضاحك ، والابتسامة الوديعة ، وبالثقة والشعور العميق بكبرياء الشاعر ، وهو يسير في نطاق التجديد والبساطة والغناء في شعره ، ووحدة القصيدة عنده تلوح في بعض قصائده ، وتختفي في بعضها الآخر . . . " (٢) .

وقد كان دمر يعتز بعلاقته بالدكتور : خفاجي ، وبعد تخرجه من كلية اللغة العربية بالقاهرة وثق تلك العلاقة من خلال المراسلات واللقاءات والزيارات .

٢- الأستاذ : عبد الفتاح أبو مدين (٣) :

بدأت علاقته به حينما قدم دمر من (حماة) مدرسًا للغة العربية في مدارس جدة ،

---

(١) **هو** : محمد عبد المنعم خفاجي ، ولد في المنصورة بمصر، حصل على الدكتوراه من جامعة الأزهر . له : دراسات في الشعر (دراسة) ، ونغم من الخلد (شعر) . انظر : معجم البابطين للشعراء العرب (٥٠٢/٤) .

(٢) أوراق مخطوطة في مكتبة الشاعر بحماة ، وفي مكتبتي صورة منها .

(٣) **هو** : عبد الفتاح أبو مدين ، ولد في مدينة بني غازي بليبيا عام ١٣٤٤هـ ، وفيها تلقى تعليمه الأولي ، انتقل إلى المملكة العربية السعودية ، درس في مدرسة العلوم الشرعية ، عمل في الصحافة ، أصدر صحيفة الأضواء ، وصحيفة الرائد ، رأس نادي جدة الأدبي . انظر : الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد ، للأستاذ الدكتور : إبراهيم الفوزان ، مكتبة الخانجي ، ١٤٠١/١هـ ، (١٠٤٨/٣) .

فقد كان يشارك بقلمه في صحيفة (الرائد) التي كان يصدرها أبو مدين ، فلما استحسن أبو مدين تلك المشاركات دعاه للانضمام إلى اللقاءات التي كان يعقدها في داره ؛ ليستفيد ويفيد ، فلبى الدعوة ، وبدأ يشارك الحضور في القضايا التي كانوا يطرحونها ، واستمرت الصلة بينهما حتى بعد انتقال الشاعر إلى محافظة الأحساء ؛ إذ كانت تغذيها الرسائل المتبادلة بينهما ، وحينما أتيح لدمر أن يزور جدة ، زار أبا مدين فسعد به وجددا ما انقطع من اللقاء والحوار ، وعرض دمر أن يتبنى النادي طباعة شعره (مجموعًا) فرحب أبو مدين ؛ لأنه يقدر شاعريته وصدقه وحماسته للغته وأمته ، ولا ينكر الشاعر الأثر الذي خلفته تلك الصداقة ؛ حيث يقول : " منذ بدأت صلتي بأبي مدين ونحن على صلة دائمة نلتقي كل يوم ، وبعد انتقالي كنا نتراسل ، وإذا تباعدت بيننا الرسائل فترات ؛ لظروف الحياة وهمومها ، فإن المودة باقية بيننا ، وإنه لفي نفسي أبدًا أخ أثير " (١) .

وفي ديوان الشاعر قصيدة تفصح عن منزلة أبي مدين في نفسه منها قوله (٢) :

أأبا وديع يا صفاء مودتي ... في رحلة العمر الجديب العاني
من ثلث قرن لم تزل عوني على ... دهري وصدق محبة وحنان

٣- الأستاذ ياسر فتوى (٣) :

لقد كانت لفتوى حظوة خاصة عند دمر ؛ فهما من بلد واحد ، وبدأت هذه الصلة بينهما حينما جمعت بينهما ديار الغربة ، وانعقدت بينهما أواصر الأخوة السامية ، والمحبة الصادقة ، وكانت لهما جلسات مع بعض الأصدقاء تدور حول الشعر والأدب والنقد ، واستمرت الصلة بينهما قوية ، تغذيها تلك اللقاءات العائلية المستمرة ، والمحادثات الهاتفية ،

---

(١) أوراق مخطوطة في مكتبة الشاعر بحماة ، وفي مكتبتي صورة منها .

(٢) ديوان علي دمر ، ص (٨) .

(٣) **هو** : محمد ياسر أمين فتوى ، ولد بحماة عام ١٩٣٣م ، حصل على الإجازة في اللغة العربية وآدابها من جامعة دمشق ، وعلى دبلوم التربية من دار المعلمين بحلب ، عمل في حقل التعليم وفي الصحافة في السعودية ومحررًا . له : التراث العربي الإسلامي في الكوميديا الإلهية لدانتي ، والملك العالم الجغرافي المؤرخ أبو الفداء . انظر : معجم البابطين للشعراء العرب ، (٢/٩٠) .

ومن تلك الزيارات ما أخبر به فتوى ؛ إذ يقول : " وقد زرته في مدينة – الطرف – ، فكان لقاؤنا أسعد وأحب لقاء ، تبادلنا إخاءنا شعرًا لا أغلى ولا أحلى ، وقد كنت مما أنشدته أبياتي هذه :

أنت لا غيرك لي أوفى أخي ... وجناح وارف الظل ندي
نبعة أنت بقفري عذبة ... أترعت نعماؤها قلبي الظمي
يا رفيق الكلمة الخضراء يا ... لفتة السحر وبوح العبقري
رافقت أحرفها خطوتنا ... في مدى الصحراء والبعد القصي
برة لم تغترِب عن خفقنا ... عن لهاث الشعر والحب الرضي
فزرعنا نبضها أمنية ... في عروق الرمل والقفر الخلي
فنمت جذلى نمو الأريحي ... وتخطت كل حرمان عتي
فإذا جئتنا عادت لنا ... وحماة بك عادت يا علي

ثم ودعته ، وما كنت أعرف تفسيرًا لذلك الحس المؤلم الذي انتابني في موقف الوداع ، فقد كان صاحبي على موعد مع القدر ، فوافته المنية بعد ستة أيام من وداعي له – رحمه الله – تاركًا لنا لوعة في القلب ، وذكرًا رطبًا على اللسان ، وأدبًا وافرًا نقرأ فيه سيرته ، فنعرف فيها مثالاً للإنسان المكافح ببذل دمه وعرقه في سبيل تأمين الحياة الكريمة لأبنائه وذويه . . . " [1] .

٤– الدكتور : رجا سمرين [2] :

يعد من أصدقاء دمر الخلص ، فقد بدأت علاقته به عام ١٩٥٢م في مصر ، وامتد بها

---

(١) ديوان علي دمر ، ص (٢٣ – ٢٥) .

(٢) **هو** : رجا محمد عبد الله أحمد سُمرين ، ولد في قالونيا بالقدس عام ١٩٢٩م . تخرج في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر عام ١٩٥٥م ، وحصل من الكلية نفسها على درجة الماجستير عام ١٩٦٧م ، والدكتوراه عام ١٩٧٢م . عمل في سلك التربية والتعليم في كل من الأردن والكويت والسعودية . له : الضائعون ، والطريق إلى أرض ليلى ، وخميلة الروح (شعر) ، والشعر الفلسطيني في معركة بيروت ، والأسرة في الشعر العربي المعاصر ، والاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر (دراسة) . انظر : معجم البابطين للشعراء العرب ، (٢/٧٠) .

تاريخ حافل من الأخوة والتعاون ، واستمرت بينهما المراسلات بعد انتقال الشاعر إلى المملكة العربية السعودية ، وعودة د. سمرين لبلده ، وفي مكتبة الشاعر عدد من الرسائل التي تفصح عن منزلة سمرين في نفسه .

وحينما تعاقد سمرين للعمل في المملكة العربية السعودية ، سعد الشاعر به وجددا ما انقطع من اللقاء والحوار .

ويلخص دمر علاقته بسمرين بقوله : " كنت أثناء دراستي في مصر لا أكاد أفترق عن (رجا) إلا أوقات النوم . كما كنت أقرأ معه مختارات البارودي والمفضليات والنقائض والمعلقات وديوان الحماسة وغير ذلك من عيون قديم الشعر وحديثه . . . ، وكانت الساعات التي نقضيها معًا حافلة بالمناقشات والمطارحات الشعرية ، وإجازة الأبيات التي كنا نستوحيها من الأحداث الطارئة والمواقف العابرة ، وكانت روح الفكاهة تغلب على هذا النوع من الأبيات . . . " (١) .

٥- الأستاذ : محمد عدنان قيطاز (٢) :

" أعترف أني تعلمت من علي دُمَّر ما لم أتعلمه من أي شاعر آخر ، فقد علمني كيف أتذوق النص الشعري بصورة فنية ، وسمعت منه مصطلحات شعرية وعروضية لم أسمع بها من قبل ، كما أطلعني على بعض مختاراته الشعرية لشعراء معاصرين كان معجبًا بهم وبأعمالهم الأدبية . . . وأرى بعض ألفاظه لا تنسجم مع الشعر الجميل الموحي ؛ لأني أعتقد بأن لكل شاعر قاموسه الشعري ، وألفاظه المنتقاة التي تحمل شيئًا من معاناته . غير أني لم أكن أخفي إعجابي ببعض قصائده ، وربما حفظت عددًا من أبياتها مثل : (بين الشهرة والخلود) أو قصيدته (ولدي أنس) أو قصيدته (ربيع الفقير) أو حتى قصيدته (أمسيات النيل) التي اختصرتها عندما نشرتها على صفحات مجلة " النواعير " ، بل إن قصيدته (نكبة

(١) أوراق مخطوطة في مكتبة الشاعر بحماة ، وفي مكتبتي صورة منها .

(٢) **هو** : محمد عدنان قيطاز ، ولد في حماة عام ١٩٣٦م ، حصل على إجازة في الأدب - قسم التاريخ - جامعة دمشق ، عمل في التدريس والإدارة والإشراف على المكتبات ، وعمل رئيسًا لدائرة تقنيات التعليم ، عضو جمعية الشعر وعضو باتحاد الكتاب العرب في سوريا . له : اللهب الأخضر ، وفي ملكوت الحب . (مكالمة هاتفية) .

الشعر) علمتنا كثيرًا من الفن الشعري الذي جهلنا أبجدياته حتى جاء علي دُمَّر وعلمنا ما لم نكن نعلم . . . دخل علي دمر وهو في غربته في غيبوبة أبدية ، وما تزال على أفواهنا من حياته وأشعاره أندى الذكريات وأرق القصائد ، وتتراقص أمام عيوننا طيوف الماضي الزاهر الباهر بكل أطيابه وطيِّباته ، وكل موبقاته ومحرقاته ، وأيم الله ما أبدع النضير من ألوانها ! ، وأمتع الجنيّ الهنيّ من أفنانها ! ... إن الشاعر الراحل علي دُمَّر ظاهرة استثنائية في دنيا الشعر الحموي لن تتكرر ثانية ، وما أحسبها تتكرر ؛ لأنه متفرد في سماته وقسماته ، متفرد في ضحكاته وأغنياته ، متفرد حتى في سخره وفخره ، وحياته مع زوجه وأولاده " (١) .

٦- الأستاذ : مبارك بوبشيت (٢) :

ذكر الأستاذ : مبارك بوبشيت أنه عرف شاعرنا حين كانا زميلين في مدرسة ببلدة الطرف بالأحساء ، فقد " كان علي دُمَّر يعرض علينا بعض نتاجه الشعري ؛ مما شجعني على عرض ما لدي من قصائد ، وكنت أستفيد من توجيهاته . . . وبدأت العلاقة تتطور مع مرور الأيام إلى أن أصبح لا يفارق مجلسي إلا أوقات النوم ، وربما زرته في بيته المتواضع . . . كانت لقاءاتنا أشبه ما تكون بندوة لم يحسن إعدادها القائمون عليها ، فكل فرد منَّا يسمع الآخرين شعره ، ثم يأتي دور الحضور في تحليل ما سمعوه . . . رحم الله عليًّا كان مثالاً للرجل العصامي الذي صنع نفسه بنفسه لم يعتمد على موهبته في الرزق . . . " (٣) .

٧- الأستاذ : أحمد الديولي (٤) :

يقول الأستاذ : أحمد الديولي : " عرفت علي دُمَّر وأنا صبي دون البلوغ ، فقد درَّس

---

(١) مجموعة من الأوراق بعث بها إلى الباحث الأستاذ : محمد عدنان قيطاز كتبها عن الشاعر : علي دُمَّر ، وعددها (٨) ورقات .

(٢) **هو** : مبارك بن إبراهيم أبوبشيت ، ولد في الأحساء عام ١٣٣٦هـ ، وتعلم فيها . تخصص في الرياضيات ، وعمل في التدريس والصحافة . له : الحب إيمان ، وبطاقتي الشخصية . (مقابلة معه) .

(٣) مجموعة من الأوراق بعث بها إلى الباحث الأستاذ : مبارك بوبشيت ، كتبها عن الشاعر علي ، وعددها (٥) ورقات .

(٤) **هو** : أحمد بن إبراهيم الديولي ، ولد في الأحساء عام ١٣٧١هـ ، وتعلم بها ، وتخرج من جامعة الملك سعود - كلية التربية - قسم اللغة العربية ، عمل في التدريس . (مقابلة معه) .

لي في المرحلة الابتدائية ، ولن أنسى أنه ساهم في تكويني الشعري ، فقد كنت أزوره في داره ، وأستمع إليه منشدًا لشعره أو لشعر غيره . . . وقد كان دُمَّر شاعرًا مكينًا ولكن قصر به عن الشهرة العريضة انشغاله بهموم العيال ، وقلة المورد واضطراره إلى الكدح ، على أنه كان مخلصًا قلبه لشعره ، لا يفتر عن الشعر شعره " (١) .

و- صفاته :

١- صفاته الخَلْقِية :

كان أبيض البشرة ، ذا عينين عسليتين ، مستدير الوجه ، يواجه من يقابله بابتسامة لا تكاد تفارق شفتيه . أما شَعْرُهُ فناعم مسترسل أسود ، مشرب بشيء من الحمرة الخفيفة .

وقد حباه الله بجسم ممتلئ ، لكن السمنة التي كانت فيه لم تكن قبيحة ، وقامة إلى القصر أدنى إلى الطول ، وأما صوته فجهوري .

٢- صفاته الخُلُقِية :

علي دُمَّر من العصاميين الذين ذلَّلوا الصعاب بصبرهم وصمودهم ، فقد اقتنص رزقه من بين أنياب الجوع والحرمان والبؤس ، وتدرج في نظم الشعر معتمدًا على فطرته الشعرية ، وأذنه الموسيقية إلى أن أصبح من صناعه .

وكان قنوعًا ، مؤثرًا للتواضع ، داعيًا للتسامح لا يميل إلى الإسراف كما لا يميل إلى التقتير ، فهو يؤثر التوسط بين الحالتين ، ولهذا قال عنه صديقه د. رجا سمرين : " كان - رحمه الله - كريمًا نديَّ الكفِّ ، لا يمقت من الصفات التي تعيب الرجال أكثر من البخل . . . " (٢) .

---

(١) مجموعة من الأوراق بعث بها إلى الباحث الأستاذ : أحمد الديولي ، كتبها عن الشاعر : علي دُمَّر ، وعددها (٩) ورقات .

(٢) المصدر السابق ، ص (٦) .

وعلي " يتسم بالطفولة والبراءة ، وخفَّة الظل ، وحبه للدعابة والفكاهة " (١) ، والسخرية لا تفارقه حتى عندما يعصره الألم ، ويقضي على أعصابه .

ومما يميز شخصيته : أخلاقه العالية ، وسماحة نفسه ، وكريم طبعه ، ونبله ، وعلو همَّته ، وصلب إرادته ، ومثاليته ، وبساطته ، ووفاؤه لأصدقائه ، يقول عنه الأديب أحمد الخاني (٢) : " وكان محببًا إلى نفوس الحضور ، ذا دعابة مرحة في تفاعله مع الجمهور ، وهو خلوق يستحي من محدثه " (٣) .

ومن جوانب شخصيته : هدوءه وحلمه ، وطموحه الذي يتوافق مع واقعه ، فقد حُكي عنه أنه قليل الاعتداد بنفسه ، لكنه كان معجبًا بفنه واثقًا بشاعريته . وهذا الإعجاب وتلك الثقة لم يسلماه للغرور .

وهو إلى جانب هذا رجل ثقافة واسعة ، أثَّرت في شعره . وثقافته متنوعة الينابيع ، فلقد أمضى شطرًا من عمره جليسًا للآثار العربية ، والتحف التي أعيت الزمان وأشقته ، وما باخ لها رواء ، ولا غابت عنها نضارة . فقد كان يقتل وقته ما بين مطالعة ، وإنشاد شعر .

ز- عمله :

عمل علي دمر خلال حياته في ثلاثة ميادين :

الأول : التعليم داخل سوريا ، **والثاني** : الإمامة والخطابة ، **والثالث** : التعليم خارج سوريا .

---

(١) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

(٢) **هو** : أحمد عبد الرزاق محمد الخاني ، ولد في حماة بسوريا عام ١٩٤١م ، حاصل على الليسانس في اللغة العربية والدبلوم في التربية ، وحصل على الدكتوراه في الأدب العربي من جامعة باكو عاصمة آذربيجان ، وعمل مدرسًا في المملكة العربية السعودية . له : خمسةُ دواوينٍ شعرية ، وله مسرحية شعرية ، ومجموعة قصصية للأطفال والناشئين في عشرة أجزاء بعنوان : (البحَّار الصغير وسلسلة الإيمان) . انظر : معجم البابطين للشعراء العرب ، (٣٥/١) .

(٣) شعراء عرفتهم ، ص (٤٦) .

١- التعليم في سوريا :

بعد أن أنهى السنة الثالثة في الثانوية الشرعية في دمشق ، افتتح مدرسة أهلية في قرية (أورام الجوز) في جبل الزاوية شمال سوريا بجانب أريحا ، وظل يعمل فيها ثلاثة أعوام كاملة . ولا شك أن هذه المرحلة من عمر دمر تمثل مرحلة التأسيس وترسيخ الثقافة والعلم ، من خلال دراسته في الثانوية الشرعية ، ومن خلال التحضير والتدريس ، وكان يدرس العلوم الشرعية ومواد اللغة العربية ، ورأينا أنه حينما ذهب إلى مصر للدراسة تخصص في اللغة العربية .

وكان لهذا التخصص أثره الكبير في شعره ؛ مما سيحاول الباحث الكشف عنه عند الحديث عن العوامل المؤثرة في شعره ، ولا ريب أن التعليم ودوام المطالعة يتركان أثرًا واضحًا على الشاعر ، نلحظ ذلك في الأسلوب وتصيد الألفاظ .

٢- الإمامة والخطابة :

ما أنْ افتتح مدرسته في تلك القرية حتى أقبل عليه وجهاء القرية يطلبون منه أن يكون إمامًا وخطيبًا لمسجدهم ، وقد استجاب لهم ، وبدأ مرحلة جديدة استثمرها لصالح إعداد نفسه ، ثم لاستكمال بناء شخصيته ، فبدأ يبحث عن الموضوعات المناسبة لأهل القرية ، ويعدها إعدادًا جيدًا ، وكان لهذا العمل أثره الواضح في شعره ، نلحظ ذلك في اللهجة الخطابية التي تكتنف بعض قصائده ، والتوجيهات المباشرة ، والحجج والبراهين التي يحفل بها شعره أثناء طرحه لقضية يطرحها .

٣- التعليم خارج سوريا :

بعد تخرجه في كلية اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٥٥م تعاقد مع وزارة المعارف (وزارة التربية والتعليم حاليًا) بالمملكة العربية السعودية للعمل مدرسًا ، وأمضى في المملكة مدة خمسة عشر عامًا تنقل خلالها إلى سائر مناطقها ، وبدا له أن يعود إلى سوريا ؛ ليستقر ، ولكنه بعد أربعة أعوام رأى أن يعود إلى السعودية ، فأمضى أحد عشر عامًا انتهت بانتقاله إلى الرفيق الأعلى .

فيكون قد أمضى ثلاثًا وثلاثين سنة وهو يعمل في مجال التدريس [١] .

ويبدو أنه أحب مهنة التعليم ؛ لأن التعليم يستطيع به أن يكون أجيالاً من المخلصين ؛ لينهضوا بالرسالة السامية التي دعا إليها الشاعر ؛ يقول [٢] :

وأقـــرأ كـــتبي أو أنـــاغي يـــراعتي ... بقرطاســـي المـــصغي إلى نغمـــاتي
لأتـــرك للأجيـــال لحنًـــا مخلـــدًا ... يفجر ما في الـــنفس مـــن صـــحوات
أعطـــر أوطـــاني بأزهـــار فكـــرتي ... وما فاض عن حسي وعـــن ملكـــاتي
وأنشي لهم حقلاً من الفكر وارفـــًا ... أرويه مـــن روحـــي ومـــن عـــبراتي

وعن تجربته الأخيرة يقول دمر : " كان انتقالي للتدريس في المملكة العربية الـــسعودية نقلة حاسمة في حياتي ، وكانت من أخصب أيام حياتي ، لم يعكر صفوها سوى التـــنقلات التي تأتي دون إرادة مني ، فما أنا في تلك التنقلات إلا كظبـــي مـــشرد في الـــصحاري ، ومكبل بالبؤس والإقتار . . . ، فعام أحل ضيفًا على موائد الشعر والأدب ، وعام ألقـــى في مهمه التراب . . . " [٣] .

ح- آثاره :

لقد استحوذ الشعر على اهتمام الشاعر أكثر من غيره من الأجناس الأدبية ، فأصـــدر في حياته ثمانية دواوين ، بدأ طباعتها منذ عام ١٣٦٦هـــ - (١٩٤٦م) ، واســـتمر في الإصدار حتى عام ١٤٠١هـــ - (١٩٨١م) ، وهي :

١- ديوان رعشات :

ظهرت الطبعة الأولى من هذا الديوان عام ١٩٤٦هـــ - (١٣٦٦م) في (٨٦) صفحة ، من الحجم الصغير ، واحتوى الديوان (٢٧) نصًا شعريًا ، وتراوحت نـــصوص

(١) انظر : ديوان علي دمر ص (٢٨) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٤١٤ - ٤١٥) .
(٣) أوراق مخطوطة في مكتبة الشاعر بحماة ، وفي مكتبتي صورة منها .

الديوان بين (٤٨) بيتًا ، و (٤) أبيات ، وقد استهل الديوان بإهداء من الشاعر إلى الطموح المجنح ، بعد ذلك جاءت مقدمة الديوان بقلم بدر الدين الحامد [١] الذي أثنى على الشاعر . ويلاحظ وجود رسوم بعد انتهاء كل قصيدة ، وهذه الرسوم قد لا تتوافق مع الطابع العام للقصائد ، ومنها ما يخدش الحياء ، كما يلاحظ – أيضًا – كثرة الأخطاء المطبعية .

٢– ديوان عواصف على هضاب فلسطين :

ظهرت الطبعة الأولى من هذا الديوان عام ١٣٦٨هـ – (١٩٤٨م) عن مطبعة الإصلاح بحماة في (٢٤) صفحة ، من الحجم الصغير ، واحتوى الغلاف صورة للشاعر ، واحتوى الديوان (٧) قصائد تراوحت بين (٤٧) بيتًا ، و (١٠) أبيات .

٣– ديوان حنين الليالي :

ظهرت الطبعة الأولى من هذا الديوان عام ١٣٧٤هـ – (١٩٥٤م) ، عن رابطة الأدب الحديث في القاهرة ، مطبعة المنيرية بالأزهر في (١٢٥) صفحة ، من الحجم المتوسط ، وقد استهل الديوان بإهداء من الشاعر إلى حنين الليالي ، وحنين الشعوب الكادحة ، بعد ذلك جاءت مقدمة الديوان بقلم أ. د. محمد عبد المنعم خفاجي الذي أثنى على الشاعر ، وعلى بعض قصائده [٢] ، واحتوى الديوان (٣٥) نصًا شعريًا ؛ منها (٣٦) قصيدة ، و (٥) مقطعات ، وقد تراوحت نصوص الديوان بين (٥٧) بيتًا ، وبيتين ، ويلاحظ كثرة الرسوم التي تسبق القصائد برسم قد يتناسب مع موضوع القصيدة ، وتأريخ قصائد الديوان ، ويحتوي (٧٧٢) بيتًا من الشعر ، وبقي أن أُشير إلى أنَّ الديوان يحتوي أخطاء مطبعية كثيرة .

---

(١) بدر الدين الحامد تقدمت ترجمته ص (١٥) .

(٢) هذه المقدمة مقتطفة من ورقة عمل للدكتور : محمد عبد المنعم خفاجي ، كان قد ألقاها في الحفل الذي أقامته كلية اللغة العربية في القاهرة ؛ لدراسة هذا الديوان .

٤- ديوان المجهولة :

ظهرت الطبعة الأولى من هذا الديوان عام ١٣٧٩هـ - (١٩٥٩م) في (٨٨) صفحة ، من القطع الصغير ، وقد استهلَّ الديوان بصورة له وللموسيقار : محمد عبد الوهاب ، ويلاحظ كثرة الرسوم التي ملأت صفحات الديوان ، وتخدش الحياء .

٥- غيبوبة الحب :

ظهرت الطبعة الأولى من هذا الديوان عام ١٣٨٨هـ - (١٩٥٩م) ، عن منشورات دار مجلة الثقافة في دمشق ، في (١٥٠) صفحة ، من القطع الصغير ، وقد استهلَّ الديوان بإهداء من الشاعر إلى الفتاة التي أحبها ، بعد ذلك قصَّ الشاعر - في مقدمة الديوان - قصة حبه لملهمته منذ ولادة ذلك الحب حتى نهايته في (١٨) صفحة بأسلوب أدبي ، واحتوى الديوان (٣٢) نصًا شعريًا ؛ منها (٢٩) قصيدة ، و (٣) مقطعات ، وتراوحت النصوص في الديوان بين (٣٤) بيتًا ، و (٨) أبيات ، ويحتوي (٦٠١) بيت من الشعر ، وجاءت آخر صفحة تحمل تعريفًا مقتضبًا بالشاعر ، ويلاحظ كثرة الأخطاء المطبعية .

٦- ديوان إشراق الغروب :

ظهرت الطبعة الأولى من هذا الديوان عام ١٣٩٨هـ - (١٩٧٨م) في (١٥١) صفحة ، من القطع المتوسط ، واحتوى الديوان (٣٨) نصًا شعريًا ؛ منها (٣٣) قصيدة ، (٤) مقطعات ، وتراوحت النصوص في الديوان بين (٥٠) بيتًا ، و (٤) أبيات ، ويحتوي (٨٥٠) بيتًا من الشعر .

٧- ديوان رسائل محرجة لنزار قبَّاني [١] **:**

ظهرت الطبعة الأولى من هذا الديوان عام ١٤٠١هـ - (١٩٨١م) ، عن

(١) **هو** : نزار بن توفيق القبَّاني ، ولد في دمشق عام ١٩٢٩م ، صاحب مذهب متفرد به في الغزل . له : أنت لي ، قصائد . توفي عام ١٩٩٨م . الأدب العربي المعاصر في سورية لسامي كيَّال ، دار المعارف ، ١٩٦٨/٢م ، ص (٤٣٨) .

منشورات اتحاد الكتاب العرب بسوريا في (٦١) صفحة ، من القطع الصغير ، واحتوى ثلاث رسائل موجهة إلى الشاعر نزار قباني :

الرسالة الأولى : جمال عبد الناصر [١] .

الرسالة الثانية : ميراث العرب .

الرسالة الثالثة : تجارة الشعر .

واستخدم شعر التفعيلة في الرسالة الأولى والثانية على أنه شديد الكره لشعر التفعيلة ، وقد جاءت القصائد بأسلوب تقريري مباشر ، وانفعال سطحي ، لم تتجلَّ فيها النزعة الفنية ، فهي أقلُّ قصائده شأنًا ومكانة ، ونلاحظ أنه تجنَّى في الحكم على نزار قباني في كثير من آرائه .

٨- ديوان شعب الله المختار :

ظهرت الطبعة الأولى من هذا الديوان عام ١٤٠١هـ - (١٩٨١م) في (٦١) صفحة ، من القطع الصغير ، واستهلَّ الديوان بنصوص من الإصحاح السادس من (يشوع بن نون) من العهد القديم في الكتاب المقدس (التوراة) ، ثم علَّق على تلك النصوص ، وأثبت بطلانها على طريقته ، واحتوى الغلاف صورة للشاعر ، كما احتوى الديوان على (٨٤) رباعية .

٩- ديوان علي دُمَّر :

ظهرت الطبعة الأولى من هذا الديوان عام ١٤٠٧هـ - (١٩٨٧م) ، أصدره النادي الأدبي الثقافي بجدة ، وأشرف على جمعه أ. د. بكري شيخ أمين [٢] ، في (٥٢٨)

---

(١) **هو** : جمال عبد الناصر ، ولد في بني مر بمحافظة أسيوط ، وانتقل إلى القاهرة وعمره ثماني سنوات . شارك في حرب فلسطين عام (٤٨م) ، وشارك في ثورة (٥٢م) ، حكم مصر (١٨) عامًا . توفي عام ١٩٧٠م . انظر : الأعلام (١٣٤/٢) .

(٢) **هو** : بكري شيخ أمين ، ولد في سوريا عام ١٩٣٠م ، درس في المرحلة الإعدادية والثانوية في المدرسة الشرعية=

صفحة ، من القطع المتوسط ، وقد استهل الديوان بكلمة للأستاذ : عبد الفتاح أبي مدين [١] ، ثم بأبيات للشاعر يستحثُّ رئيس النادي في إظهار الديوان في أسرع وقت ممكن ، كما قام الدكتور : بكري شيخ أمين والأستاذ : ياسر فتوى [٢] بالحديث عن الشاعر وشعره ، وبعد ذلك جاء التعريف بالشاعر بقلمه ، وقد احتوى الديوان (٢١٧) قصيدة ، وهذا الديوان لا يمثل جميع شعر علي دُمَّر ؛ لأن الذين أشرفوا على إخراجه أسقطوا كثيرًا من القصائد التي اعتقدوا انتهاء وظيفتها ، أو ذهاب مناسبتها . وهذا يعدُّ نقصًا واعتداءً على حقِّ الشاعر ، وبقي أنْ أُشير إلى أن هذا الديوان يحتوي أخطاء مطبعية كثيرة ، وأخطاء في ترتيب أبيات بعض القصائد ، فقد وردت في الدواوين المفرَّقة بترتيب مخالف لما وردت به في الديوان المجموع .

١٠- ديوان رباعيات علي دُمَّر (مخطوط) :

يقع هذا المخطوط في خمسة عشر فصلاً ، ويحتوي (٩٨٩) رباعية [٣] ، وهو محفوظ في منزله بحماة .

١١- ديوان عالم الأسرة :

ضم كل ما قاله الشاعر في أسرته . شعره في ولده أنس الذي نشر قسمًا منه في ديوان حنين الليالي ، وشعره في بقية أولاده ، وشعره في زوجته الذي نشر قسمًا منه في بعض دواوينه . إلى جانب عدد من النصوص التي لم تنشر من قبل كشعره في حفيدته ، وهو محفوظ في منزله بحماة .

أما آثاره النثرية فهي مخطوطة لم تأخذ طريقها إلى المطبعة ، وقد اطلعت عليها عند أبنائه وهي :

= بحلب ، حصل على دبلوم في التربية ، وحصل على الدكتوراه من جامعة القديس يوسف بلبنان عن رسالته : (الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية) . انظر : معجم البابطين للشعراء العرب .

(١) عبد الفتاح أبو مدين تقدمت ترجمته ص (٢٠) .

(٢) ياسر فتوى تقدمت ترجمته ص (٢١) .

(٣) أشار الشاعر إلى هذا الديوان في ديوانه (إشراق الغروب) .

١- مصفاة الشعر : موسوعة في علم العروض وموسيقا الشعر وأوزانه وقوافيه .

٢- مناقشات ودراسات في العروض والشعر الحديث .

٣- ملامح عمري : قسَّمه إلى خمسة عشر بابًا على النحو التالي :

الباب الأول : ملامح عمري . **الباب الثاني** : وادي الأحزان . **الباب الثالث** : غربتي . **الباب الرابع** : جحيم الحب . **الباب الخامس** : شباك فاشلة . **الباب السادس** : غيبوبة الحب . **الباب السابع** : الحب والطبيعة . **الباب الثامن** : الحب والأسرة . **الباب التاسع** : غناء الفكر . **الباب العاشر** : ترنيمات سياسية . **الباب الحادي عشر** : نَوح المعذبين . **الباب الثاني عشر** : أغنيات إلى أمتي . **الباب الثالث عشر** : مع إخواني الشعراء . **الباب الرابع عشر** : نقد الشعر . **الباب الخامس عشر** : كوخي .

ط- وفاته :

مرض عليٌّ في آخر حياته ، وشكا من جفاف شديد ، وألم في صدره ؛ إثر اتباعه لنظام غذائي قاسٍ اضطره إلى مراجعة الطبيب كثيرًا .

وفي مساء يوم الاثنين من الثالث عشر من شهر جمادى الآخرة من عام ألف وأربعمائة وخمسة من الهجرة الموافق للرابع من مارس من عام ألف وتسعمائة وخمسة وثمانين ميلادية ، طوى الموت الشاعر ، ودفن في محافظة الأحساء في قرية الطرف الواقعة في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية ، وختم بذلك حياة امتدت إلى ستين سنة تقريبًا .

وبعد مضي أربعين يومًا على وفاته أقام المركز الثقافي العربي في حماة حفلاً لتأبينه (١) ، اشترك فيه عدد من أصدقائه ، وألقى بعض الحاضرين كلمات وقصائد رثوه بها .

ومما رثي به قصيدة لمحمد منير الجنباز (٢) ، منها :

---

(١) **التأبين** : هو اجتماع قوم في وقت معين ؛ لمدح ميت ورثائه بالأشعار والخطب والكلمات المشتملة في الغالب على الكذب والمبالغة .

(٢) محمد منير الجنباز ؛ شاعر كان يعمل في عمادة شؤون الطلاب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

طوفت في كـــل البـــــلاد مناديـــــاً ... يا من رأى " أعشى حماة " الأصـــغرا
حتـــى قـــرأت مقالـــــةً بـــصحيفةٍ ... تنعـــــى أبا أنسٍ فقمت مـــسمـــرا
تبكيك جنـــات الـــشـــآم لطالمـــــا ... جالـــت بها عيناك وصـــفًا مبهـــــرا
وكتبت فـــي يمنـــاك عـــزَّ ديـــــارنا ... وأذبت نفسك فـــي الزهـــور لتثمرا

ومن الذين رثوه أحمد الخاني :

واعليَّـــا (كـــوخكم) عـــاد يبكـــي ... مثـــل نهـــرٍ بالرثـــا لـــك جـــاري
نم قريـــــرًا هنئـــــــاً في خلـــــودٍ ... كنت فينا كالنَّـــدى يـــا هـــزاري [1]

ويوسف بن عبد اللطيف أبو سعد [2] :

وجم الحمام فقلت يا شـــعر اســـجعي ... نبأ الحمـــام أتـــى فزعـــزع أضـــلعي
نبـــأ الحمـــام ســـطا بقلـــبي نـــصله ... فترقرقـــت عـــبر المحـــاجر أدمعـــي
الله ! كم عانيت من كمـــد الأســـى ... فكأنـــه حـــز الـــشغاف بمبـــضع [3]

ومحمد عدنان قيطاز [4] :

يا خـــديني في وحـــشتي وارتيـــاعي ... كيـــــف فـــارقتني بغيـــــر وداع ؟
جـــــادك الله مـــا عهـــدتـــــك إلا ... خـــير وافٍ علـــى الزمـــان وراع
لِـــمَ تخلفـــت رغـــم فـــرط انتظـــار ... واصـــطبار علـــى الأســـى اللـــذاعِ؟
جمـــرات الحـــنين تكـــوي ضـــلوعي ... وتـــثير الدفيـــــن مـــن أوجـــاعي

---

(١) شعراء عرفتهم ، ص (٥٤) .

(٢) **هو** : يوسف بن عبد اللطيف أبو سعد ، ولد في الهفوف بالأحساء عام ١٣٥٦هـ ، درس فيها وفي الرياض ، عمل معلمًا في وزارة التربية والتعليم . له : شواطئ الحرمان ، والبحر والضفاف ، وغيرهما ، وقـدمت عنـه أطروحتا ماجستير . توفي عام ١٤١٩هـ . انظر : غلاف ديوان شواطئ الحرمان لصاحب الترجمة ، مطـابع الجواد بالأحساء ، ١٤٠٨هـ .

(٣) جريدة الجزيرة ، الاثنين ٢١ شعبان ١٤٢٨هـ . العدد : (٢١٤) ، المجلة الثقافية .

(٤) محمد عدنان قيطاز تقدمت ترجمته ص (٢٣) .

لِمَ تخلفـــت يـــا علـــيُّ وهـــذا موسم الصَّيف مؤذنًا باجتمـــاع ؟ (١)

ولم يقتصر رثاؤه على الشعر ، بل رثي بالنثر ، ومن ذلـــك قـــول الـــشاعر رضـــا رجب (٢) : " الشعر بحد ذاته مأساة وغربة ، والشاعر غريب دائمًا ، وفي شخص الـــشاعر الكبير المرحوم علي دُمَّر اتَّحد الشاعر المطلق غريبًا بالشاعر الذي عاش غريبًا ، ومـــات في ديار الغربة " (٣) .

رحم الله دمر ، وطيَّب الله ثراه ، فلقد كان بحق مخلصًا لدينه وأمته .

(١) هذه أبيات من قصيدة بعث بها إلى الباحث الأستاذ : محمد عدنان قيطاز .

(٢) **هو** : رضا بلال رجب ، ولد بقرية عناب من محافظة حماة عام ١٩٥٢م ، وحصل على الـــدكتوراه في الآداب من جامعة دمشق ، وعمل في مجال التعليم ، وهو عضو اتحاد الكتاب العرب بدمشق . له : في ظلال السنديان ، ومحكوم بالحب ، ولدمشق سيدة العواصم . (مكالمة هاتفية) .

(٣) استمع : أشرطة حفل التأبين الذي أُقيم للشاعر في ١٩٨٥/٥/١٤م ، لدى أبناء الشاعر نسخة منها ، وكذلك الباحث .

٢ـ العوامل المؤثرة في شعره

لا شك أن للمعايير البيئية (المكان ، والزمان ، والمجتمع) أثرها في النفس عند كل إنسان ، فما بالك بالشاعر الإنسان ، فالإنسان – كما يقال – وليد بيئته فهو يتأثر بالمكان الذي نشأ وترعرع فيه ، وبالزمان الذي أمضى فيه أيام عمره وبالمجتمع وما يدور فيه من نشاط متنوع ، هذه العناصر هي التي تشكل المنطلق الذي ينطلق منه المرء في حياته بمختلف جوانبها السياسية والاجتماعية والفكرية .

فمنذ ولادة الإنسان يبدأ تأثره بمحيطه البيئي ، ففي أيامه الأولى يقتصر احتكاكه على والديه وأفراد أسرته في المنزل ، ومع نموه يبدأ في التعرف على أشخاص في إطار أكبر ، فيتعرف أماكن أخرى ، مثل الجيران والمدرسة والشارع والعمل و . . . ، وبرغم كون البيئة عنصرًا ماديًا حسيًا تأثيره عادة أقل من تأثير العناصر الفكرية والروحية إلا أن دوره في تكوين الشخصية مهم جدًا ، وتبين الدراسات الحديثة دورًا متناميًا للبيئة في صقل شخصية الإنسان ، فالبيئة الفقيرة تتيح شخصيات فقيرة فكريًا وثقافيًا وروحيًا ، وعلى عكس ذلك البيئة الثرية (١) .

ولا بد أن أشير إلى منطلق علم الاجتماع الأدبي الذي يعتبر أن التأثير المتبادل بين البيئة الطبيعية بمعاييرها ، وبين الأديب ونتاجه الإبداعي هو المكون الأساسي لمستوى الوعي الجمالي والثقافي لدى أي مبدع كان (٢) .

يبدأ التأثير منذ بداية حياة الأديب ، ويظل يعايشه ويستوعبه على شكل تراكم إبداعي طيلة حياته الإبداعية ، وينعكس ذلك التأثير في نتاجه الإبداعي بالضرورة ، ولكل مبدع تجاربه الاجتماعية التي لها الأثر الواضح في نتاجه الإبداعي ، فالأديب لا يستمد أدبه من ذاته ، وإنما أكثر إبداعه يُستمد من أشياء أخرى تند عن مقدرته في التحكم بها .

---

(١) انظر : ضرورة الفن لآرنست ، ترجمة : أسعد حليم ، الهيئة المصرية للتأليف والنشر ، ١٩٧١/١م ، ص (٧ – ٨) .

(٢) انظر : شعراء معاصرون ، للدكتور : إسماعيل أحمد أدهم ، دار المعارف بالقاهرة ، (١٦٧/٢) .

إذن فمعايير البيئة لها أثرها في قول الشعر ، بوصفها مهيئات ومحفزات ومصادر إلهام لقول الشعر ، وهي تلون الشعر بألوانها ، فيأتي معبرًا عن ظروفها وأحوالها ، فلكل بيئة سمتها الخاصة بها ، فالبيئة الجديدة تطرح لغة جديدة ، ومفردات جديدة ، وصورًا أخرى ، وتغذي خيال الفنان وتلهمه الأفكار .

ودمر تضافرت عوامل عديدة في تألق شاعريته ، وقد كان لها تأثيرات لافتة في المنحنى الشخصي لحياته ، وفي نتاجه الشعري ؛ إذ كان لديه الاستعداد الفطري الذي امتزج مع ثقافته المكتسبة ، وكان محاصرًا في بداية تكوينه الشعري بأشكال الجمال الأخضر والجداول المتدفقة والطيور المغردة .

ومما زاد في اتساع أفقه الأدبي سفراته لعواصم كثيرة ، اتصل بأوساطها الأدبية ، وتعرف من خلالها الحركة الأدبية في الأقطار العربية الأخرى .

والشاعر عاصر كثيرًا من الأحداث في العالم العربي ، فربط عطاءه الشعري بآمال أمته وآلامها .

وهو مرهف الحس أثَّرت في شاعريته عوامل كثيرة تعددت بتعدد المناخ الذي كان يحتويه ، فغذت خياله ، وألهمته الصور والأفكار :

أ- الموهبة :

" ليس من شك في أن الموهبة تمثل القلب لكل عمل فني ، إذا أمكن أن نمثل الفنان أو المبدع بالطائر ، فهي التي تضخ الدم في الشرايين ، وتبعث الحياة إلى الدماغ وسائر الأعضاء " (١) .

ودُمَّر كانت ملكة الشعر كامنة في حناياه كما استحوذت على أداته المعبرة ، فهو شاعر وهبه الله ملكة الشعر ، وهيأ له أسباب التحصيل حتى تفجرت شاعريته ، وفاضت موهبته .

---

(١) مكة في شعر حسين عرب ، أ. د. محمود بن إسماعيل بن عمار ، نادي الطائف الأدبي ، ١/١٤٢٥هـ ، ص (٢١) .

وقد ظهرت موهبته منذ وقت مبكر في حياته وهو لا يزال صبيًا على مقاعد الدراسة . يقول : " اكتشفت موهبتي في ظروف عاطفية ؛ ذلك أن أطفال القرية يلعبون على المروج الخضراء بين نباتات الربيع وأزهاره المختلفة ، ويقلدون الكبار في إقامة حفلات الأعراس ، وكثيرًا ما جعلوا مني عريسًا ، وزفوني على أجمل بنت بينهم اسمها (وردة) ، وكم كنت أنتظر المساء بفارغ الصبر ؛ لأقابل وردة وأمثل معها دور العريس بين زغاريد أخواتها وغناء بقية الأولاد ، فوجدتني أدندن بأبيات في تلك السن المبكرة ، وكنت أتجه في كل ما أكتبه إلى أساتذتي في المدرسة ، فيستحسنون ما أكتب من أبيات موزونة ، كتبتها بالفطرة " (١) .

وهو يسلك في عداد الشعراء المطبوعين ، الذين ولدوا بنفس شاعرة وإحساس طاغ بالروعة والجمال ، فما إن اكتشف موهبته حتى بدأ مرحلة صقلها بالممارسة ، ومن يطلع على ديوانه الأول (رعشات) يرى أن عليًّا قدم نفسه لمتذوق الشعر على أنه ليس إلا فرخ هزار يتغنى على فنن في روضة من رياض حماة . وعلى الرغم من أن ألحان هذا الهزار ما زالت في بدايتها ، وأنها لم تبلغ بعد ما بلغته ألحان الهزار الكبير المتمرس ، فإن النسيم الهيمان في الروض قد ردد شدوه ، والعصافير المزقزقة قد توقفت عن زقزقتها ؛ لتصغي بكل وقار إلى غنائه ، وأن مياه النهر قد تمنت أن تتجمد حتى ترتوي من ألحانه (٢) . يقول في قصيدة بعنوان (رعشات) (٣) :

إن فرخ الهزار في الدوح يشدو ... هل سمعتم ألحان فرخ الهزار
النسيم الهيمان في الروض أضحى ... يتغنى بشدوه وهو ساري
والعصافير زقزقت ثم لما ... سمعته أصغت بكل وقار
واشتهى النهر لو تجمد حتى ... يتروى من لحنه وهو جار

فالشاعر هنا يبشر بمولد شاعر سيغطي الآفاق بشعره وألحانه ، ويرى الباحث أن الشاعر في هذه الأبيات قد لفَّ نفسه بثوب من النرجسية ، فبدأ مدلاً بشاعريته .

---

(١) ملامح عمري ، ص (٢٠) .
(٢) انظر : علي دُمَّر شاعر الحب والغربة والحنين ، ص (٢٢ ، ٢٣) .
(٣) ديوان رعشات ، ص (٥) .

ولا شك أن هناك ترابطًا بين موهبة الشاعر والتفاعيل التي يصب فيها تجربته الشعرية ، فالشاعر يعكس الحياة التي تخالط نفسه في صور شتى من خلال تفجر طاقاته الشعرية .

ب- المناخ السياسي :

بدأ علي دُمَّر حياته في ظروف سياسية عصيبة ؛ عالميًا ومحليًا ، فقد فتح عينيه والحرب العالمية الثانية تشتعل ، وسلسلة الانقلابات العسكرية بعد استقلال سورية كانت مستمرة ، وقد عايش محنة الشعب الفلسطيني ، وحروب العرب ضد إسرائيل أعوام (٤٨ ، ٥٦ ، ٦٧ ، ٧٣ ، ٨٢م) . فالحياة السياسية التي تعاقبت على سورية من العهد العثماني إلى عهد الاستقلال ، مرورًا بعهد الانتداب ، وما حمل من مظاهر خداعة ، وفوضى ، دفعت السوريين إلى مناوأة الانتداب والدعوة إلى الاستقلال ، هذه الحياة كلها لم تفارق عدسته الشعرية ، وقد عبَّر عنها تعبيرًا فنيًا يحمل كثيرًا من الرؤى والأفكار ووجهات النظر .

ومن أبرز الأحداث التي خاضتها سورية ، وعاشها الشاعر ، الوحدة بين مصر وسورية في جمهورية عربية واحدة عام ١٣٧٧م - ١٩٥٨م [١] وغيرها من الأوضاع السياسية التي انعكس أثرها الدامي في أشعاره .

لقد عاش دمر الهم العربي ؛ بحيث امتلك عليه وجدانه ، فلا تكاد تجد ديوانًا من دواوينه يخلو من الحديث عنه ، وكيف لا يكون ذلك وقد خالط فؤاده ، وجرى في شرايينه ؛ وهاهو ذا حين يتحدث عن مصائبه ، ينسل ليتحدث عن واقع أمته [٢] :

نظرت لواقعي ففزعت منه ... مآسي لا تحبر في مقال

. . . . . .

لهونا عن أعادينا بكره ... نجرع نفسنا كأس الزوال

بأندلس فنينا من خلاف ... وما زال الخلاف بنا يغالي

---

(١) انظر : سورية ١٩١٨م - ١٩٦٨م ، للدكتور : جورج جبور ، دار الأبجدية بدمشق ، مطابع ألف باء الأديب ، دمشق ، ١٩٩٣/١م ، ص (٨٩) .

(٢) ديوان علي دمر ص (١٧٣ - ١٧٤) .

فالشاعر يحمل لأمته خير ما يحمل قلب نابض بالحياة ، فهو حينما ألقى نظرة على ما كانت عليه الأمة ، وما آلت إليه حالها ، أرسل الأنَّة تلو الأنَّة ، ورفع صوته منبهًا موقظًا ، وداعيًا إلى التمسك بحبل الله المتين .

فهذه اللهفة على الوطن الصغير ، وتلك الحرقة على قضايا الأمة الكبرى هي التي غذت شاعريته ، وأرهفت إحساسه ، ومدته بصورها الصاخبة بعد أن وجهته نحو الشعر الملتزم بوجوهه الإسلامية والسياسية .

ج- اتصاله ببيئات مختلفة :

نازعت الشاعر بيئات متعددة مختلفة ، فهو سوري ، وينتمي إلى أسرة فقيرة ، نشأ في ظل ظروف سيئة اضطرته للسفر إلى لبنان ، ثم دمشق ، ثم عاد إلى مسقط رأسه حماة ، ثم سافر إلى مصر للدراسة ، فأمضى هناك أربع سنوات .

ففي حماة لم يكن يعتمد على معطيات نقدية متخصصة ، ولم يكن مطلعًا على النماذج الأوربية ، بل لم يكن ينطلق إلا من موهبته وثقافته المتواضعة في عالم الشعر ، ولا أشك في أن اتصاله ببدر الدين الحامد الذي كان يشمله بالتشجيع والتوجيه ، وارتياده لمدارس القرية التي تصرف أكثر اهتمامها إلى العلوم الدينية والعربية ، كان لهما الأثر الواضح في صقل موهبته ، ووضعه على أولى عتبات قول الشعر الجيد .

وقد كان للقرية آثار في نفسه وشعره ، منها أثر الرضى بوداعة الريف ، وصفائه وجماله وهدوئه ؛ يقول (١) :

يا ريف أنقذتني من ضنك حاضرة ... ومن ضجيج بها يطغى على الفكر
فالله في قريتي لا غيره أبدًا ... أنا أسبح والعصفور في الشجر

ومنها أثر الملل من وحشة الريف ورتابته وجموده (٢) :

---

(١) ملامح حياتي ، ص (٩) .

(٢) ديوان حنين الليالي ، رابطة الأدب الحديث ، القاهرة ، مطبعة المنيرة بالأزهر ، ١٣٧٤/١هـ ، ص (١٠٣) .

تعاكسني الأقدار في كل بغيةٍ وتتركني رهن الشقاء المحتم
أود انطلاقًا كاملاً فتزجني بقرية بؤسٍ كالحبيس بقمقم

وما أن هبط مصر – التي كانت من أقوى مراكز الثقافة العربية الأصيلة والمعاصرة ، وأكثرها فاعلية وإشعاعًا – حتى عمل على توطيد صلاته بأدبائها ومفكريها ، ومن كان ينزل بمصر من شعراء الوطن العربي وأدبائه من خلال الأمسيات الشعرية ، والندوات الأدبية ، والمحاضرات ، فمن الأدباء المصريين : كمال نشأت (١) ، وإبراهيم ناجي (٢) ، وسواهما ، ومن غير مصر محمد الفيتوري (٣) ، من السودان ، ومحمد الحوماني (٤) من لبنان ، وإبراهيم هاشم فلالي (٥) ، من السعودية .

---

(١) **كمال نشأت** : ولد عام ١٩٢٣م بمدينة الإسكندرية ، وتخرج في قسم اللغة العربية بجامعة الإسكندرية ، وحصل على الدكتوراه من جامعة عين شمس . عمل مدرسًا . له : رياح وشموع ، أنشودة الطريق ، ماذا يقول الربيع . انظر : معجم البابطين للشعراء العرب .

(٢) **إبراهيم ناجي** : ولد في القاهرة عام ١٨٩٩م ، التحق بكلية الطب فنال شهادتها ، عُيِّن طبيبًا في مصلحة السكة الحديدية ، ثم انتقل إلى وزارة الصحة ، فوزارة الأوقاف . انتسب إلى جمعية أبولو . له : وراء الغمام ، ولياليالقاهرة ، ومدينة الأحلام ، وعالم الأسرة . توفي عام ١٩٥٣م . انظر : الأدب العربي المعاصر في مصر ، للدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، ط (٩) ، ص (١٥٤ – ١٥٥) .

(٣) **محمد الفيتوري** : ولد في السودان عام ١٩٣٦م ، نشأ في الإسكندرية ، ودرس بالمعهد الديني ، ودرس في كلية دار العلوم ، عَمِل محررًا . له : أغاني إفريقيا ، وعاشق من إفريقيا ، واذكريني يا إفريقيا . انظر : معجم البابطين للشعراء العرب .

(٤) **محمد علي الحوماني** (١٨٩٨ – ١٩٦٤م) الموافق (١٣١٦ – ١٣٨٣هـ) : شاعر أديب رحالة ، ولد في النبطية بجبل عامل ، ودرس في لبنان ثم النجف .
ولمحمد عبد المحسن الفقيه : النزعة الإسلامية في شعر محمد علي الحوماني ، رسالة ماجستير قدمت في اللغة وآدابها ، جامعة القديس يوسف في بيروت عام ١٩٧٩م . وله دواوين شعرية وقصص ومؤلفات أخرى .
انظر : الأعلام (٣٠٨/٦) ، ومعجم الشعراء منذ بدء عصر النهضة ، للدكتور إميل يعقوب ، ص (١٠٤٦ – ١٠٤٧) .

(٥) **إبراهيم هاشم فلالي** : ولد بمكة المكرمة عام ١٩٠٦م ، درس في المدرسة الصولتية ، وتقلب في عدد من الوظائف ، ثم تفرغ للأدب والبحث . له : رجالات الحجاز (تراجم)، ومع الشيطان (قصص) ، وصبابة الكأس (شعر) . توفي عام ١٩٧٤م . انظر : المرصاد ، لصاحب الترجمة ، مطابع الفرزدق ، الرياض ، ١٤٠٠هـ ، ص (٩ – ١٢) ، وكتاب إبراهيم هاشم فلالي ، للدكتور خالد الدنياوي ، نادي جدة الأدبي ، ١٤٢١/١هـ .

وفي هذا المفصل من حياته اختلط بالمثقفين والمفكرين ، وتردد على المجالس الأدبية والصالونات الفكرية الرسمية والشعبية ، واشترك بالنقاش المحتدم والجدل الذي يختلط فيه الأدب بنواحي الحياة . وتعرف على أجواء شعرية ذات ألوان جذابة عند أمثال خليل مطران ، والشابي ، وعلي محمود طه ، وجبران ، وتنظيرات العقاد والمازني وجماعة أبولو ، وما كانت تبثه المؤلفات النقدية والدواوين الشعرية والصحافة الأدبية الناشطة ، إضافة إلى تأثير السينما والإذاعات والمسارح من ضروب الأعمال ذات الطابع العاطفي الرومانسي ، وما نقلته الترجمات والدراسات الأكاديمية من زاد ثقافي حول أشهر أعلام الرومانسية الأوربية ، وأبرز نتاجهم الأدبي . تلك الثقافة التي استهوت بجدتها وحساسيتها وتحررها وعمقها العاطفي الشباب العربي المثقف ، ولا سيما الشعراء الشبان من أمثال دمر ، أسهمت في اتساع أفقه واغتناء تجاربه وارتقاء أشعاره .

ومن مصر انتقل إلى المملكة العربية السعودية للعمل ، فتحقق له ما يتمناه وهو أن يكون في جزيرة العرب مهد أجداده ، فلبس الزي السعودي التقليدي ، وشرب القهوة البدوية ، وعشق الحياة السعودية .

وفي السعودية تنقل بين مناطق عديدة مثل : جدة ، رابغ ، بريدة ، المذنب ، الأحساء ، أبها ، ظهران الجنوب ، نجران .

ويوجز دمر أبعاد تلك الرحلة في قوله : " لقد كان للسعودية أكبر الأثر في حياتي ، فهناك التقيت لأول مرة بمجهولتي ، وهناك طاردت أحلامي ، وهناك تعرفت إخوة كان لهم أثر في حياتي الأدبية والثقافية والاجتماعية . . . ، وهناك جاورت الحرم ، ثم أبعدت عنه ، حينما نقلت إلى رابغ ، فكم آلمني هذا الانتقال الإجباري ، وقد قلت :

أبعد شقوتي وأملي الكذاب تلقيني في رابغ في مهمه التراب

ثم نقلت إلى الأحساء ، فتعلقت ببساطها الأخضر ، وقلوب أهلها الأطهر من نسمات العليل ، فكم تنقلت في بساتينها في معية إخوان لا أجمل ولا أصفى . . . " (١) .

(١) ملامح حياتي ، ص (٢٧) .

وقد واتته ظروف حسنة للقاء شخصيات مرموقة ، غذَّى فكره من أطايب حديثهم ، فأكسبه هذا صفات أرهفت طبعه ، وأذكت شاعريته ، ودفعته إلى رعاية فنه .

والواقع أن اتصاله بتلك البيئات أخصبت شعره ، ووسعت آفاقه ، وعمقت تجاربه ، ومن خلال تتبع السنوات التي قضاها في مصر وفي السعودية يجد الباحث نتاجًا وفيرًا ومتنوعًا ، ولا سيما رحلاته في السعودية التي تنقله إلى أجواء جديدة ، وعوالم متنوعة ، تضاف إلى رصيده السابق .

د- الطبيعة :

ولد دمر بمدينة " حماة موئل الشعر وروضته ، قد حباها الله بطبيعة ساحرة ، تبعث إلى الانعتاق في أجواء شعرية آسرة ؛ إذ يخترقها نهر العاصي بمائه العذب النمير ، فتتكئ على ضفتيه ما امتد امتداد الحلم حدائق غُلْبٌ وبساتين ناضرة زاهرة ، وتتناوح في كثير من مواقعها (نواعير) دائرة حائرة كانت ولا تزال ملهمة الشعراء قديمهم وحديثهم بما ترسله في دورانها المستمر ليل نهار من أنين عذب شجي " (١) ؛ يقول الشاعر (٢) :

كم لي على ضفة العاصي وقد سكر الـ ـصفصاف من مجلس في الروض معهود
هناك إن جنحت شمس الأصيل زهت شطآنه بالرعابيب الأماليد
ولي هنالك أتراب إذا بعدوا يغيب أنسي وتجفوني أغاريدي
إذا أتيتهم طاروا بشاعرهم إلى الخمائل في هزج الزغاريد
كم نزهة فيهم والبدر يضحك إذ جرس الجداول سكران الأناشيد
وللنواعير آهات كما انتشرت أنات منصهر بالعشق مفؤود

إذن أمضى الشاعر طفولته ، ومطلع شبابه تحت أشجار التوت وكروم العنب والرمان والزيتون ، وعلى ضفاف نهر العاصي ، وقرب العيون المتفجرة العذبة ، والشلالات الساحرة ، يشدو مع الطيور ، ويعانق نسمات الهواء ، ويلوِّن يديه ورجليه بحنائها الأخضر ،

(١) مقدمة ديوان علي دمر ، ص (١٧) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٤٥٩) .

ويطارح الرياح ، فتارة يقاوم ويصمد ، وأخرى يقع ويسقط ؛ يقول (١) :

فتعـــالي إلى الـــضفاف إذا الـــشمـــ ـــس اضمحلت وحاولـــت أن تغيبـــا
فـــاحمرار الأصـــيل ينـــشر في الـــرو ح حنينـــــاً وصـــــبوةً ولهيبـــــا
وغمـــــام الجـــواء صـــار محبـــــاً شـــفه الوجـــد فاســـتجد نحيبـــا
دمعـــه يـــضحك الخمائـــل فـــالرو ض ينـــاغي لـــدى المـــساء القلوبـــا
جل من لـــون الأزاهـــير في الفجـــ ـــر وأبـــدى بهـــا الجمـــال ضـــروبا

نلحظ أن روح الشاعر استمدت خصائصها من طبيعة الريف مـــن نهـــر العاصـــي ، والأودية الجارية ، ومن الأرض الزراعية ، ومن اعتدال المناخ ، ومـــن أشـــجار الفواكـــه المتنوعة ، لا سيما أشجار التفاح والبرتقال ، ومن الطيور الصداحة المختلفة الألوان ، ومـــن كل ما في هذه الطبيعة المرقصة المنعشة الحية .

والطبيعة عند الشاعر هي مسرح لهوه ومرحه ، والمنبع الذي يـــستقي منـــه صـــوره الشعرية (٢) ، وهي " الآفاق الرحيبة الآفاق التي يخلق فيها خياله المجنح ، والبحار التي يغوص في أعماقها ؛ ليقتنص منها كل ما يعجب ويطرب من الصور والمعاني والأساليب ، وهـــي بمظاهرها المتنوعة البرهان الساطع ، والدليل القاطع على وجود المبدع العظيم " (٣) .

ودفعه تعلقه بالطبيعة إلى أن تمنى اعتزال الناس في كوخ يقيمه في الغابة ، يفـــرغ فيـــه للشعر وتأمل الطبيعة ؛ يقول (٤) :

أنـــــا لـــــو ألقيـــــت في غابـــــة لـــــن أخرجـــــا
علـــني ألقـــى مـــن النـــ ـــاسِ فيهـــا ملتجـــا
أجـــــد الوحـــــدة مـــــن كـــــل هـــــم فرجـــــا

(١) ديوان حنين الليالي ، ص (٢٦ – ٢٧) .
(٢) انظر : علي دمر شاعر الحب والغربة والحنين ، ص (١٩٢) .
(٣) المصدر السابق ، ص (١٩٢ – ١٩٣) .
(٤) ديوان علي دمر ، ص (٤٣٠) .

. . .   .

أحتـــــسي كـــــوب الهنـــــا   في بـــــساتين الحجـــــا
خـــــير صـــــحبي أســـــطر   وســـــراج في الـــــدجى
وبكـــــوخي عـــــالمي   مـــــن أســـــى الـــــدنيا نجـــــا

وقد استعاض بالطبيعة عن أمه وحنانها ، وعن أصدقائه ، فهي : أمه التي تحبه وتحدب عليه ، وتحنو إليه ، وتشاركه أفراحه وأتراحه ، وهي : صديقه الذي يستودع لديه أسراره ، وهي : العدو الذي ينتظر منه غفلة فينقض عليه .

وللطبيعة أثر واضح في تراكيبه الشعرية ، فقد أثَّرت في لغته ، ومعانيـــه ، وصـــوره ، وموسيقاه .

هـ- مطالعاته وتثقيفه نفسه :

لم يقتصر تعلمه على ما تلقاه في كلية اللغة العربية بالقاهرة ، بل كانت دراساته الحرة من أهم العوامل التي أثَّرت في تكوينه ، فقد استقى دمر ثقافته من مناهل مختلفة ، بعـــضها عربي ، وبعضها غربي مترجم ، وجمع إلى هذه (الثقافة المزدوجة) مـــا اقتـــضته رســـالته الإسلامية ، من وقوف على القضايا التربوية والاجتماعية والسياسية المتوالية علـــى ســـوريا والبلاد الإسلامية ، وإذا أضفنا ما كان من تردده على المجالس الأدبية والصالونات الفكرية ، كان لنا من هذا معين على تتبع التطور في أدبه ، وعلى خصائص شعره .

فقد تلقى في مدارس الإعدادية والثانوية (ثقافة موحدة) عربية مقتصرة على العلـــوم الدينية واللغوية ، فحفظ بعض القصائد المنتقاة ، والأناشيد الصوفية ، فظـــل مـــشدودًا إلى الأصالة ، بل حتى حينما درس في كلية اللغة العربية بالقاهرة ، بقي ألصق بالأصالة العربيـــة والاتباعية الجيدة منه بالمدارس الحديثة المتضلعة من ثقافة الغرب ، ولهذا ظل مخلصًا للـــوزن الخليلي .

ويبدو للباحث من خلال آثاره أنه قرأ كثيرًا من المؤلفات الأدبية ، ودواوين فحـــول الشعراء في مختلف العُصُر .

فقد طالع الأغاني ، فأطل منه على الموروث العربي بدليل ما استلهمه من مضامين هذا الكتاب ، وحسبي منها الإشارة إلى ذلك النغم المطرب الذي لازم كثيرًا من قصائده ، وقرأ المفضليات والنقائض والمعلقات ودواوين الحماسة ، وغيرها من عيون قديم الشعر بدليل تضمينه في قصائده بعض أبيات فحول الشعراء ، من ذلك تضمينه بعض أبيات معلقة طرفة بن العبد في قصيدة (سنلتقي) (١) ، وقد احتفظ في مكتبته بتلك الكتب ، فضلاً عن كتاب (المستطرف في كل فن مستظرف) لشهاب الدين أحمد الأبشيهي ، والعقد الفريد لابن عبد ربه ، وغيرها من الكتب .

أما المؤلفات الحديثة التي عمرت بها مكتبة الشاعر فمنها : مختارات البارودي ، وديوان شوقي ، وإبراهيم ناجي ، وعلي محمود طه ، وكتاب تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان ، وكانت مكتبته كرمًا على درب كل عابر سبيل ، كما كانت عرضة للإهمال بدليل ضياع بعض أجزاء بعض الكتب ؛ لذلك لم أستطع أن أكوّن فكرة تامة عن مطالعاته الأدبية والثقافية .

وطالع عددًا من الروايات المترجمة منها : البؤساء لفكتور هيجو ، ومغامرات روكمبول . ثم إن الصحافة العربية قد أفردت للترجمات بابًا ، فكانت عاملاً فاعلاً في تعميم اط الغربية ، وتوجيه أذواق القراء في الأقطار العربية .

ومن خلال دراستي لشعره تبين لي أنه كان مطلعًا على النماذج الغربية المترجمة ؛ من ذلك قوله (٢) :

إن تغنى هومير مجد أخيل ... في حكايا ملاحم الطرواد
فسعيد أخيلنا وفتانا ... هو إلياذة الليالي الشوادي
ألف أوديسة لنا من قديم ... كم ألوف من عنتر شداد

ومطالعاته كانت عامل دفع لقدراته الخبيئة ، وإنضاج لرؤيته لواقع الحياة والكون من

(١) انظر : ديوان علي دمر ، ص (٩٧) .
(٢)

حوله ، وتأصيل لمبادئه ، وإثراء لتجربته الشعورية ، وتعميق لها .

وكان لاحتكاكه بمجموعة من الشعراء ، وحضوره للمناسبات الأدبية أثر في ثقافته .

و- رغبته في الظهور :

حرم علي دمر الشهرة في حياته ، ولم يسلط الضوء على نتاجه الشعري بالطريقة التي ترضيه ، فغادر الحياة ولم ينل نصيبًا من ذيوع الصيت .

وكثيرًا ما حاول أن يلفت الأنظار إليه ، فنشر الدواوين ، واتصل بالمجلات الأدبية ، وكتب المقالات الأدبية ، وشارك الأُمَّة في آلامها وأحزانها بقصائده المعبرة ، ودفع ثمن مواقفه باعتقاله وسجنه .

وقد كان ثابت الخطى ، ثابت الجنان ، تدفعه ثقته بنفسه إلى السمو ، محلقًا في أجواء الشعر الأصيل ، مبتعدًا عن خندق أدعياء الشعر لائكي ثيِّب المعاني ، أو مرددي بكر الألفاظ ، لكنه ظلَّ حيث هو ؛ لأنه لا يحسن المداجاة والمصانعة والمماحكة . يقول في قصيدة (بين الشهرة والخلود) [1] :

شعري أضن به للعابثين كما ... يضن ذو لؤلؤ يفيد بالمال
إن لم أصب شهرة في عصرنا فغدًا ... كتزي سيفتح بعد القيل والقال
ويغتدي كاشف الكنز الثمين له ... في الناس شهرة حكامٍ وأبطال
بعد الألوف من الأعوام يقرؤني ... قلب امرئٍ بخفايا الفن جوال
فتنتشي روحه من خمرتي ويرى ... كم ذا حرمت بعصر الوغد آمالي
أضرني اليوم أن أخفى على زمني ... كم شهرة لسخيفٍ أجوفٍ خال
كم طبلة تملأ الآفاق قرعتها ... ومعزف ناعمٍ كالسر في البال
النَاس أكثرهم في الجهل منصهر ... يروقهم كل خداعٍ وقوَّال
ومن أعاظم في أيَامهم غمروا ... لكن خلودهم كالكوكب العالي

(١) ديوان المجهولة ، ص (٨٥) .

لا تعرف الفـــن مما قيـــل عنـــه وذق منـــه بلا قـــول مـــــداح وعـــــذال
كم ضجة لجموع النَاقـــدين لـــــدى دعـــي فـــــن رخيص الـــذوق نقـــال
كم ناقدٍ معـــرضٍ أو جاهـــــلٍ نـــتنٍ وعصبـــــةٍ فـــي دروب النقد أنـــذال
آلاف آراء زورٍ فـــي صحـــافـــتهم تجارة الصـــحف تهـــوى كل طبَّـــــال

وكان دُمَّر برمًا بهذه الحالة ، ولعلَّ هذا راجع إلى أنه كان يأمل أن يكون بطلاً علـــى مسرح الشهرة ، وأن يصل بشعره إلى ما وصل إليه من هم أدنى منه موهبة ، ومن أولئـــك الذين وسموا بالتملق والنفاق وسيء الأخلاق ، وقد أشار في شعره إلى أنه أصبح نسيًا منسيًا لا يذكر اسمه ، وإن كانت الشهرة قد تخلَّت عن طريقه ، فهو لم يتخلَّ عن مبادئه أليس هو القائل (١) :

شعر نداء الضمير الحـــي لـــيس لـــه غايـــات شـــهرة تطبيـــل وتـــزمير

ولعمري لقد ظلم دُمَّر مرتين : الأولى في حياته بما لقيه من تجاهل وغربة ، والثانية بعد موته حين نسيه التاريخ وتجاهله الأدباء والنقاد ، حتى إنَّ ديوانه لم يظهر مجموعًـــا إلا بعـــد موته .

وهذه المعاناة التي عاشها في حياته الواقعية أصبحت عاملاً في إشعال جـــذوة الـــشعر لديه ، وظلت حاضرة في كثير من نصوصه الشعرية ، وإن حاول الفكاك منها .

ز- عوامل أخرى :

إن نشأة الإنسان في كنف أسرة تنعم بحياة وادعة ، ليست شرطًا من شروط الإبداع ، فدُمَّر واحد من المبدعين الذين نشؤوا في ظلِّ ظروف شديدة القسوة اختلطت خيوطهـــا في نسيجه الإبداعي ، وعصفت به أحداث لم تتجاوزه إلا بانتقاله إلى جوار ربِّه ، فقد نـــشأ في فقر مدقع تنامى بوفاة أبيه ، ففقد بموته حنان الأب وعطفه وحدبـــه ، وصـــاحب الجـــوع والفاقة ، والحاجة إلى ما يسدُّ رمقه ، ويقيم أوده ، فعمل - وهو لم يبلغ العاشرة من عمره -

(١) مذكرات عن السنوات الأولى ، ص (٩) .

في حرف شتى منها : النجارة ، والحدادة ، والحلاقة ، وعمل إسكافيًا ، ومبيضًا للنحاس ، وكانت هذه الأعمال شهادة كافية أهَّلته للالتحاق بحزب البؤساء الذين يجثم فوقهم الفقر بكلكله ، ويطحنهم الشقاء برحاه ؛ يقول (١) :

نشقى نهارًا ليدنو عند المساء العشاء
من بعد كدحٍ طويلٍ يصيبنا الإعياء

وظلَّ هذا الأثر غائرًا في نفسه ، لم تبرئه وظيفة معلم في بلد لا يبخل في مكافأة المعلمين ، يقول في قصيدة (اليتم) (٢) :

نشأت يتيمًا غريب الصفات فقيرًا بأخصب أرض الوطن
ألفت اغترابي في موطني وفي غيره وتوالي المحن
يطول اغترابي عن بلدتي إذا جئتها صرت مثل الغريب
وفي غيرها أنا أيضًا غريب فهل وطني الحق خلف الغيوب
تركك اليتم بنفسي نهرًا جاريًا من منبع الحزن العميق
شاربًا من خمره منتشيًا طول عمري من همومي لا أفيق
نحن في الوحل وأنتم في القصور أيُّ عدلٍ يرتضي هذي الأمور

فطعم الفقر الذي ذاق مرارته في طفولته ، أورثه روحًا غاضبة على عالم الأثرياء وأصحاب القصور وأبناء الرخاء ، وظلَّ يقف في صف أبناء الفاقة والشقاء . يقول في قصيدة (الوحل والقصر) (٣) :

نحن في الوحل وأنتم في القصور أيُّ عدلٍ يرتضي هذي الأمور

وفتك به الحب ، ووقع في الغرام ، وتعلَّق فتاة شغلت وجدانه على الرغم من تقدم

---

(١) ديوان علي دمر ، ص (٤٢٧) .
(٢) ملامح من حياتي ، علي دُمَّر ، ص (١) .
(٣) مذكرة عن السنوات الأولى ، ص (٤) .

سِنِّه ، فسكب هذا الحب في قصائد مثرية ، وتدفق جدول الغزل في شعره ، يقول : " ولا تعلم أي شيء عن قصائدي من وَحْيها ، قد يكون هذا وقد يكون غيره ، فأنا في شك وحيرة ، ولكن لا تسأل ماذا حدث بهذا الشاعر المحروم العاشق المكتوم المغترب حيث فتحت له نافذة من مغاليق عوالم عاطفية لم يحلم بها من قبل ، ووجد الجرأة حينئذ على البوح والكشف عن دفين أعماقه ، فكتب لها رسالة مطولة وضم إليها قصائده السريَّة من وحيها ، وبقي أيامًا يتردد في إرسالها ، ثم عزم على المغامرة والمقامرة بإرسالها ، وليكن ما يكون ما دامت هي التي بدأت المراسلة وأرسلها ، وانتظر حكمًا رهيبًا ومفاجأة لا يدري مصيرها ، ولكن مصيرها ظهر في مساء اليوم التالي حيث دخلت وعلى وجهها إشراق عذب ، وابتسامة جديدة لم يعهدها من قبل . . . " (١) .

وابتلي باغتيال ابنيه عَرَب ، وأبي العَلاء وهو في سن متقدمة ، وكذلك باعتقاله ؛ إثر عودته لسوريا ؛ لتقبل واجب العزاء في وَلَدَيْهِ ، وكان لغُربته أثر ملموس في شعره ، وحافز ودافع له نحو الإبداع ، فقد كان يعيش غربته داخل ذاته أكثر من خارجها ؛ لذا ظلَّ عاجزًا عن الفكاك منها . وغُرَبه أصبحت كالبراكين العنيفة في حياته ، فطغت النبرة الذاتية الحزينة عليه ، ومن تلك العوامل تكوينه الجسماني ، فقد كان معتدل القامة ، أميل إلى القصر منه إلى الطول ، وكان ممتلئ القوام ، وكثيرًا ما كان يعتقد أن بدانته وقصره قد أعاقا سيره في طريق الشهرة والمجد والحب ؛ يقول : " كنت أعتقد في مطلع الشباب أن إعجاب بعض الفتيات بي ما هو إلا إعجاب بهيئتي وشكلي حتى صدمني قول تلك الفتاة التي فاجأتني بقولها : إنها فتاة حالمة ، تجد في أشعاري فارس أحلامها ، وأني لا أتمتع بصفات تجذب الفتيات ، فأنا ممتلئ الجسم ، قصير القوام . . . حينها أدركت أن الفتيات يردن عليًا الشاعر ، وليس عليًا الإنسان ، وسيظل علي الإنسان يسير خلف علي الشاعر ؛ كي يرعاه . . . " (٢) .

وقد عبَّر عن تلك التجربة بقوله (٣) :

---

(١) ديوان غيبوبة الحب ، ص (١٢ ، ١٣) .

(٢) مذكرات السنوات الأولى ، ص (٣٠) .

(٣) ديوان إشراق الغروب ، ١٣٩٨/١هـ ، ص (٣٢٣) .

وأفقـــت مـــن الـــوهم المخـــزي وصـــحوت علـــى جمـــر الهـــون
وتهـــاوى قـــصر مـــن ذهـــب ورجعـــت إلى كـــوخ الطـــين

هذه المحن التي انصبت عليه في تتابع وقسوة " هزَّت كيانه المرة بعد الأخرى ، ولذعت قلبه بجمرات حامية ، كلما خبت واحدة اتقدت غيرها ، فزوَّدته برهافة الحس ودقة الشعور وتيقظ الوجدان " (١) ، وأنضجت فنه ، وعمَّقت تجربته الشعرية .

وكثيرًا ما حاول أن يمضغ ألمه ، ويخلو به في ذاته ويشاهده في مـــرآة نفـــسه بجميـــع انعكاساته ، ولكن رفقته للآلام من نعومة أظفاره ، لم تسهم في كتم ألمه ، وسدل الـــستار على أوجاعه ، بل أسلمته للكآبة واليأس دون أن تبشر بمولد غدٍ حافل بالعطاء ، وكم كان ينتظر ذاك الغد الذي لم يكن بأحسن حال من أمسه ويومه ، فأدرك ألا نجاة من آلامـــه إلا بانعتاق روحه من جسده المنهك .

(١) مكة في شعر حسين عرب ، ص (٢٤) .

الباب الأول

موضوعات شعره

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : الشعر الوجداني .

الفصل الثاني : الشعر الاجتماعي .

الفصل الثالث : الشعر السياسي .

الفصل الأول

الشعر الوجداني

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : شعر الحب .

المبحث الثاني : شعر الاغتراب والشكوى .

المبحث الثالث : شعر الوصف .

المبحث الرابع : شعر الرثاء .

المبحث الأول

شعر الحب

لقد احتل شعر الحب الحيّز الواسع من الثروة الشعرية ، وتربَّع على قممه ، فحفظ لنا خفقات الأفئدة ، وآهات النفوس ، ومرابع الذكريات ، وأطلَّ على دوحة العاشقين ، وصور لنا العواطف ، وأظهر لنا مشاعر وأحاسيس من ذاق طعم العشق ، واكتوى بناره . وأكثر روائع الشعر من وحي المرأة ، فهي لدة الطفولة ، والحلم المأمول في الصبا ، والعشيقة في الشباب ، والرفيقة في خاتمة العمر ، وهي ينبوع الجمال والجذب ومهوى الخيال والقلب ، وهي البحر الزاخر بالعواطف والأحاسيس ، على شطآنها مرافئ السعادة والأمان ، إن لم يجدها الشاعر في عالمه الواقعي صنعها في خياله ، ثم بدأ بالتعلق بهذه الصورة المصنوعة التي لا وجود لها إلا في خياله ، فإذا غاب طيفها راح يلوب بحثًا عنها في الحقيقة والواقع ، يناجيها بأجمل الصفات فهي : " الزهر ، والورد ، والروح ، والقلب ، والروض ، والأنس ، وفرح الربيع ، وضياء الشمس ، وابتسامة القمر ، والملاك ، وعروس الأحلام ، وشعاع الفجر ، وحفيف الأنسام ، وهي أروع ألغاز الكون " (١) .

والشاعر إنسان قبل أن يمتلك أدوات الإبداع الفني ؛ لذا فمن الطبعي أن يتجاوب مع عواطفه من خلال الارتباط بعلاقة حب وغرام .

وليس من الضروري أن ينعم الشاعر بعلاقة لها سند من الواقع مع المرأة ؛ لكي ينشدها لحنًا في شعره ، بل ربما نجده يطارحها الغرام والعشق من خلال نسج علاقة متخيلة ، يستمد ملامحها من عالمه الخيالي الحالم ، الذي يعد أحد أهم الروافد التي يعتمد عليها الشاعر في صياغة إبداعه الفني ، فهو يصوغ معالمها عندما لا تمكنه الظروف من أن يعيشها واقعًا (٢) .

---

(١) راجع : قصائد الشاعر في ديوانه : (أنت الربيع) ، ص (١٥٩) ، و (إلى المجهولة) ، ص (١٨٢) ، و (عروس الأحلام) ، ص (١٨٤) ، و (الإهداء) ، ص (٢٢٣) ، و (صراخ الرميم) ، ص (٢٥٨) ، و (المسلسلة الأبدية) ، ص (٢٧٢) ، و (بين الهوى والهوان) ، ص (٣١٥) ، و (الهزيمة) ، ص (٣٢١) ، و (صاغك الله) ، ص (٤٨٦) .

(٢) انظر : الأدب ومذاهبه ، للدكتور : محمد مندور ، دار النهضة ، القاهرة ، مصر ، (د . ت) ، ص (١٤) .

وتختلف نظرة شعراء الغزل في العصر الحديث إلى المرأة ، تبعًا لاختلاف نفسياتهم ومحيطهم وظروف حياتهم ، فمنهم من ينظر إليها نظرة احترام وتقديس وتهيب ، حتى لنراهم يتحدثون عنها كأنهم في محاريب عبادة ؛ إذ تكثر في قصائدهم مفردات دينية ذات دلالات روحية مثل : طهارة ، معبودة ، روح ، وجود (١) ، ومنهم من نظر إليها نظرة حسية ، فوصف جسدها ، ووقف عند تفصيلاته من خلال التركيز على مناحي الإغراء والشهوة فيه (٢) .

ودمر نظر إلى المرأة على أنها لوحة جمالية متكاملة ، لا يجوز تقسيم خريطتها إلى دول ومدن وموانئ وسواحل ؛ حتى لا تفقد شيئًا من روعتها وجاذبيتها ، ونظر إليها على أنها روح وجسد ، مشاركًا في ذلك معظم الشعراء القدامى والمحدثين نظرهم إليها على أنها ملاك وجمال وعواطف روحية ومشاعر حسية ، فلم يوغل في التعبير عن عاطفة الحب بمفردات جسدية بينة ، ولم يتمادَ في وصف جمالها ، والنظر إلى مواطن جمالها بواقعية عارمة صارخة ، كما أنه لم يزعم أن شعوره نحو المرأة شعور روحاني محفوف بقدسية ، مبرَّأ من كل نزوع جسدي ، فليس " الحب في طبيعته روحانيًا صرفًا – كما يراه العذريون – ولا جسديًا بحتًا – كما يراه الإباحيون – ، وإنما هو مزيج من الروحانية والحسية " (٣) .

فقد " كان يريد من المرأة التي يهفو إليها قلبه أن تجمع صفات جميع الإناث جسمًا وروحًا ، وأن يعمر قلبها بكل ما في قلوب النساء من الوجدانية التي ترتبط بالحب من قريب أو بعيد " (٤) .

وقد تغزل دمر بأنوثة المرأة وما يتصل بمعاني البهاء ، وعزف على أوتار الحب ،

---

(١) انظر : قصيدة (صلوات في هيكل الحب) ، لأبي القاسم الشابي ، ديوان أبي القاسم الشابي ورسائله ، تقديم وشرح : مجيد طراد ، دار الكتاب العربي ، ١٤٢٧/١هـ ، ص (٧١ ، ٨٠ ، ٨١) .

(٢) انظر : الضوء واللعبة استكناه نقدي لنزار قباني ، شاكر النابلسي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١/ ١٩٨٦م ، ص (٢٩٨) .

(٣) الحب والغزل في الشعر السعودي المعاصر ، لمحمود رداوي ، دار الوطن للنشر بالرياض ، ١٤٠٢/١هـ ، ص (١٦) .

(٤) علي دمر شاعر الحب والغربة والحنين ، للدكتور : رجا سمرين ، ص (١٠٠) .

فأنشده إنشادًا وجدانيًا ، وحمَّله تباريح نفسه ، فوصف المرأة حبيبة وغريبة ، واصلة وهاجرة ، وتحدث عن وفائها وغدرها ، وعن غضبه منها ، وعن حبه الضائع الذي لا يجده ولا يتمثل أمامه ، فهو – دائمًا – يحمل المحبوبة وزر الهجر والعذاب ووصب القلب وبعد الملتقى وجفاف المشاعر ؛ لأنه لا يرى نفسه مسؤولاً عن اغترابه أو عن فشل الحب في قلبه ، فعتابه لها مستمر ودائم ؛ لأنها لم تصن معنى العاطفة بينهما ، وهذه العاطفة التي سورت بأسوار الدين والتقاليد منعته من أن يتعدى حدودهما مثل كثير من الشعراء .

ويستشف من سيرته وشعره أن عاطفته لم تنحصر في حب امرأة واحدة ، بل تعددت تجاربه العاطفية بتعدد الوجوه التي مرَّت في حياته من عهد الشباب إلى الكهولة ، فتنوَّعت غذاءات شعره الغزلي ، و لم يتفق له أن ينوِّه باسم محبوبته التي سلبت لبَّه ، واستهوت فؤاده في بعض قصائده ، لكنه يبقي الاسم طيَّ الكتمان فيما أنشده .

ومما لا شك فيه أن حبه للفتاة الفلسطينية التي أهدى إليها ديوان (غيبوبة الحب) قد صحبه زمنًا مديدًا ، فظلَّ ماثلاً في خاطره ، متغلغلاً في كيانه ، لم تقوَ على محو ذاكرته أحداث حب جديد من بعده .

وتميز غزله – في مجمله – بالقوة المستمدة من الإلحاح على المعاني ، والصور ، والمفردات ، فهو كثيرًا ما يكرر معانيه التي دارت – غالبًا – حول ما يأتي :

١– الحديث عن شدة الشوق والهيام بالمحبوبة ، كما في كثير من قصائده ، ومنها : قصيدة (غمغمات) (١) ، وقصيدة (ظمأ) (٢) ، وقصيدة (زوجتي) (٣) ، وغيرها .

٢– الحديث عن الفراق وآلامه ، والهجر وأحزانه ، كما في قصيدة (غائب) (٤) ،

---

(١) راجع : ديوان علي دمر ، ص (٤٥٥) .

(٢) راجع : المصدر السابق ، ص (١١٧) .

(٣) راجع : ديوان حنين الليالي ، رابطة الأدب الحديث ، القاهرة ، مطبعة المنيرة بالأزهر ، ١٣٧٤/١هـ ، ص (١٠٧) .

(٤) راجع : ديوان علي دمر ، ص (١٢١) .

وقصيدة (عام الفراق) [١] ، وقصيدة (هكذا) [٢] ، وغيرها .

٣- الحديث عن جمال المحبوبة ، كما في قصيدة (سواد) [٣] ، وقصيدة (أنت الربيع) [٤] ، وقصيدة (شاعر ساحر) [٥] ، وغيرها .

٤- الحديث عن ذكريات الهوى ، كما في قصيدة (رؤى) [٦] ، وقصيدة (شوق) [٧] ، وقصيدة (لا فراق) [٨] ، وغيرها .

٥- الحديث عن استمراء العذاب في سبيل الحب ، والألم في سبيل المحبوب ، كما في قصيدة (قربي واحرقي) [٩] ، وقصيدة (بين الهوى والهوان) [١٠] ، وغيرهما .

٦- الحديث عن تجاربه الشخصية في الحب ، كما في قصيدة (لقاء) [١١] ، وقصيدة (وجدتها) [١٢] ، وقصيدة (الزيارة) [١٣] ، وغيرها من القصائد التي تناولت المعنى نفسه .

كما يجد الباحث لديه تكرارًا في الصور ، فالمحبوبة تشبه الربيع ، كما في قوله [١٤] :

---

(١) راجع : ديوان علي دمر ، ص (٣٠٧) .
(٢) راجع : المصدر السابق ، ص (٣١٧) .
(٣) راجع : ديوان رعشات ، ص (٤١) .
(٤) راجع : ديوان علي دمر ، ص (١٥٩) .
(٥) راجع : المصدر السابق ، ص (٢٢٥) .
(٦) راجع : المصدر السابق ، ص (١٢٠) .
(٧) راجع : ديوان رعشات ، ص (٥٦) .
(٨) راجع : ديوان علي دمر ، ص (٣٢٠) .
(٩) راجع : المصدر السابق ، ص (١٢٦) .
(١٠) راجع : المصدر السابق ، ص (٣١٥) .
(١١) راجع : المصدر السابق ، ص (١٢٧) .
(١٢) راجع : المصدر السابق ، ص (٢٩٥) .
(١٣) راجع : المصدر السابق ، ص (٢٩٧) .
(١٤) المصدر السابق ، ص (١٨٠) .

كيـــف تحـــيين يـــا ربيـــع حيـــاتي أبقـــصرٍ أم تحـــت كهـــفٍ حقـــيرِ

وقوله (١) :

سمـــراء يـــا عطـــر الربيـــع وزهـــره وتحـــــدث العـــــشاق والنـــــدمان

كما أن الحبيبة تشبه القمر – أيضًا – ، ومن الأبيات الدالة على ذلك قوله (٢) :

نظـــــرت أمـــــامي وإذ أنـــــت في لفيـــفٍ مـــن الغيـــد حلـــو الـــسمر
فـــضج الظـــلام وقـــال انظـــروا أولاء النجـــوم وهـــذي القمـــر

وقوله (٣) :

وظهـــرت بعـــد هنيهـــةٍ قمـــرًا وبشـــشت لي في رعـــشة الفـــرح

والحبيبة كما تشبه القمر فهي تشبه الشمس – كذلك – ؛ حيث يقول (٤) :

أيا شمـــس البكـــور فـــدتك نفـــسي أيطمـــــع في تألقـــــك الـــــزوال

وقوله (٥) :

كنت كالـــشمس بهـــا تحيـــا الـــدنا وهـــي جـــرم لاهـــب كـــالجمرات

كما أن الحبيبة تشبه الملاك – أيضًا – ؛ حيث يقول (٦) :

يـــا ملاكـــي الـــتي أســـائل عنـــها لـــست في الحـــب ســـامعًا لمـــشير

---

(١) ديوان حنين الليالي ، ص (٢٥) .
(٢) ديوان علي دمر ، ص (١٢٥) .
(٣) المصدر السابق ، ص (٢٤٣) .
(٤) المصدر السابق ، ص (٢٨٩) .
(٥) المصدر السابق ، ص (٣٤٣) .
(٦) المصدر السابق ، ص (١٨٣) .

سوف أبني الحياة حبًا على حبٍ وأنشي من الحنينِ قصوري

وقوله (١) :

يا ملاكي كل أيامي وأحلامي لديك إن تضيعي ضاع عمري كله بين يديك

كما أن الحبيبة تشبه الزهر – كذلك – ؛ حيث يقول (٢) :

زهرة أنت طيبها ينعش القلب فأهدي إلى فؤادي طيبا

وقوله (٣) :

كنت زهرًا فجف عودك حتى صار بالهجر والبعاد خليقا

كما أنها تشبه الخمر – أيضًا – ، ومن الأبيات الدالة على ذلك ، قوله (٤) :

لا أرتوي منك حتى لو كنت خمرة دني

وقوله (٥) :

أنت خمر سريت كالروح في روحي وقلبي وأعظمي ودمائي

ومن خصائص هذا الغزل أن الشاعر قد يتملكه أحيانًا شعور بالخيبة والمرارة في حبه ، فيورثه هذا الشعور لونًا من النقمة على المرأة وثورة عليها ؛ لما يكتشف في نفسها من أنانية وغدر وكذب ، ومن ذلك قوله في قصيدة (انتقام) (٦) :

---

(١) ديوان علي دمر ، ص (٢٦٢) .
(٢) المصدر السابق ، ص (١٢٦) .
(٣) المصدر السابق ، ص (١٤٧) .
(٤) المصدر السابق ، ص (١١٧) .
(٥) ديوان المجهولة ، ١٣٧٩/١هـ ، ص (٦٥) .
(٦) ديوان علي دمر ، ص (١١٨ – ١١٩) .

علمـــــت بحـــــبي ولم ترحمـــــي فـــؤادي ورحـــت بـــه تـــسخرين

إلى أن يقول :

ونفـــسي تـــأبى خـــضوع الهـــوى ولـــو كـــان نـــارًا تـــذيب الحديـــد
ولمـــــا يئـــــست ولم أســـــتطع بقـــاء علـــى مـــر هـــذي الحيـــاه
جلـــــست أحملـــــق في ظلمـــــتي وأرنـــــو بغـــــيظٍ إلى خنجـــــري
وهـــــاج انتقـــــامي في عـــــزتي وصـــــاح جننـــــت ولم أصـــــبر

وقوله (١) :

عـــــذرًا إذا لممـــــت أمـــــتعتي ورحلت عـــن حـــبي وعـــن أملـــي
فالُـــب إمـــا كـــان مـــن طـــرفٍ لا بـــد أن يـــذوي علـــى مهـــل

وقوله (٢) :

ولمـــا تمـــادى هـــواك اللطيـــف وصـــال بقلـــبي كـــذئبٍ عنيـــف
يمـــزق ما شـــاء فـــي داخـــلي وينـــهش روحـــي بغـــدرٍ مخيـــف
ويطـــرد نـــومي ويـــوقظ دمعـــي فأجهش كـــالجرح عنـــد النـــزيف
أفـــاق اعتـــزازي بليلـــي الرهيـــب وحـــرك حـــس إبـــائي الرهيـــف
فقلـــت لطيفـــك يـــا محـــنتي حليفـــك في بحـــر هـــمٍّ حليـــف
إذا مـــا أتـــاني الهـــوى بـــالهوان فـــإني أدوس هـــواي الـــسخيف

والقارئ للأبيات السابقة يلحظ مدى استسلام الشاعر للمحبوبة ، وتقبله أن يكـــون فريسة لغدرها ، ولولا أن اعتزازه قد أفاق في تلك الليلة ، واستعانته بإبائه لظل فريسة لذلك الذئب (الغدر) الذي مزق قلبه ، ونهش روحه ، وطرد النوم من عينيه ، وأبكـــاه طيلـــة عمره .

(١) ديوان علي دمر ، ص (٢٤٩) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٣١٥ - ٣١٦) .

وسيلحظ – أيضًا – مبالغة في قوله : (فأجهش كالجرح عند النزيف) .

وقوله (١) :

واستفاق اعتزاز نفسي يطغى ... فوق حبي ولوعتي وجناني
لا تظني أني أهون فلم تخ ... لق فتاة في الأرض ترجو هواني

وقد يلجأ دمر إلى تحذير المرأة من الاقتراب من عالمه الحالم ، بل ينصحها أن تعود إلى رشدها ، وتبدد أوهامها التي قد تدفعها إلى دنيا ليس فيها إلا العذاب والألم ؛ بسبب ربط مصيرها بمصيره ، يقول (٢) :

حنانيك لا تدخلي عالمي ... فتحترقي في لهيب الغزل
أنا جمر قلبك إما نأى ... وجنّة أحلامه إن وصل
وعندي إذا الهجر تابعته ... جحيمٌ تذوب أقسى جبل

وكثيرًا ما يصف دمر (نظرة الحبيب) ، وما تفعله بنفسه ، من ذلك قوله (٣) :

وهج عينيك أطفأ الأحزانا ... وهج عينيك أشعل الإيمانا

وقوله (٤) :

ماذا فعلت بوامق نهلت ... عيناك منه بواقي الجلد

وقد ظل دمر عائشًا في دوامة من الشعور بأنه مسير بحتمية لا يقوى على نقضها ، ولعل هذا الشعور قد خفف من عذاباته وآلامه وأوصابه . يقول في قصيدة (عام الفراق) (٥) :

---

(١) ديوان علي دمر ، ص (٣٣٩) .
(٢) المصدر السابق ، ص (١٤٤) .
(٣) المصدر السابق ، ص (٢٣٩) .
(٤) المصدر السابق ، ص (٢٨٠) .
(٥) المصدر السابق ، ص (٣٠٧) .

قهرتنـــــا ظروفنـــــا فافترقنـــــا نحـــن يـــا روح للظـــروف ضـــحايا
لم تريـــدي هجـــرًا ولم أبـــغ بعـــدًا أنـــت مثلـــي مغلوبـــةٌ يـــا هوايـــا
المقـــــادير قاســـــياتٌ علينـــــا لـــصروف المقـــدار نحـــن شـــظايا

والبيت الثالث من الأبيات الثلاثة يدل على تجاوزات الشاعر الشرعيـــة – وهـــي كثيرة – ، فقد وصف المقادير بالقسوة ، وهذا لا يجوز ، فالقدر من الله – ﷻ – ، ولـــيس بصحيح أن البشر لظروف المقادير شظايا ، فكل ما في الكون بقدر وعلم ونسق ، يدل على حكمة وخبرة .

والحب عند الشاعر هو الحياة ، فلا عيش من دونه ، ولا جدوى فيها بـــلا حـــب ، فكلما انتهت قصة حب أحس بتفاهة الحياة وسقمها ، وتاق لترياق روحه ، فبحـــث عـــن حب جديد . يقول في قصيدة (العدم الموجود) [1] :

غربت شمـــسك عـــن أفـــق حيـــاتي يـــا ضـــياعي في بحـــار الظلمـــات
زورقـــي تحـــت الـــدجى مـــضطرب بـــين أمـــواج المحـــيط العاتيـــات
كـــان لي حبُـــك نـــورًا هاديًـــا كـــان لي والله (إكـــسير) الحيـــاة
كنت لي روحًـــا فمـــذ غبـــت ذوى كـــل شـــيء فحيـــاتي كممـــاتي

ويقول في قصيدة (جديدة) [2] :

فالحب أجمل مـــا في الكـــون قاطبـــةً ســـواه محـــض نفايـــاتٍ وأقـــذاء
لـــولاه نحـــن رمـــادٌ فالحيـــاة بـــه هـــي الحيـــاة ســـواه رعـــب إفنـــاء
جديـــدة الحـــب لا تخـــشى ملامتـــه فإنـــه أصـــل إيجـــادٍ وإحيـــاء

وقد دفعه بحثه عن امرأة مثالية مجهولة تجتمع فيها الصفات الخلقية والخلقية والنفسية إلى إبداع ديوانه (المجهولة) ، الذي جسد فيه رحلة البحث من خلال اثنتين وعشرين قصيدة ،

(١) ديوان علي دمر ، ص (٣٤٢) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٢٧٥ – ٢٧٦) .

هي إلى التشاؤم أقرب منها إلى التفاؤل ، يقول في قصيدة (إلى المجهولة) [1] :

كـــم توســـلت للـــصباح المنـــدي ... بنـــــــسيم الأشـــــجار والأوراد
كم تغلغلـــت في الريـــاض شـــرودًا ... وتلفعـــــت بالـــــضيا والـــــسواد
في الضحى والمساء والليـــل نفـــسي ... تتملـــــــى خـــــــوافي الآبـــــاد
ســـائِلاً عنـــك كـــل عطـــرٍ وفجـــرٍ ... منـــشدًا فيـــك أعـــذب الإنـــشاد

فالشاعر يسائل الصباح المندي بنسيم الأشجار والورد عن مجهولته ، ويتغلغل شاردًا في الرياض ، ويتلفع بالضياء ، وسواد الليل في أوقات الضحى والمساء ؛ كي يسأل عن مجهولته كل عطر وفجر ، وهو لا ينفك عن صوغ أعذب القصائد في مجهولته التي لا وجود لهـــا إلا في مخيلته .

ويضرب صفحًا عن السؤال عنها إلى سؤالها عن كنهها ، يقول [2] :

مـــن تكـــونين يـــا شـــقيقة روحـــي ... يـــا نعيمـــي ويـــا حـــنين فـــؤادي ؟
من تكونين هـــل علـــى الأرض دنيـــا ... مـــــن فتـــــون الملائـــــك العبـــــاد ؟
أم على الأرض من بني الأرض سخف ... وتفـــــان في حمـــــأة الأحقـــــاد
أنـــت أرضـــية المـــشاعر أم مـــن ... مرتقـــــاي الملـــــون الأبعـــــاد

فعلى أنها مجهولة الكنه لديه إلا أنها شقيقة روحه ، ونعيم يتقلب في أعطافه ، وحـــنين يملأ فؤاده ، وهو يحاول أن يقرب صورتها لمخيلته حينما يسألها هل هي من إبداع الملائكـــة الذين خلقوا للعبادة أو أنها إنسية عادية تشارك الناس سخفهم وأحقادهم ؟ .

ويلحظ في الأبيات السابقة وبقية القصيدة وسائر قصائد الديوان بـــروز الرومانـــسية الحالمة ؛ حيث يتابع الشاعر فيها رحلة البحث عن المجهولة من خلال صور ورؤى أنتجتـــها مخيلته الخصبة .

---

(١) ديوان علي دمر ، ص (١٧٩) .

(٢) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

وبعد طول بحث وعناء ، يجد الشاعر (مجهولته) في ديوان (غيبوبة الحب) ، وقد بدت الفنية الشعرية أكثر نضجًا ، والصور أكمل رسمًا . يقول في قصيدة الافتتاح (شاعرة ساحرة) المهداة إليها الأبيات [1] :

يا فتونًا في خاطر الأشعار ... ظل دهرًا في نشوة الأسرار
في ضمير الطيوب في حلم الشا ... عر في روح عالم الأنوار
ثم شاء الإله تجسيد ذاك الـ ... ـحسن في شكل فتنةٍ وإسار
فتخطرت بيننا جسدًا سحـ ... ـرًا وجذبًا يعشي سنا الأنظار
أنت شعرٌ ولوحةٌ وغناءٌ ... كل فنٍّ لديك عاري الإزار

ولكن هذه التجربة التي وجد الشاعر فيها (مجهولته) لا تدوم طويلاً ، وإنما تمر بمراحل ثلاث :

- المرحلة الأولى : مرحلة البداية :

في هذه المرحلة يعتقد موقنًا أنه وجد تلك (المجهولة) ، فيهرول خلف تجربته ؛ لينظم أحلى قصائده الغزلية في تلك الحبيبة الشاعرة مثل : (اللقاء الأول) ، و (اللقاء الثاني) ، و (ورقات) ، و (زيارة) ، يقول في قصيدة (اللقاء الثاني) [2] :

هذي عيونك يا ريحانتي نظرت ... فبدلت كل أيامي وأكواني
غرقت في موجةٍ من عطر نكهتها ... لذاذة خفقت في كل شريان
فجرت فيَّ ينابيعي وقد نضبت ... وهجت كل صباباتي وأشجاني
وعاد شعري غريدًا وقد هجعت ... ألحانه منذ أزمانٍ وأزمان
ماذا اعتراني من عينيك فاتنتي ... ماذا تفتح من أزهار بستاني

ونلحظ أن انفعاله العاطفي ، وفرحه بلقائه (مجهولته) دفعه للارتباك في البيت الأول

(١) ديوان علي دمر ، ص (٢٢٥) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٢٣٠ - ٢٣١) .

إذ لو قال : (عيناك يا حلوة العينين قد نظرت) كان أفضل .

ويعلن في قصيدة (أحلى الثواني) أنه وجد (مجهولته) ، وقد صور فيها سعادته بالعثور عليها . يقول (١)(٢) :

فتشت عنك دهورًا ... من أقدم الأزمان
من قبل قبل وجودي ... في عالم الأحزان
" مجهولتي " قد كفاني ... ضياع عمري كفاني
أخشى ضياعك أخشى ... طوارق الحدثان
اليوم تاب زماني ... عن جفوتي وامتحاني

- المرحلة الثانية : مرحلة الخوف :

وتبدأ مع نهاية القصيدة السابقة - بعد أن تحدث عن جمال ودلال المحبوبة وشعرها ، وعن الأوقات السعيدة التي قضاها معها - مرحلة الشك عنده دون سابق إنذار ، يقول (٣) :

وجدتك اليوم لكن ... يا هول ما يغشاني
أخشى ضياعك أخشى ... طوارق الحدثان
أخشى غياب عروس الـ ... أحلام عن وجداني

فالأبيات تعبر عن مدى تخوفه من فقدانها ، وهذا يدل دلالة واضحة على عقدته من الخوف من المستقبل ، وعلى عقدة عدم الثقة بالنفس ، فكأنهما التصقتا به منذ نعومة أظفاره ، وتلاحظ هاتان العقدتان في كثير من قصائده ، وليس المجال مجالاً لبسط القول في ذلك .

وتتجلى مرحلة الخوف في كل من قصيدتيه : (الصمت والشك) ، و (أوهام

(١) ديوان علي دمر ، ص (٢٣٦) .
(٢) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .
(٣) المصدر السابق ، ص (٢٣٦) .

الغموض) ؛ حيث يقول في الأولى [1] :

أفق قبل أن تبدو الحقيقة مرةً ... وتعرف أن الحب من صوب مفرد
خيالك يا مسكين يخلق عالمًا ... سعيدًا لتنجو من شقاءٍ مؤكد
وجوعك للعطف الحنون معمرٌ ... موائد للحب السعيد المؤبد
أفق يا غبي القلب يا صافي الرؤى ... تظن شعاع الحب في أي فرقد

فالشاعر – هنا – يريد أن ينقض قصور أحلامه بيديه قبل أن تنقض هي عليه ، فتدفعه لدائرة البكاء والخيبة وصرير الأسنان والشتات والتمزق والاحتراق واليأس المفضي إلى الموت المحتوم .

– المرحلة الثالثة : مرحلة الابتعاد :

في هذه المرحلة يقرر الشاعر – عن قناعة صارمة – أن هذه التجربة تجربة عاطفية فاشلة ، وما هذا الحب إلا مجرد مجاملة عابرة ، أو إعجاب بشاعريته ، فيطوي جناحيه ، ويدخل – بنفسه – دائرة البكاء والخيبة والتمزق والشتات ويتمنى الموت ، وقد جسدت قصائد : (صحوة) ، و (وداع) ، و (عادية) ، هذه المرحلة بكل وضوح ، يقول [2] :

ليذهب هواك الحلو في طي غيهبي ... كما غاب نجمٌ في الظلام المطبق
كما مر حلم في كرى الشوق باسمًا ... كما لاح طيف في الخيال المحلق
أقام بروحي ضيف أنس ونشوةٍ ... وودع يأسي بابتسامة مشفق
سعدت به حينًا قليلاً ولم يدع ... سوى فضلةٍ في كأسٍ راحٍ معتق
هو الأمل المرجو قد لاح واختفى ... فيا حزن ذوبني ويا نار أحرقي
نصبت له عمري شراكًا مشوقةً ... فلما دنا منها بدا حظي الشقي
وداعًا ولكن في عروقي مأملٌ ... ألوذ به كالغارق المتعلق

---

(١) ديوان علي دمر ، ص (٢٤٦) .

(٢) المصدر السابق ، ص (٢٥٠ – ٢٥١) .

فالشاعر يخبر حبيبته أن هواها قد أصبح طي النسيان ، فصورته صورة ذاك النجم الذي أخفاه الظلام الدامس ، ومروره في حياته مرور الحلم الباسم ، وأن إقامته كانت بمثابة إقامة الضيف المؤنس الذي سعد به وقتًا وجيزًا ثم رحل ، ولم يترك سوى ذكرى جميلة ، فهو وإن بدا في الأبيات الأربعة الأولى متماسكًا إلا إنه فيما يليها اتضح انكساره ، وفقده لأمله الذي حاول أن يخرجه من شرنقة الموت إلى نبض الحياة ، فراح يفتش عن حب جديد ، وأنثى جديدة ، ضاربًا بتمنيه للموت عرض الحائط ، وسرعان ما يلتقيها ، فيهرول منشدًا (١) :

لأول مرةٍ يرتاح لبي ... لأني قد وجدت حبيب قلبي
ولما كون عينيك احتواني ... وناداني الجواب به ألبي
سكرت سعادةً وهدأت نفسًا ... وقلت لحبك المعسول سر بي

ودمر يخفي نيران حبه بين جوانحه ، فيلجأ إلى الطبيعة من حوله ، ليبث مشاعره المحبوسة نجوم الليل تارة ، و (مجهولته) تارة أخرى ، أو يجري (منلوجًا) داخليًا بين ذاته وقلب ، ويغيب من هذا الشعر كل وصف حسي للمحبوبة ، يقول (٢) :

يا قلبي المنطفي كم في رمادك من ... ذرات عصفٍ لديها يخشع الضرم
أخنت على جمرك الأيام واهترأت ... فيك الأماني وشاخ اليأس والألم
يا قلب يا موقد الأحزان كم لفحت ... آمالك البيض ريح البؤس والنقم
كم أشعل الحب في جنبيك من لهبٍ ... حرائقًا تصهر النعمى وتلتهم

وتتوالى هذه السلسلة من القصائد العاطفية الحالمة التعويضية البوحية ، وتتوالى مع هذه القصائد وغيرها الصور الحلوة ، والأنغام العذبة ، والمعاني الجميلة ، والأحلام المبتسمة ، ولكن وعلى الرغم من ظهور هذه الحبيبة الجديدة في حياته ، إلا أن هذا الظهور جاء متأخرًا كثيرًا ، فقد بدأت مرحلة جديدة دخل في حيزها الشاعر ، فبدأ صراعه المرير مع عدو

(١) ديوان علي دمر ، ص (٢٩١) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٤٠٢) .

لا طائل له به ، فكثيرًا ما صرعه وأوجعه ، إنه الزمن الذي يزجي خطوات عمره نحو الكهولة ، فتسري في قصائده الغزلية نغمة حزينة ؛ مردها شعوره بزوال عهد الصبا والشباب ، يقول (١) :

أرجعتني يا صبوتي حدثًا ... نضرت آرائي ومعتقدي
ونسيت فيك كهولتي رجعت ... أحلامي الأولى بلا رشد
يا حلوة العينين منك غدت ... تحلو الحياة لآخر الأمد

إلى أن يقول :

ماذا فعلت بوامقٍ نهلت ... عيناك منه بواقي الجلد
لم يبق من عمري سوى رمقٍ ... جفت ينابيعي فلا تردي
ماذا لكهلِ شاب مأمله ... في معبد الحرمان منفرد
صحراؤه جفَّت على مطرٍ ... من دمع غيم اليأس مطَّرد

فالشاعر في الأبيات الثلاثة الأولى يقرُّ أن هذه التجربة ما هي إلا صبوة ، وحدث جدد آراءه في الحب ، ودفعته إلى نسيان صراعه مع الزمن ، فقد عادت له أحلامه الزهرية ، وبدت الدنيا حلوة في عينيه ، لكن سرعان ما تذكر الزمن ، فعاد رشده الذي سلبته عيناها حبيبته ، فتحطمت أحلامه على صخرة الزمن البغيض ، وأقحلت صحراؤه بعد ما جفت واحتها ؛ لقلة المطر .

وفي قصيدة أخرى بعنوان (بعد الرماد) يخبرنا أن محبوبته قد عادت بعد انطفاء شعلة العمر ، وقد كتب هذه القصيدة قبل وفاته بأربع سنوات ، يقول (٢) :

أتيت ولكن بعد أن غاض مأملي ... وخلفني دهري رمادًا بلا جمر
أتيت ولكن بعدما جفَّ مشتلي ... وعاد يبابًا موحش القرِّ والحرِّ

(١) ديوان علي دمر ، ص (٢٧٩ – ٢٨٠) .
(٢) المصدر السابق ، ص (١٥٦) .

وكانـــت أزاهـــير الـــصَّباح نديـــة ... بروضي تسقى في العشيات من نهـــري
وكانـــت بـــساتيني ربيعًـــا منـــوَّرًا ... كأنَّ حياتي كلـــها مـــن شـــذا زهـــر
وكان حنـــيني يمـــلأ الأفـــق نغمـــةً ... مهدهدة الأصـــداء مـــشبوبة العطـــر
وما جئتني في ذلـــك الـــدهر لهفـــتي ... لو انك عندي كنت في ذلك الـــدهر
ولم تأتني حتى غـــدا الـــروض بلقعًـــا ... وجاء خريفي باعث الحزن في عمـــري
ولم تأتني حـــتى تـــضرجت بالأســـى ... وصوح غصني فاقد الزهـــر والنـــشر

يعقد الشاعر في الأبيات السابقة مقارنة بين شبابه وكهولته ، مستمدًا تلك المفارقات من تحولات الطبيعة ، فأمل الشاعر غائض ، وقد خرج من معركته مع الزمن بلا شـــعلة أو جذوة ، وقد جف ماء الحياة في جسده ، يشتكي القر والحر والوحشة ، فقد حـــل فـــصل خريف عمره ، فأفقده النضارة والوهج ، ثم بدأ يندب أيامًا كانت ندية الأزهار ، تفيض بماء الشباب ، محاطة بالخضرة والربيع المنور ، تفوح منها الرائحة الزكية .

وعقدة الزمن حاضرة في تجربته الشعرية ، بل قد اتخذ من الزمن أداة تهديد يهدد بها من ألهمته ، ففي قصيدة (صراخ الرميم) ، يحذر ملهمته ، وينذرها بأنها ستندم ، ويغزو رأسها الشيب ، وتصبح فريدة في خاتمة عمرها ، وستعلم أنها وحدها الخاســـر الأكـــبر في هـــذه المعركة ، يقول (١) :

إن لهوت اليوم عـــن حـــبي الكـــبير ... وتجاهلـــــت هتافـــــات شـــــعوري
وتـــصامت عـــن البـــوح الكـــسير ... وتعاليـــــت بـــــأجواء الغـــــرور
سوف يأتي زمـــن الـــصحو الخطـــير ... يـــــوم ترتـــــاعين للـــــشيب المريـــــر
وتقـــولين وداعًـــا يـــا ســـروري ... سوف لا تلقـــين حُبًّـــا مثـــل حبِّـــي
سوف لا يهواك قلـــبٌ مثـــل قلـــبي ... ســـوف تـــرمين إلى قفـــرٍ وجـــدْب
لخريف العمـــر في صـــحراء شـــيبٍ ... لـــضياعٍ مهمـــلٍ خـــاوٍ وكـــرب
يومهـــا ســـوف تحـــنِّين لخـــصبي ... لبـــــساتين هتافـــــاتي وجـــــذبي

(١) ديوان علي دمر ، ص (٢٥٩) .

وهكذا رأينا حب دمر حبًا أنيقًا ، شفافًا ، وغزله غزل الرقة والانصهار الذي يحفل بالألم ، والكآبة التي يخيم عليها الحزن ، فالعاطفة المشبوبة والقلب المثخن بالجراح والذكرى الأليمة لم تنقطع ، لا من حياته ، ولا من شعره ، فقد كان الحنين والشوق يعاودانه من حين لآخر ، حتى بعد أنْ كبرت سِنُّهُ ، وفي أثناء ملازمته سرير المرض تمزق جنبه المُدى لم تهدأ لواعج الحب ، ولم تفتر عاطفته ، فقد كان يمني النفس بالحبيبة المجهولة ، وإذا ساوره الشك في أن هذا الأمل ما هو إلا نجمة علوية لا مرتقى لها كان يتوجه إلى شعره يبثه أحزانه ، وكان في وحدته وغربته يشعر بفجوات عميقة تقتحم وجدانه ، فيحاول جاهدًا أن يملأها بما تبقى من أمله ، فيشرد من عالمه الحقيقي إلى عالمه المصطنع من معمل خياله ، فيسبح في فضاءات خياله ويعبُّ من السعادة كلما لاح طيف (مجهولته) ، وأكاد أجزم موقنًا أنه بقي في إطار عالمه المصطنع لم ينل من المرأة ما يريد ، وما يؤمل ، بل حتى بعد زواجه ، فجل ما كتبه عن المرأة كان بعد زواجه .

أما الظاهرة البارزة في شعره الغزلي ، التي عكست كبرياءه بشكل واضح ، فهي تغزله بشعره ، فكثيرًا ما ينفذ من تغزله بملهمته إلى تغزله بشعره ، فشعره (يفوح منه العبق) ، وتظهر هذه الظاهرة حينما يكتشف أن معشوقته مخادعة .

وقد تغزل بشعره على لسان محبوبته في قصيدة (أوهام الغموض) [1] :

يا ربما ناغمت لاهيَةً ... شعري وقلبي فيك يحترق
وتقول نفسك شاعر وله ... سحري لدى أوتاره ألق
في شعره أختال زاهيةً ... ويفوح من أوصافي العبق
فيقول فيَّ قصائدًا غررًا ... ولو انها من روحه مزق
وأفاخر الأجيال خالدةً ... في شعره ولو انه حرق
وأتيه بين صواحبي طربًا ... وتشير لي الشرفات والطرق
ويقال هذي نجمةٌ ظهرت ... في الشعر منها يسكر الأفق

(١) ديوان علي دمر ، ص (٢٤٧ – ٢٤٨) .

أو يتفق أن يتخذ من العنصر القصصي وسيلة لتوبيخ فتاته ، وكشف حقيقة مشاعرها ، فحبها ما هو إلا رغبة في أن تكون بطلة في حكايات شعره ، ويحاول أن يذكرها أن كرامته مقدمة على حبه ، (وأن المحبة المشوبة بالإذلال مرفوضة ، وأن ما في [قصائده من شكوى وألم وتشوق] للحبيب وحنين . . . لا يجوز أن تطلع عليها المحبوبة ما دامت تصم أذنيها عن توسلاته وضراعاته . يقول (١) :

إليك عذري يا روحي فلو طلبت ... عيناك من شبحي قلبي لأعطاه
لكن طويت أحاديث الفؤاد فلم ... أبح إليك بما تخفى طواياه
زرعت حبِّي بأرضٍ لا نبات بها ... فكان موسم جدْبٍ ما حصدناه
فيا لخيبة جرحٍ غاب طاعنه ... فليس إلا بسلوانٍ ضمدناه
أتطلبين الذي أعطى هواك أسىً ... من القصائد ما أشقى عطاياه
لتسخري من حنينٍ كان من طرفي ... وحدي وتستمتعي لهوًا ببلواه
لا لست أسمح أن يلهو به أحد ... فالذل ترفضه نفسي وتأباه
هذي القصائد يخفيها ويدفنها ... قلبي الجريح المعنَّى في حناياه

وقد عد الأستاذ : محمد منذر لطفي من الملاحظات السلبية في شعر الحب لدى الشاعر إغراقه في القصص الشعري الكلاسيكي المكرور الذي يغيب فيه الشعر ليحل محله النظم ، سواء في المفردات أم في التركيب أم في الصور والمعاني ، وقد يقع – أحيانًا – في السردية والمباشرة ، بل حتى النثرية العادية على الرغم من تمكنه وشاعريته ؛ وربما كان هذا نتيجة جريه خلف الأحداث الحياتية العادية المأطرة بتجاربه الغرامية العابرة ، وتتبعها أولاً بأول ، والغرق في تفاصيلها وجزئياتها من تصويره لكل موقف عاطفي في علاقاته مع من يحب ويعشق (٢) .

ومما يلمح أن الموت كثيرًا ما يرد في شعره الغزلي وفي غيره من الأغراض الأخرى ،

(١) ديوان علي دمر ، ص (٢٨٦ – ٢٨٧) .
(٢) انظر : مجموعة أوراق بعث بها الأستاذ : عدنان قيطاز للباحث .

يقول (١) :

هـــل مـــن كـــلام يـــا معـــذِّبتي لـــــو أن في إفـــــصاحه أجلـــــي ؟

ويقول (٢) :

كم مـــن أمـــانٍ لي تمـــوت بمهـــدها كالطفـــل يولـــد نعـــشه إذ يولـــد

فهنا يتألم ؛ لأن معظم أمانيه تموت قبل أن تولد .

وهو يرى أن القلب الخالي من الحب قلب ميت ؛ فلذلك راح يطلب من محبوبته بـــأن تحترق معه بنيران الحب ؛ لأن الخمول حطمه ، يقول (٣) :

فـــراغ القلـــب مـــوت يـــا حيـــاتي فهـــات النـــار حطمـــني الخمـــول

ونراه في قصيدة أخرى يطلب منها أن تزور قبره إذا قدر له أن يموت ، يقول (٤) :

ماذا تقول إذا ما مـــت مـــن شـــغفٍ وصرت في الرمس مقتولاً من الكمـــد
بـــالله إمـــا ذوى غـــصني وأودعـــني أهلي التـــراب بقـــبرٍ خـــارج البلـــد
فاذهـــب إليَّ وحـــيِّ القـــبر مُـــدَّكِرًا أيام كنـــا معًـــا في ســـالف الأمـــد

وكان يستشعر دنو أجله ؛ لهذا طلب منها أن تبتعد عنه ، يقول (٥) :

لم يبق مـــن عمـــري ســـوى رمـــقٍ جفـــت ينـــابيعي فـــلا تـــردي

وقد يتخذ الغزل عنده مسارًا آخر ، فنجده يرثي حبه رثاءً مفجعًـــا ويبثـــه مـــشاعر

---

(١) ديوان علي دمر ، ص (٢٤٤) .
(٢) المصدر السابق ، ص (١٧٦) .
(٣) المصدر السابق ، ص (٢٢٨) .
(٤) المصدر السابق ، ص (١٣١) .
(٥) المصدر السابق ، ص (٢٨٠) .

وعواطف حزينة رقيقة . يقول (١) :

إذا مـــات حبـــك يـــا وحـــشتي ... تمـــوت الأمـــاني ويعـــوي الـــدمار
وما كنـــت أحـــسب يومًـــا بـــأنني ... ســـأفقد حُبًـــا رفيـــع المـــدار
لقد كـــان لي كـــل شـــيءٍ بعمـــري ... غـــــذاءٌ وريٌّ ولـــــبسٌ ودار
فيا عجبًـــا مـــن صـــروف الزمـــان ... حيـــاةٌ ومـــوتٌ كـــؤوسٌ تـــدار
نعـــــيش ونفـــــنى بآمالنـــــا ... ونبقـــى إذا مـــا بقينـــا ادِّكـــار

ويستمر دمر في صراعه مع عوادي الزمن ، ويقرب فكرة هذا الـصراع باسـتخدام المقابلات : (الحياة – الموت – العيش – الفناء) . فالحب يشقى بـالزمن ؛ إذ لا سـبيل للانتصار عليه .

ويشقى الشاعر بالخيانة ؛ لذلك تجده يحمل على خداع المرأة معتبرًا هـذه التجربـة علاجًا نال منه الشفاء من جراحه النازفة ، فهذه المحبوبة الخائنة لا تعدو أن تكون أكثر مـن أفعى غادرة تنفث السم في عروقه ، يقول (٢) :

فـــإذا مـــا غـــدرت بي لا أبـــالي ... غـــدرك النـــذل باعـــث عنفـــواني
هـــل طبـــاع الأفعـــى تبـــدل يومًـــا ... مـــن ســـيمحو طبـــائع الأفعـــوان ؟
ســـــرني غـــــدرك المفيـــــد لأني ... صـــرت حـــرًّا مـــن ذلـــة التحنـــان
إن درسًـــــا أعطيتنيـــــه بليغًـــــا ... لخليـــــقٌ بفـــــرحتي وامتنـــــاني

فالغدر تارة يبعث الفتوة والقوة والجلد ، وتارة يكون مفيدًا ، فمن خلالـه يـتخلص الشاعر من ربقة الأسر .

ومما يلحظ – أيضًا – غنى الموضوعات الغزلية التي تطرق إليها ، والتي تتعلق بالعلاقـة اليومية للعاشقين ، مع اكتشاف جوانب خبيئة وزوايا مجهولة من الحياة اليوميـة للمـرأة ،

(١) ديوان علي دمر ، ص (٣٢٨) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٣٣٩ – ٣٤٠) .

وتصيد ذلك ، وتوظيفه لصالح تلك الموضوعات ، وتسليط الأضواء عليها ، ويتضح ذلك في بعض قصائده مثل : قصيدة (إيقاظ الرماد) ، وقصيدة (اعتذار) ، وقصيدة (لحظات الوداع) ، وقصيدة (أحلى لقاء) ، وقصيدة (الهزيمة) ، يقول [1] :

ما استطعت البقاء بل سرت جنبي ... في طريق الوداع طيشٌ ولوع
غاب عنك الصَّواب ما خفت أهلاً ... أو وشاةً في الدرب بين الجموع
تتمنين سيرنا أبديًا ... دون عودٍ لشملنا المقطوع
وأقول ارجعي أخاف عليك ... اللوم والكشف يا زهور ربيعي

وقوله [2] :

وغار منك رفيقات يكدن لنا ... فرحن يفضحن حبًا كان يستتر
لم تصمدي يا مناري فانتهيت إلى ... قطيعةٍ وذوى في روضنا الزهر

وقوله [3] :

ربما كنت في ليالي الشتاء ... في سريرٍ على فراشٍ وثير
جانب المدفأ الأنيق وحول الـ ... ـبيت ناحت عواصف الزمهرير
ربما كنت في شقاء حصاد ... تحملين الأكوام تحت الهجير
ربما كنت في المعاهد والقا ... عات تلقين مبحثًا في الزهور

ومن طريف المعاني التي حاول أن يطرحها في موضوعات شعره الغزلي موضوع فارق السن بين العاشقين ، يقول [4] :

---

(١) ديوان علي دمر ، ص (٢٩٩) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٣٢٢) .
(٣) المصدر السابق ، ص (١٨٠) .
(٤) المصدر السابق ، ص (٣٢٥ - ٣٢٦) .

فقـــال يـــا زهـــر عمـــري ... يـــا منتـــهى أحلامـــي
بنيـــت موئـــل حـــبي ... شـــيدت عـــش الغـــرام
وســـوف أكمـــل بـــاقي ... أمورنـــا للتمـــام
لتغتـــدي لي عروسًـــا ... وتـــسعدي أيـــامي
فغمغمـــت في بـــرودٍ ... بلهجـــة المتعـــامي
يقـــال إنـــك عمـــي ... ألـــست مـــن أعمـــامي
فانهـــار في لحظـــاتٍ ... حلـــمٌ رفيـــع التـــسامي
وانهـــدَّ قـــصر الأمـــاني ... وصـــار كـــوم ركـــام

وبقي سؤال لا بد من الإجابة عنه : هل غمر الحب الحقيقي قلب الشاعر أو لا ؟

يتضح مما سبق أن هذا الحب قد انسل إلى قلبه ، وما وفرة شعره العـاطفي إلا دليـل على ما أميل إليه ، فالشاعر يعبر من خلال شعره عن انفعالاته .

وقيمة الغزل ليست " في معانيه الطريفة ، ولا في لغته اليابسة ، الغزل ملكة عاطفـة متقدة ، يسعرها الحرمان ، ويذكيها التحرق " (١) .

وألفاظه – في مجملها – رقيقة حلوة ، يجمع في أسلوبه بين البساطة والسمو ، وبـين السهولة والابتكار ، فمن " حق النسيب أن يكون حلو الألفاظ رسلها ، قريـب المعـاني سهلها ، غير كز ولا غامض ، وأن يختار له من الكلام ما كان ظاهر المعنى " (٢) .

ومما يلحظ استعماله الواضح لبعض المفردات المعجمية التي انتهى استعمالها الـشعري منذ وقت بعيد مثل : (حندس ، وكلال) ، أو الكلمات النثرية العادية البعيدة عـن لغـة الشعر مثل : (عكس ، ومقياس ، وقشر ، ومباشرة ، وباقتضاب ، واندمجنا ، ظـروف) ، أو الجمل النثرية مثل : (قررت قطع علاقاتي ، وتدخلت أمور فوق طاقاتنا ، مع هـذا إن

(١) مجدون ومجترون ، لمارون عبود ، دار الثقافة ببيروت ، ١٩٧٩/١م ، ص (٦٩) .
(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، لأبي علي الحسن بن رشيق ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميـد ، دار الجيل ببيروت ، ١٩٧٢/٤م ، ص (١١٦) .

تغب عني يغب) ، أو التعابير الصوفية مثل : (الوجد ، والروح ، ويصهر ، وأعلو) .

❖ ❖ ❖ ❖

المبحث الثاني

شعر الاغتراب والشكوى

الاغتراب – ظاهرة – قديمة قدم البشرية في هذا الكـــون (١) ، فمنـــذ أن تكونـــت المجتمعات نشأت في ظلها الأزمات التي كانت تتولد منها أنواع من الاغتـــراب ، عاناهـــا الإنسان ، وصمد أمامها وفق قدراته الجسدية والروحية ، وهذه الغربة قد تقود الإنسان إلى التمرد ، وقد تدفع به إلى الاستسلام والعزلة والانكفاء على الذات .

ولقد عانى الإنسان العربي بعامة والشاعر بخاصة ، اغترابات شتى ، واتـــسمت ردود فعله بأشكال مختلفة ، تراوحت بين الهروب من الواقع المعيش إلى هامش الحياة ، أو الهجـــرة إلى الخارج .

والاغتراب له بعد هام في شعر الشاعر يأخذ أشكاله من اغتراب نفسي ، وزمـــاني ، ومكاني ؛ ذلك أن الشاعر غريب – دائمًا – في عصره غريب بشعوره وإحساسه ؛ ســـريع التأثر بما حوله .

والاغتراب الشعري والذاتي للشاعر يرجع إلى عوامل ذاتية وموضوعية ، أو عوامـــل روحية وحسية تجمل فيما يأتي :

أ- الاغتراب الناجم عن طبيعة الشعر ؛ لأن الشعر ما هو إلا تـــدفقات شـــعورية لا محدودة .

ب- الظروف المحيطة بالشاعر ، والأسباب الشخصية والعامة المفضية إلى الاغتـــراب والمعاناة الدائمة (٢) .

---

(١) انظر : الاغتراب في القصيدة الجاهلية ، لمحمود هياجنة ، دار الكتاب الثقافي بعمـــان ، ١٤٢٦/١هـــ ، ص (٣٢) .

(٢) انظر : الاغتراب في حياة وشعر الشريف الرضي ، عزيز السيد جاسم ، دار الأندلس للطباعة والنشر ببيروت ، (د . ت) ، ص (١٠) .

والاغتراب هو الذي يثير العواطف في الشاعر ، ويعمق تجربته في ظل الصراع النفسي ، فينعكس ذلك في نتاجه الشعري الذي يزداد قوة ولمعانًا في ظل اغترابه ، فيعمد إلى فرز معانيه التي لا تخمد طاقاته ؛ لأنها مشحونة باغترابه ، فيتعرف الشاعر مكامن القوة والضعف .

والاغتراب يحفز ويدفع الشاعر نحو بستان الإبداع الحافل بالابتكار التصويري ، والنبض الوجداني ، والعطاء الإنساني .

ولا شك أن اغتراب الشعراء في العصر الحديث قادهم إلى محاكاة الرومانسية الغربية ، فاتخذوا من الليل سميرًا ، وتاقوا إلى حياة الكوخ ، كما تاق الشاعر علي دمر .

ومعنى الغربة في المعاجم العربية : الاغتراب (١) ، وهو ما يسمى بالغربة (المكانية) ؛ لأنها مرتبطة بالمكان ، ولكن الكلمة أصبحت فضاء لمدلولات أخرى ؛ منها : الغربة النفسية ، أو الغربة الروحية ، أو الغربة الفكرية ، أو الغربة الوجودية ، أو الغربة الزمانية ، التي يشعر بها الشاعر ، وهو بين أقرانه تحت سقف وطنه ، وفوق أرضه ، وهذا يتأتى إذا مني بنوع من الحصار أو الكبت بالنسبة لدينه أو فكره أو طبقته الاجتماعية ، فلا يستطيع أن يرفل في النعيم أو أن يلازم الأمان ، فيحس الغربة ، وعدم الانتماء الحقيقي ، فلا مناص له إلا العزلة والقلق (٢) .

وكانت غربته المكانية ذات أثر كبير في نفسه ، ولعل هذا التأثير كان سببًا لتأجيج غُرَبه الأخرى ، فقد قضى نائيًا عن موطنه ثلاثين عامًا أو تزيد ، ولا يبدو أن هذا التنقل والتطواف العريض أعان على بلوغ السكينة والتوازن عنده ، ولا أبكم فيه الحنين ، بل هو يعرب عن أن هذا التجديف في بحار الدنيا أورثه الشقاء والبلاء ؛ فهو يقول عن نفسه : " وهكذا تناثرت شظايا عمري على كل الأماكن التي ذكرتها ، وها أنا في الخامسة والخمسين من عمري ولا أزال في رحيل مستمر ونكبات ومآسٍ متتالية ، وكم أتوق في

(١) انظر : العين ، للخليل الفراهيدي ، دار إحياء التراث العربي ببيروت ، (د . ط) ، م (٤) ، ص (٤١) .

(٢) انظر : حركة التجديد الشعري في المهجر بين النظرية والتطبيق ، للدكتور : عبد الحكيم بلبع ، الهيئة المصرية العليا للكتاب ، ١/١٩٨٠م ، ص (٢٣٣ - ٢٣٤) .

شيخوختي القادمة إلى الاستقرار في مكان واحد ؛ لأن تنقلاتي كلها كانت بالرغم مني ودون اختياري ، ولكن هيهات ، وأظن هذا المكان الواحد لن يكون سوى قبري " (١) .

ومما يدل على فعالية تأثير الغربة المكانية على باقي غُربه ، أن غالب قصائد الغربة النفسية وغيرها أنشأها خارج أسوار وطنه ، وانظر كيف تجتمع الغربة النفسية مع الغربة المكانية في قوله (٢) :

لطول اغترابي عن بلدتي إذا جئتها صرت فيها الغريب
وفي غيرها أنا أيضًا غريبٌ فهل وطني خلف هذي الغيوب

وتمتزجان في قوله (٣) :

هذا نصيبي غربةٌ كيف الخلاص من النصيب

ومما يلفت الانتباه أن حنينه إلى مسقط رأسه (حماة) لا يتناسب مع طول غربته والبعد عنها ، فلم أجد له سوى قصائد معدودة .

هل لأنه عاش خارج (حماة) فترة طويلة ، فخفت حسه بالانتماء ! أو لأنه كان يعيش في صراع مع الشقاء دفعه للتغافل عن بلدته ؟ . على أنني لم أعدم بعض القصائد التي فيها يحن الشاعر إلى بلده في إطار حنينه إلى أصحابه ، يقول (٤) :

يا صحابي وإن تغيبت عنكم في ضلوعي أحوي الأسى والصحابا
لست أنسى ليالي الأنس فيكم ونفوسًا في السامرين عذابا
كيف أنسى ليل النواعير والعا صي يروي الصفصاف شهدًا مذوبا

(١) ديوان علي دمر ، ص (٢٨) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٣٥٦) .
(٣) المصدر السابق ، ص (٤٣٢) .
(٤) المصدر السابق ، ص (٣٩٤ - ٣٩٥) .

وســـويعاتٍ بعـــد منتـــصفِ اللَّيـــــ ... ـــل وشـــــعرًا يهدهـــــد الأعـــــصابا
والبـــساتين مائجـــاتٌ مـــع الليـــــ ... ـــل يجـــوس النـــسيم فيهـــا ارتيابـــا
لحنـــها يبعـــث العـــصور الخـــوالي ... فيمـــيط التـــاريخ عنـــه النقابـــا
هـــو لحـــنٌ أجـــدادنا عـــشقوه ... وتولـــــوا ولم يـــــزل مطرابـــــا

أو في إطار الحنين إلى مظاهر الطبيعة فيها ، فهو لا يفتأ يذكرها ؛ لأنها تتـيح لـه أن يعيش لحظات يحس فيها بالراحة والهدوء وسط غربته وعزلته ، يقول (١) :

تجري ينابيعـك الزَّهـراء في كبـدي ... إذا اغتربت وفي أعمـاق تـصويري
أطفـي بهـا غلـةً للـشَّوق ظامئـةً ... لم يروها رشف ثغـرٍ منـك مخمـور
يا شام يـا شـامة الـدنيا وبهجتـها ... مـا زال ثغـرك بـسام الأسـارير
أنهـار جناتـك الخـضراء عازفـةٌ ... لحن السُّرور لدى أحلـى المقاصـير
يا عزة العـرب في شـتى منـاطقهم ... كـم بـارك الله في آيٍ وتـذكير

ويقول في قصيدة أخرى (٢) :

الله يا جـارة العاصـي بـذي ولـهٍ ... يهفو بقلبٍ مـن الأشـواق معمـود
أهوى بواديك يا مهد الهـوى قمـرًا ... ذكراه في خـاطري نبـت العناقيـد
على " الشريعة " (٣) في ورد الأصيل مشى ... بقد أهيف سـاجي الطـرف أملـود

وكان حنينه غناءً عذبًا رقيقًا ، ينبعث من قلبه فيتهادى على شفاهه ، ممزوجًا بعاطفة ثابتة ، تعبر عن لهفته الحرى لكل ما يثير كوامن النفس الشجية ، وما يعتريها من ذكريـات الماضي التي لا يفتأ من تذكرها ، فلم يغب حنينه الذي واجه به غُرَبـه عـن نـصوصه ، يقول (٤) :

---

(١) ديوان علي دمر ، ص (٧٩) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٤٦٠) .
(٣) **الشريعة** : حي مشرف على العاصي .
(٤) ديوان علي دمر ، ص (٣٩٢) .

في دمـــائي يـــا نهـــر أنـــت تـــسير أينمـــا كنـــت في الحيـــاة أســـير
يا ربـــوع العاصـــي نعـــيش ونفـــنى ونـــــداماك في الحيـــــاة الـــــدهور
يـــا جنـــاني الخـــضر أيـــن رفـــاقي صـــور في الحيـــاة منـــهم تمـــور
أنا طفـــل علـــى الـــضفاف صـــغير أنـــا كهـــل تحـــت الظـــلال كـــبير
ألـــف ذكـــرى شـــريطها في كيـــاني يعـــذب العـــرض منـــه والتـــصوير

فحنين الشاعر إلى نهر العاصي وبلاده وأصدقائه قد تجاوز كثيرًا من معاني الحنين الـــتي ألفناها في الشعر العربي ، فنهر العاصي لم يعد ذلك النهر ، بل إن دلالته عنده أكبر من ذلك بكثير ، وعاطفته تجاه بلاده أبعد من عاطفة الحنين ، ولا أدري أكان هذا الحنين للنهر رمزًا إلى خير الطبيعة وألفة القرية . وأرى أن حنينه إلى النهر لم يكن حنينًا للماء ، بل كان حنينًا للجذور المتصلة بها سعادته .

ودمر من الشعراء الذين أوغلوا في الاغتراب ، فكان الاغتراب بالنسبة له كالبركـــان العنيف في حياته ، فقد شعر به من أول مقدمه للعالم الخارجي ، وأحس بالفتور والجفـــاء في علاقاته مع الآخرين ، فآثر العزلة التي كانت بمنزلة الهروب من واقع أليم لا يستطيع التكيف معه ، ولجأ إلى حديث النفس ، وإلى عالم الذكريات ؛ كي يتذكر وقتًا أو حدثًا شعر فيـــه بالرضا ؛ لينعم بالراحة والرضا (١) ، فهو يرفض أن يفكر في حاضره المعيش ؛ لذلك انطلق في عالمه المتخيل ؛ كي لا يشعر بالانهزامية .

وثمة قصائد في شعره تعبِّر عن شعوره بالوحدة ، وتعرض لنا تجربته مع الاغتـــراب ، ويتضح من تواريخها أن ذاك الشعور يرقى إلى زمن باكر . ففي قصيدة (شاعر) (٢) :

ولم أر بين الناس مـــن رام لي هـــدًى ولم أر إلا حاســـــــدًا لي مفنـــــــدا
قطعـــت رجـــائي منـــهم فكـــأنني أعـــيش بـــدهري في حيـــاتي مفـــردا

(١) انظر : الشعور اختيار ينبع من الذات ، للدكتور : جاري مكاي ، و د. دون دينكمـــاير ، مكتبـــة جريـــر ، ٢٠٠٥م ، ص (١٢٤) .

(٢) ديوان علي دمر ، ص (١٣٤) .

وفي قصيدة أخرى نظمها الشاعر وهو في الثامنة عشر من عمره ، تعبر عن توقه إلى الوحدة ، وتدل على أنه اتخذ منها منهجًا (١) :

أنا لو ألقيت في غابة لن أخرجا
علني ألقى من الناس فيها ملتجا
أجد الوحدة من كل همٍّ فرجا
أكثر الناس به غادرٌ لا يرتجى
انفردت الآن لا أبتغي لي مخرجا
أحتسي كوب الهنا في بساتين الحجا
خير صحبي أسطر وسراج في الدُّجى
إن زادي عزلة كلما الليل سجا
طابت الوحدة لي في حياتي منهجا

فالشاعر يؤثر أن يعيش في الغابة على العيش بين الناس ، ويجد في عزلته خلاصًا من الهم ، وبها فرارًا من كل غادر لئيم . وفي انفراده في البساتين بين أوراقه وأقلامه تحت ضوء سراجه في ظلمة الليل البهيم في كوخه هناءته ونجاته من الدنيا وشقائها .

ويعمق شعوره بالاغتراب عندما يغدو نظمه للقريض مصدرًا من مصادر حزنه وآلامه ، يقول (٢) :

آه يا شعري ليتني لم أكن في هذه الحال من شعور وحس
ليتني لم أكن عرفتك قبلاً منك أحيا في كهف وهمٍ وحدس
أي شيءٍ جنيت منك بدهري غير حزني بين الأنام وتعسي

إنها حسرة ملفعة بالألم الحارق ، يثيرها هذا التمني المتكرر الذي أدى دورًا هامًا في تجلية إحساسه في تلك اللحظة ، وقد عضده ذلك الاستفهام الإنكاري الذي أوضح سبب

(١) ديوان علي دمر ، ص (٤٣٠) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٣٧٢) .

رغبة الشاعر في عدم معرفته بالشعر ؛ فهو مصدر تدفق وجدانه في مهرجان الأحزان .

ويقول في قصيدة (رسالة الشعر) (١) :

آه يـــا شـــعري غريـــب أنـــت مثلـــي في الحيـــاة
ضـــــيعتنا غفلـــــة الأيـــــام بـــــين المهمـــــلات
لم نجـــئ في عـــصر الـــشعر زمـــان العاطفـــات
نحـــن في عـــصر بـــه الإنـــسان عبـــد الأدوات
حجـــري الطبـــع يعـــدو لاهثًـــا للمنفعـــات
ليريـــق الـــذهب المغـــوي لـــدرك الـــشهوات
أيـــن روح الـــشعر والفكـــر سمـــو الومـــضات
عش غريبًا مثـــل عيـــشي بـــين هـــذي الكائنـــات
ربمـــا صـــادفت قلبًـــا شـــاعري النبـــضات
شـــفه الإحـــساس والحـــب وطهـــر النفحـــات

(آه يا شعري) بهذا المطلع يستهل الشاعر قصيدته ، ويتحسر أنه لم يولد في عـــصر العاطفة المشبوبة ، وإنما ولد في عصر الآلات ؛ حيث أصبح الإنسان عبدًا لما يصنع ، وقـــد أبرز حجم القسوة التي يعانيها تركيب (حجري الطبع) . وقد بدأت حلاوة ألفاظه وهمس حروفه شاخصة وواضحة تثري هذه التجربة التي اختصرها المطلع ، فغـــدا اســـم الفعـــل المشحون بالتحسر المتنفس للشاعر الذي اضطرم الألم في أعماقه ، وامتـــزج مـــع الـــضغط الداخلي الذي يحسه الشاعر فأطلق تلك القذيفة (آه) التي كانت بمثابة التنفيس له ؛ كي لا يأتي على بقيته الألم .

وفي قصيدة (الغربة الدائمة) يوجز تجربته مع الغربة التي رافقته منذ الـــصبا – كمـــا أسلفت – ، فاعتاد قيدها ؛ لأنها أصبحت جزءًا من كيانه . يقول (٢) :

---

(١) من القصائد المخطوطة في غير الدواوين ، وفي مكتبتي نسخة منها .

(٢) ديوان علي دمر ، ص (٤٣١ – ٤٣٢) .

قـــال اغتـــرابي يـــا تعيـــ ـــيس الحـظ يـا صـنو الخطـوب
اقنـــع بمـــا قـــسم القـــضا ء ومـــا تقـــرره الغيـــوب
عمـــري يـــذوب علـــى الـــدروب وأنـــا كأيـــامي أذوب
هـــذا نـــصيبي غربـــة كيـــف الخـــلاص مـــن النـــصيب

هنا يصغي الشاعر إلى صوت اغترابه الذي يبدو أنه كان سميره في ليله ، وأنيسه في وحشته ، يناديه بما لازمه طيلة حياته ألا وهو الشقاء ، ويدعوه إلى الإيمان بقضاء الله – ﷻ – ، فالغربة هي ما كتبه الله – ﷻ – عليه .

وكأني به يريد أن يسمع هذا من غيره ، فنفسه الحالمة لا تنفك تمنيه بغد أفضل وأخصب ، ويلوم في هذه الأبيات استسلامه الذي استعان به في حربه مع واقعه . الاستسلام الذي يدفعه للرضا بالنتائج حتى ولو كانت بما لا تشتهي الأماني ، وبالتالي لم يستطع أن يتخطى الصعوبات ، أو أن يتجاوزها ؛ لذلك يرى في موته راحته ، يقول (١) :

تناضـــلني كـــل الأمـــور ضـــراوةً وما فتـــرت عـــن حـــربي المتمـــادي
أرى راحتي تحـــت التـــراب فلـــهفتي علـــى هـــدأة لا تلتقـــيني بعـــواد

وقوله (٢) :

مـــتى قـــدومك يـــا مـــوتي لتنقـــذني من ورطةٍ في حيـــاتي لـــيس تحتمـــل

وقوله (٣) :

أيا مـــوتي الـــصغير فـــدتك نفـــسي مـــتى يـــأتي لي المـــوت الكـــبير

وتمني الموت من المنافذ التي لجأ إليها الشاعر كغيره من الشعراء العرب ، الذين تـأثروا

(١) ديوان علي دمر ، ص (٤٣٣) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٤٤٢) .
(٣) المصدر السابق ، ص (٤٤٤) .

بالرومانسية ؛ فقد أوصله اليأس إلى " مناداة الموت تخلصًا من الحياة " (١) ، وهذه الفكرة راودت كثيرًا من شعراء الشكوى والقلق في العالم العربي (٢) ، وقد تسللت إلى نفسية أبي القاسم الشابي ، الذي نظر إلى الموت بوصفه تجربة جديدة ، يجد فيها الخلاص من ربقة الألم الممض (٣) ، وتسربت هذه الفكرة إلى الشاعر ؛ إذ يقول (٤) :

وكم تمنيت أني ما ولدت وكم ... رغبت بالموت يطويني على عجل
كي أستريح ويطفي الجمر في كبدي ... فما تحقق لي في العمر من أمل

وهو – دائمًا – يصور نفسه في الحياة سجينًا يعيق تقدمه القيد ، ولا يقوى على الخلاص من الشقاء والبلاء ، فليس له حيلة بجيوش القدر – على حد تعبيره – ، يقول (٥) :

وما أنا في ذي الأرض إلا كطائرٍ ... سجينٍ بقبرٍ فاقد النور ضيق
مشيت بها لم ألق فيها سوى الشقا ... وغير امرئٍ مستوحش الطبع أحمق
أكافح جهدي ثم آوي لخيبةٍ ... كأن فؤادي من حميا الأسى سقي
وعشت ذكيًّا في حياتي مفكِّرًا ... فلم يكفني فيها ذكائي ومنطقي

إنها السوداوية التي لم يتخلص منها ، فظل طيلة حياته حبيسًا في محبسها ، ويبدو أنه وجد فيها خلاصًا له من حياة البشر ، فهو كطائر وضع في قبر ضيق لا نور فيه ، وهذا الطائر لم يوضع في قفص فيرجى خروجه ، بل قد وضع في ذلك القبر ، ومن دخل فيه فلا يرجى خروجه .

---

(١) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ، ص (٢١٧) .

(٢) انظر : دراسات في الشعر العربي ، للدكتور : شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٦/٦م ، ص (١١٤) .

(٣) يقول أبو القاسم الشابي :

في ظلام الفناء أدمن أيا ... مي ولا أستطيع حتى بكاها
وزهور الحياة تهوي بصمت ... محزن مضجر على قدميا
جف سحر الحياة يا قلبي البا ... كي فهيا نجرب الموت هيا

ديوان أبي القاسم الشابي ، ص (٢٠٥) .

(٤) لوحات من حياتي ، ص (١٣) .

(٥) ديوان علي دمر ، ص (٤٠٧) .

وهناك قصائد بذاتها يتعدد فيها نوع الاغتراب ، ويظهر فيها الأثر الزمني ، إما في طريقته في التصوير أو في أسلوبه ، أو في إيقاعه ، وبالتالي نرى تشكيلاً في عناصره اللغوية والإيقاعية تتخذ نوعًا من التأثير في القارئ ، وخاصة هذه الأبيات التي توضح لونًا من ألوان الغُرَب التي تجرعها الشاعر ، وهي الغربة الوجودية ؛ التي أحس بها في مواجهة الوجود ؛ من أنه وجود فان ، والحياة فيه قصيرة ، مشحونة بالقسوة والمتاعب ، ولن يكون الخلاص إلا بانتظار الموت ، يقول (١) :

يا قبل ميلادي فديتك راحةً ... يا ليتني ما زلت فيك مقيما
لله ما أحلى فنائي لم أزل ... منذ الولادة خائبًا محروما

ويقول (٢) :

أهيم بآفاق الهناء مرفرفًا ... وأحظى بأملاك السماء وألتقي
هناك بنور الله أسبح هانئًا ... وأسمو على ضوء النجوم وأرتقي

ولعل في الذكريات ما يزيد من وحشة الغربة ، عندما يتذكر زوجته ، وما بينهما من مسافة ، يقول (٣) :

إذا جن ليلي يابنة العم لم أنم ... وطيفك في نفسي ملاك مصور
لقد فصلت يا أم كهلان بيننا ... بحار وبيد لا تحد وتحصر
وعينيك ما ذقت الهناء بغربتي ... لبعدك لو أهداني الملك قيصر
فلا تتركي ذكراي تشجيك إنني ... أخاف من الذكرى عليك وأحذر

الشاعر – هنا – لم يستحدث أسلوبًا جديدًا للتعبير عنما يكتنزه من مشاعر تفيض تجاه زوجته ، بل اقتبس من أساليب القدماء ، ومع هذا فقد نجح في نقل هذه التجربة ؛ بسبب

(١) من القصائد المخطوطة في غير الدواوين ، وفي مكتبتي نسخة منها .
(٢) ديوان علي دمر ، ص (٤٠٧) .
(٣) ديوان حنين الليالي ، ص (١٠٧) .

صدق مشاعره ، وقد أسهم الضمير (ياء المتكلم) الذي ورد في أغلب الأبيات في خلق ذلك الشعور والإحساس ، ومما أسهم في إبراز شعوره – أيضًا – تنويعه في نداء زوجته ، فمرة يناديها بابنة العم ، ومرة بأم كهلان ، وأخرى يناديها بأم صبيته ، هذا التنويع في النداء خلق إحساسًا جديدًا مشحونًا بالشوق والحب ، وأشعر القارئ بخوف وحذر الشاعر على من يناديه ومن تركه معه ، إنها مجموعة أحاسيس تلاقت في ميدان واحد ، فاندمجت ؛ لتخلق دفء تلك المشاعر .

ويلتفت الشاعر إلى ما مضى من ليالٍ وهو قريب من زوجته وأطفاله ، فيترحم على تلك الليالي ، يقول (١) :

سلام على تلك الليالي التي مضت بقربك يجلوها بهاك المنور

الشاعر في هذا البيت يغلف حنينه وشوقه بغلاف الرحمة والأمن والاطمئنان ، إنه السلام الذي ما إن يسمعه أحد حتى تسكن روحه وتهدأ .

وتراوح رد فعله على اغترابه بين الهروب من واقعه إلى واقع صنعه في مخيلته ، أو إلى العزلة ، أو إلى الإيمان .

١ – الواقع المصطنع :

لقد دفعته غُرَبه إلى رفض واقعه والعيش في واقع صنعه بنفسه ، فساح فيه طولاً وعرضًا ، يقول (٢) :

نظرت لواقعي ففزعت منه مآسي لا تحبر في مقال
رنوت لواقعي فهربت منه إلى كونٍ زهيٍّ في خيالي

فالشاعر فزع حينما نظر إلى واقعه الذي تلفه المآسي في طياتها ، فهرب من واقعه المعيش إلى واقعه المصطنع في معامل مخيلته .

---

(١) ديوان حنين الليالي ، ص (١٠٨) .

(٢) ديوان علي دمر ، ص (٢٢١) .

ويقول في قصيدة أخرى (١) :

فيـــا قيثـــارتي في الليـــل نـــوحي ... فروحـــي للـــسماء بهـــا انجـــذاب
ويـــا قلمـــي تـــرنم لي فمـــا لي ... ســـوى شـــعري إذا حـــل اكتئـــاب
وهـــات مـــن الخيـــال إلي كوبـــا ... فحـــسبي مـــن خيـــالاتي شـــراب
ســـأخلق لي مـــن الأكـــواب دنيـــا ... لأحلامـــي كمـــا لاح الـــسراب
بهـــا الأجـــواء بالأضـــواء تزهـــو ... أطـــير بهـــا كمـــا طـــار العقـــاب
وأنظـــر مـــن علـــى أفقـــي لأرضٍ ... بها صـــخب كمـــا نبحـــت كـــلاب
ستسكن في الـــسما روحـــي بكـــوخٍ ... له ســـحب الفـــضا النـــائي ركـــاب
تـــسامرها نجيمـــات الـــدياجي ... وتـــسري مثلمـــا انزلـــق الـــشهاب

فالمتأمل للمطابقة التي أجراها الشاعر بين (السماء) و (الأرض) يدرك أن نفسه متشوقة لعالم آخر يكون في سماء بعيدة عن الأرض ، ولفظة (انجذاب) لخصت النص ؛ حيث إن الشاعر حمَّله دلالته وشحنه بعاطفة كم أحسسناها ونحن نقرأ قصائده المتناثرة في دواوينه . وربما أسهم حرف (الألف) الذي جاء ردفًا في إيصال مدى تعلق الشاعر بعالمه المتخيل ، وللإيقاع نصيب في إيصال ذلك الإحساس للقارئ الذي أدرك ما كان يغلب على الشاعر من حزن ووجد وكبت وألم ، ولا أدري ألعبت القافية دورًا في رسم تلك الصورة التي حاول أن يرسمها ؛ ليعبر عن حالته في تلك الليلة التي ناحت فيها قيثارته ، وترنم فيها شعره ، فانجذب إلى السماء .

٢- العزلة :

هي ظاهرة مرتبطة بظاهرة الاغتراب في شعره ؛ فكثيرًا ما يجمع بينهما في فكرة واحدة - وقد مرَّ في هذا المبحث كيف كان الشاعر يتوق للوحدة والعزلة ؟ - ولا شك أن في اعتزاله هروبًا من واقعه ومن غُرَبه ، يقول (٢) :

---

(١) ديوان علي دمر ، ص (٤١٦ - ٤١٧) .

(٢) صفحات من حياتي (مخطوط) ، ص (٢١) .

عـــود علـــى العزلـــة نفـــسًا أبـــت ... إلا نغمًـــا ســـافي الجماعـــات
تجـــاربي في العمـــر أدت إلى ... أن اجتمـــاعي أصـــل مأســـاتي
وقـــالوا عزلـــة فيهـــا هـــروبٌ ... وجـــبنٌ لا يقـــرُّ بـــه الأريـــب
إذا ما النـــاس قـــد أضـــحوا ذئابًـــا ... فكيـــف يعـــيش بينـــهم الأديـــب
أنـــا وكـــوخ الـــشعر في عـــالم ... موج الرزايـــا فيـــه عـــات رهيـــب
مـــن عـــزلتي أنـــشر في ليلـــه ... مـــشاعل الفكـــر تـــثير القلـــوب

فالشاعر يرى أن أصل مأساته هي مخالطة الناس ، وفي هذا النص يحاول أن يرد علـى من يرى في هذه العزلة هروبًا وجبنًا ، ولكنه لم يوفق في إقناع القارئ ، فكمـا في البـشر طباع الذئاب – على حد تعبيره – ، ففيهم من جبل على الخير والحب والنقاء . والمجتمع فيه الخير وفيه الشر ، وفيه الظلام وفيه النور ، وفيه السعادة وفيه الشقاء ، وفيه الـبلاء وفيـه الهناء ، ومهما حاول أن يقنعنا بأن هذا الهروب هروب إيجابي ، وليس سلبيًا ، فلـن يفلـح حتى إن قال : إنه من عزلته ينشر للبشرية الفكر والعلم .

وتطالعنا تجربته مع العزلة في قصيدة (شاعر) حينما ينزوي وحيدًا منفردًا كئيبًـا في الليل الظليل ، يقول [1] :

وانـــزوى مفـــردًا كئيبًـــا بليـــلٍ ... خبـــأ الـــنجم في دجـــى طيلـــسانه
صـــيرته الآلام نـــضوًا هـــزيلاً ... فهو يكـــوى بـــالجمر مـــن أحزانـــه
في دجـــى الليـــل جـــاثم بـــانفرادٍ ... يرســـل الآه في نـــواحي كمانـــه
حلقت روحه علـــى الأفـــق خوفًـــا ... مـــن لظـــى جوفـــه ومـــن أشـــجانه
واعتلـــت تقـــصد الـــسماء لتحيـــا ... بـــين أفلاكـــه وضـــمن أمانـــه
سئمت عيشها علـــى الأرض تحـــسو ... مـــن يـــد البـــؤس خمـــرةً في دنانـــه
إنمـــا الـــشاعر الحـــزين غريـــبٌ ... عـــن بـــني جنـــسه وعـــن أخدانـــه

(١) ديوان علي دمر ، ص (٣٦٩) ، والأبيات المذكورة من قصيدة واحدة ، ومن أكثر من بحر شعري (الـسريع التام ، والوافر التام) .

فالشاعر لم يجد بدًا من اعتزال الناس بعد أن ساء ظنه بهم وبكل ما في الكون ، فانزوى بعيدًا عن البشر الذين شملهم بسخطه واستعاض عن معاشرتهم بمسامرة الأفلاك والنجوم . وأشعر أن في القصيدة رابطًا متينًا بين رؤيا الشاعر وأحاسيسه وشعوره ، وبين اختفاء النجم ، فكثيرًا من الأنجم لا نراها ؛ بسبب بعد مسافتها من الأرض ، وهكذا يرى أنه اختفى في زمنه لاختلاف ذوقه عن أخدانه ونظرائه .

ويقول في قصيدة أخرى (١) :

سأبقى ما حييت على انفراد ... فما في وحدة الإنسان عاب
ولم آنس بخلٍّ قط يومًا ... سوى معنى يتمتمه كتاب
ولا أبغي نديمًا في حياتي ... سوى لحنٍ يدغدغه رباب
وشعرٌ لي يبثثه يراعي ... يصاغ به لحسنائي عتاب
سأكتمه عن الدنيا لأني ... بنفسي من بني الدنيا ارتياب
سأحجب عنهم دقات قلبي ... فلي في عزلتي سر عجاب

فعناصر الوحدة مترامية في هذا النص مثل : (انفراد ، وحدة ، والحجب ، والعزلة) ، ولكن اللافت أنه سلط الضوء على غربة من غُرَبه المتمثلة في الغربة الاجتماعية .

٣- الإيمان :

وذلك عن طريق التعلق بالخالق المنعم ، والتمتع بمخلوقاته المبثوثة في الكون ، والتعرف على الخالق من خلال أسرار الكون ، يقول (٢) :

إذا ما سجى ليلي وهاجت خواطري ... وجالت دموعي في الجفون السواهر
وطار خيالي في التأمل هائمًا ... ورف على وهج السنا والزواهر
ولم أر في قلبي بصيصًا لمأملٍ ... كأنَّ فؤادي في ظلام المقابر
خَليٌّ من الدنيا شقيٌّ بذكرها ... وقد هدمته بالجدود العواثر

(١) ديوان علي دمر ، ص (٤١٧) .
(٢) المصدر السابق ، ص (١٦٨) .

إذا استوحشت روحي وملت سرائري ... ولم أر في الـــدنيا هنـــاءٌ لعـــابر
وفتشت عن أنسي وراحـــة هاجـــسي ... ومـــورد آمـــالي وهـــدأة ثـــائر
وجدتك بالآثار يـــا مبـــدع الـــورى ... تلوح جليًّـــا خلـــف كـــل المنـــاظر
أراك بأضواء الكواكـــب في الـــدجى ... وفي طلعـــة البـــدر البـــهي المفـــاخر
وفي بسمة الصبح السني وفي الـــضحى ... وفي الشمس تجلو حالكات الـــستائر

وقد كان إحساسه بالغربة الروحية " في مقدمة الأسباب التي جعلـــت منـــه شـــاعرًا ساخطًا على المجتمع ، كثير التشاؤم ، يجأر بالشكوى من الحياة وما فيها من ظلم ، ويحمـــل على الناس وما يكنون في نفوسهم من شر . ويصور قلقه من المجهول ، وسأمه مـــن هـــذه الحياة سأمًا بلغ به في كثير من الأحيان أن يتمنى الخلاص منها بالموت" (١) .

ومن الأسباب – أيضًا – التي أدت إلى ظهور شعر الشكوى في شعره عدم قدرته على تحقيق آماله وطموحاته ، فهناك مطامع تجتاح قلبه ، ولكنها تصطدم – دائمًـــا – بعقبـــات وحوائل دون تحقيقها في مسرح الحياة ، ومن ثم لاذ بالطبيعة هروبًا من واقعه المرير ، يبثهـــا شكوته ، ويعكس عليها صورة كآبته ، كما حلق في سماء الخيال ، وهام في وادي الـــرؤى والأحلام ، يخيط من وهمه جلبابًا للحزن الممضِ . يقول (٢) :

كـــأن الـــسعي لي هـــدفٌ وحيـــدٌ ... إذا مـــا خـــانني الهـــدف الوحيـــد
ســـرابٌ كـــل عمـــري في ســـرابٍ ... أطـــير لـــه ومـــا حـــان الـــورود
وتقـــذفني الريـــاح إلى بعيـــدٍ ... وأقـــرب والبعيـــد هـــو البعيـــد
تعبت مـــن الطمـــوح فليـــت يأسًـــا ... يحطمـــني ليرتـــاح الـــشريد

وأكثر من يبحث عن هذا الموضوع الحالك الظلمة : هم أصحاب النزعة الانعزاليـــة ، الساكنون في ظلمة ذواتهم السالكون طريق الانطواء (٣) .

---

(١) علي دمر شاعر الحب والغربة والحنين ، للدكتور : رجا سمرين ، ص (٢٠٦ – ٢٠٧) .

(٢) ديوان علي دمر ، ص (٣٩٩) .

(٣) انظر : الشعر المعاصر في ضوء النقد الحديث ، لمصطفى السحرتي ، مطبوعات تهامة بجـــدة ، ١٤٠٤/٢م ، ص (٢١٦) .

ونغمة الحزن قد استفاضت في شعرنا العربي الحديث " حتى صارت ظاهرة تلفت النظر ، بل يمكن أن يقال إن الحزن قد صار محورًا أساسيًا في معظم ما يكتب الشعراء المعاصرون من قصائد " (١) .

وألف دمر الحزن منذ نعومة أظفاره ، و لم يبرح الألم منازله ، وظلَّ ممتطيًا ظهره يواصل الرحلة في صحراء الضياع .

والمتمعن في شعره يدرك أن نفسيته محزونة ، يطلُّ منها الأسى الخجيء ، فيظلل شعره بسحابة كئيبة ، نابضة بخلجات قلب مكلوم ، فالشاعر عاش محرومًا من حنان الأب ورعايته ، فمعاناة اليتم ، ومعاناة الاغتراب ، والفقر أورثه حزنًا وقلقًا وألمًا لم يكن يخفف منها سوى حضن شعره الدافئ ، يقول (٢) :

نشأت يتيمًا غريب الصفات فقيرًا بأخصب أرض الوطن
ألفت اغترابي في موطني وفي غيره وتوالي المحن

وهناك أسباب أخرى أدت إلى شيوع تلك الظاهرة في شعره شكل بعضها ظواهر شعرية غالبة ، بسبب تشعب أفكارها وتعدد أسبابها :

٤- البؤس :

فالشاعر على وتر اليأس غنَّى أحزانه وعذابه وصراعه بين طموحاته وانكساراته منذ يتمه المبكر ، فقد فقد والده وهو يخطو على عتبات السنة الثالثة من عمره ، فغدا لعبة بين أيدي إخوته غير الأشقاء ، يتصرفون به كما يشاؤون ، وينقلونه معهم من قرية إلى أخرى كقطعة من أثاث ، وفقد مع هذا التنقل منابع العطف والحنان ، وفي حياته التعليمية كان يتنقل من كتاب إلى آخر ، ومن مدرسة إلى أخرى - كما مرَّ في التمهيد - .

(١) الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ، للدكتور : عز الدين إسماعيل ، دار العودة ببيروت ، ١٩٨٨/٥م ، ص (٣٥٣) .

(٢) لوحات من حياتي ، ص (١٥) .

وهكذا يمضي الشاعر في طفولته وحيدًا شريدًا متغربًا محرومًا من السعادة واللعب مع اللدات ، ومما يتمتع به الأطفال من الدلال والعناية ، وكل أشكال الترويح ووسائل البهجة .

ويكبر وتنقضي سنوات الدراسة ، وينطلق الشاب في الدنيا طالبًا الرزق ، ويبزغ – على نفسه – فجر جديد ، تتفتح فيه زهور الأمل ، ولكن الظروف القاسية لا تزال بالمرصاد ، فسرعان ما تعمل في كبده ، وتنقض على أحلامه الغضة البهية ؛ لتعصف بها وتذبلها ، فيبدأ طور جديد من الصراع العنيف في سبيل العيش ، وبناء المستقبل الجميل ، وتلوح الكآبة بوجهها العكر ؛ لتري الشاعر ألوانًا من الغُرَب: غربة عن البلاد ، وغربة عن الزمن ، وغربة الروح . يقول (١) :

مشردٌ في بلاد الله يقذفني ... بحرٌ لبحرٍ وصحراء لصحراء
كطائرٍ في الرياح الهوج تدفعه ... عواصف البيد في غيمٍ وظلماء
بدون عشٍّ بلا أرضٍ ولا وطنٍ ... جواب آفاق أحزانٍ وأرزاء
خمسون عامًا بغيب التيه قافلتي ... بلا قرارٍ لدى صبحٍ وإمساء
مسافرٌ دائمًا لم أسترح أبدًا ... ضاعت دروبي وغامت كل أرجائي
كزورقٍ في جبال الموج مضطربٌ ... بلا منارٍ ولا نجمٍ وميناء
سفحت كل شبابي في الضياع وذي ... كهولتي بين إدناءٍ وإقصاء

هذه النبرة الحزينة والحسرة التي تغلف هذه الكلمات تنقل لنا إحساسه الصادق الذي غمره بالحزن الدائم والألم الحارق .

فيبدأ النص بتصوير رحلته مع الغربة في بحر الحياة وصحرائها الجرداء ، فلم يلقَ في رحلته غير الشقاء والتشرد ، فكلمة (دائمًا) بزمنها المستمر توضح الحالة التي كان عليها الشاعر ، وتشي كذلك باستمرارية الرحلة ، وعدم اهتداء القافلة . وصورة الطائر الذي لم يلقَ عشه ؛ بسبب الريح العاتية والظلمة الحالكة ، وصورة الزورق الذي اعتلى الأمواج

(١) ديوان علي دمر ، ص (٣٥٧) .

المضطربة ، فلم يهتدِ ربانه بالنجم ، فتاه عن الميناء ، فلم يرسُ بعد ، قربتا الصورة التي كان الشاعر عليها ، وقد أسهمت الموسيقا الداخلية في إبراز الفكرة الأساسية في النص .

وقد أحسن الشاعر في براعة التصوير لذلك العذاب الأبدي والمطاردة الدائمة حتى من طبيعة ، كل شيء يطارده ويدفعه للبدء من جديد ، كأن عذابه وبؤسه مستمر إلى خاتمة عمره ، يقول (١) :

كتب الله من سيمحو الكتابا ... أن سأحيا تشردًا واغترابا
حكمة الله أستكين إليها ... دون فهمٍ ولو غدوت يبابا

ولا ينفك من تصوير عذابه وبؤسه ، فدائمًا يواصل الحديث عن هذا العذاب ، يقول (٢) :

إلام هذا الأرق الدائم ... حتام هذا السأم الجاثم ؟
ينام كل الناس يا شاعري ... وأنت لا صاحٍ ولا نائم
كأن جوف الليل بحرٌ به ... أنت شراعٌ تائهٌ هائم
كأن جن الليل شعبٌ به ... أنت زعيمٌ ساهرٌ فاهم
ما باله يرمق إشعاعنا ... بأعينٍ إشعاعها قاتم
حيران لا يدري أأشواقه ... تطفو به أم حقده العارم

الشاعر يخلو بنفسه في ظلام الليل قابعًا في زاوية من زوايا داره مؤرقًا مسهدًا ، بينما في الوقت الذي ينام فيه كل من حوله في نعمة الدفء والأمان والحنان ، وما من أنيس يعينه على هذا السهاد العاتي ، ويسلبه من همومه ، وينقذه من أهوال بؤسه .

وقد استطاع أن ينقل القارئ إلى هذا الجو الكئيب على أجنحة العبقرية والموسيقا المتموجة ، والبنى اللغوية المتكررة كالأمواج التي تبعث الشك والقلق والكآبة .

---

(١) ديوان علي دمر ، ص (٣٩٣) .

(٢) المصدر السابق ، ص (٣٥٨ - ٣٥٩) .

ويقول (١) :

مسافرٌ دائمًا لم أسترح أبدًا ... ضاعت دروبي وغامت كل أرجائي
كزورقٍ في جبال الموج مضطربٌ ... بلا منارٍ ولا نجمٍ وميناء
سفحت كل شبابي في الضياع وذي ... كهولتي بين إدناءٍ وإقصاء
أزداد بؤسًا ويأسًا كلما قربت ... شيخوختي وعناء فوق بأسائي

لم يسترح الشاعر من سفره الدائم الذي أضاع دروبه وأضعف رجاءه ، وحالته كحالة الزورق الذي تتلاطم الأمواج المضطربة لم يهتدِ للمنار ، ولم يصل إلى مرساه ؛ إذ لم يرَ النجم .

ويقر الشاعر أنه ضاع قبل أن يضيع شبابه في متاهات الضياع ، ويبدو أن كهولته تسير في طريق الضياع ؛ لهذا يزداد بؤسه ويأسه في هذه المرحلة العمرية .

٥- فشله في الحب :

لقد أسهمت تجاربه العاطفية في شيوع هذا النوع من الشعر ، وقد ربط ذلك الفشل برحلة البؤس والشقاء ، فلا يستغرب ضياع آماله واضمحلال أحلامه ، وهو لم يعتد من حبه غير المشاكسة والكبت والحرمان والقهر ، حتى وقر في ذهنه أن مهادنة الحب له أمر في عداد المستحيلات ، يقول (٢) :

يا ويح إهانة قلبي في ... حبٍّ أوهامي تصنعه
أعطيتك أثمن ما يعطى ... حبي إخلاصي أجمعه
لكن عطائي وا أسفي ... أضحى بقفار موضعه
لم يلق له كفئًا فطوى ... جنحيه وفاضت أدمعه
وهمي كم ورط آمالي ... بسرابٍ ضاع تتبعه

(١) ديوان علي دمر ، ص (٣٥٧) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٢٥٤ - ٢٥٥) .

لـــو فكـــر يومًـــا في حـــب قلـــبي ســـأحاول أنزعـــه

ويقول (١) :

علمـــت بحـــبي ولم ترحمـــي فـــؤادي ورحـــت بـــه تـــسخرين
أحـــب فنـــائي لكـــي تنعمـــي وهْـــوين أنـــت شـــقائي الـــزمين
أراك كروحـــي عـــني نـــأت فكيـــف وروحـــي جفـــتني أعـــيش
عيونـــك إمـــا لنحـــوي رنـــت تخـــور قـــواي وعقلـــي يطـــيش
وأنـــت يروقـــك أن تـــشهدي دمـــوعي وذلي لـــدى عزتـــك
عـــشقت الـــضحايا فلـــم تنجـــدي فـــتىً نحرتـــه مـــدى جفوتـــك

فالحب المعذب ، ورث حزنًا مزمنا في نفس دمر الذي عاش على الأماني العذاب ، مع من وهبها نفسه وطموحاته ومواهبه ، وعاد منها بجوى العشق ، وتبريح الهجران ، والحـزن المزمن ، وما هذه الأبيات إلا موجات من القلق ، تقذف بها نفسه من العمق إلى الشاطئ ؛ لتعود من جديد في دورة دائمة .

وهكذا حبه جذوة تصهر عروقه ، فوران وثورة تلهب الأشواق ، ورياح في الخريـف تؤرق المقل ، وحبه لوعة وسهد وعقوق من المحبوبة ، فهو – دائمًا – مـا يتوقـع الغـدر والخيانة .

٦– فقدانه التقدير والإطراء :

كثيرًا ما حاول دمر أن يلفت الأنظار إليه ، فنشر قصائده في الـصحف والمجـلات ، ونشرها في الدواوين ، وكتب المقالات الأدبية ، وشارك الأمة في آلامها وأحزانها بقـصائده المعبرة ، ودفع ثمن مواقفه النبيلة باعتقاله ، ومع هذا لم ينل ما أراد من شهرة وأضواء ، فظلَّ الشاعر المغمور المتغرب لاقتيات لقمة العيش (٢) :

(١) ديوان علي دمر ، ص (١١٨) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٣٧٢ – ٣٧٣) .

آهٍ يـــا شـــعري والحيـــاة انطـــلاقٌ وكـــأني أعـــيش فيهـــا بحـــبس
زدتـــني مـــن روح الطبيعـــة شـــعرًا غـــير أني بـــلا دواةٍ وطـــرس
زدتـــني مـــن نـــار المحبـــة شـــدوًا غـــير أني مـــا بـــين غـــمٍّ وخـــرس
بين قومٍ لا يعرفـــون ســـوى أكـــ ـلٍ وشـــربٍ وغانيـــاتٍ وفلـــس
تنطفـــي جـــذوة المواهـــب فـــيهم ويعـــاني الموهـــوب جـــذوة بـــؤس

ويقول (١) :

كم قيل لي في الظـــل أنـــت عـــلام لم تـــتقن فنـــون دعايـــةٍ غـــراء
فعـــلام تقبـــع في الزوايـــا قانعًـــا بـــالفن بالأشـــعار بالنـــدماء

فالشاعر يرى أنه لم يعطَ حقه ونصيبه من المكانة الأدبية والاجتماعية التي يستحقها في الوطن العربي ، فصغار الشعراء يقدرون ويحتفى بهم ، وهو قابع خلف الظل ، يحوك آماله وآلامه شعرًا ، ويعج بالحسرة والحزن ، وهو يحاول أن يطرح قضية عدم اعتراف الأمة بنوابغها الحقيقيين من الشعراء وتقصيرها في تسليط الأضواء عليهم ؛ " لينعموا بما هو حق لهم من الشهرة وذيوع الصيت قبل أن يغادروا هذه الحياة ، في الوقت الذي ترفع فيه الأدعياء الذين يجيدون فنون التزلف والتسلق ، وخفض الرؤوس ، . . . في سبيل شهرة عابرة لن تلبث أن تزول ؛ لأن الأمم مفطورة على التمييز بين الخبيث والطيب ، وبين الشعراء الأصلاء والمتشاعرين " (٢) .

وكثيرًا ما تبرم من حظه في الحياة ، الذي لم يسعده يومًا ، فيتبوأ الصدارة والمكانة اللائقة به ، يقول (٣) :

خلقـــت في هـــذه الـــدنيا كلؤلـــؤةٍ مكانها الصدر من حـــسناء كـــالقمر
لكنها أصـــبحت في غـــير موضـــعها تضيع مغمورةً في الوحـــل كـــالحجر

(١) من القصائد المخطوطة في غير الدواوين ، وفي مكتبتي نسخة منها .
(٢) علي دمر شاعر الحب والغربة والحنين ، للدكتور : رجا سمرين ، ص (٢٨ – ٢٩) .
(٣) لوحات من حياتي (مخطوط) ، ل (٢٢) .

٧- الفقر :

لقد نخر الفقر نفس الشاعر حتى رماه على هامش الحياة غريبًا حتى بين لداته وخلانه ، مشردًا لا يقر له قرار ، منشغلاً بهموم العيال ، يقول (١) :

أنا فقير وأهلي جميعهم فقراء
أنا تعيس وأهلي جميعهم تعساء
ابن الشقاء قديمًا وكل عمري شقاء
فإخوتي وجدودي جميعهم أجراء
عمال صنعٍ وزرعٍ تظلنا الرمضاء

ويقول في قصيدة أخرى حينما سأله أولاده : لماذا هذا الشقاء يلازمهم ؟ (٢) :

أبوكم ما سلا يومًا ولكن عوادي الدهر كالبيض الرقاق
أبوكم ما تعود خفض رأسٍ ولم يفتل أحابيل النفاق
تعود أن تقول الصدق حتى ولو أدى لتمزيق التراقي
لهذا فر منه الرزق حتى غدا للرزق دومًا في لحاق
إلى الرحمن أشكو ما أعاني من الدنيا وأشرح ما ألاقي

ولم تكن معاناة الشاعر مع العوز والفاقة وليدة أيامه الأخيرة ؛ ولكنها شبت وترعرعت معه من سني حياته الأولى ؛ حيث عاش اليتم والفقر وهو لما يزل يافعًا متلفعًا بالبراءة والطفولة .

٨- الشكوى من الناس :

" فالعلاقات مع الآخرين لها أثر كبير في نفس حساسة كنفسية [دمر] " (٣) ، فكثيرًا

(١) ديوان علي دمر ، ص (٤٢٧) .
(٢) ديوان عالم الأسرة (مخطوط) ، ل (٢٠) .
(٣) عمر بهاء الدين الأميري ، للدكتور : خالد الحليبي ، منشورات نادي جازان الأدبي ، ١٤٢٧/١هـ ، =

ما شكا دمر من الناس ، وصور شقاءه بهم ، فهم : العذال ، والحساد ، ومصدر البلاء ، . . . ، يقول (١) :

إذا خـــانني غـــدرًا صـــديق محـــضته ... ودادي وما يخفي بـــسري ومـــا بـــدا
فـــراح لأســـراري يـــذيع تجســـسًا ... وعاد لإخلاصـــي وصـــدقي مفنـــدا
وأهديتـــه قلبًـــا مـــن الـــود أبيـــضًا ... فأرسل لي قلبًا مـــن الحقـــد أســـودا
فيا ويح نفسي كـــم تفـــيض مآســـيًا ... إذا خابت الآمـــال أو كـــاد لي عـــدا

ونراه يشكو من العذال والحساد ؛ يقول (٢) :

لا تبوحي فـــأكثر النـــاس للعـــشـــ ... شـــاق يـــسعى كعـــاذلٍ أو حـــسود
حرموا (قيس عـــامرٍ) فجـــر لـــيلا ... ه وزادوا حرمانـــــــه بـــــــالوقود
فرقـــوا كـــل عاشـــقٍ عـــن حبيـــبٍ ... ألـــسنٌ عنـــدهم كنـــصل الحديـــد

الشاعر في الأبيات السابقة ينهى حبيبته عن البوح بحبهما ؛ لأن أغلب الناس ما بـــين عاذل وحاسد ، ويذكرها بقصة العامري مع ليلاه ، كيف حرم قربها بـــسبب الواشـــين ، والشاعر يدرك الأثر الذي تخلفه تلك الألسن التي تلوك قصته ؛ لهذا راح يحذرها من مغبـــة إفشائه .

ونراه يشكو من سهام من حوله وتمنيهم أن يقع في الدرك الأسفل مـــن العثـــرات ؛ فيقول (٣) :

رشـــــقتني ســـــهامهم وتمنـــــوا ... أن أســـــجى بهـــــوة العثـــــرات

وتارة من عقوق أصحابه ، وشماتتهم به ؛ مفسرًا ذلك بما انطوت عليه دخائلهم مـــن

= ص (٣٣٧) .

(١) ديوان علي دمر ، ص (٤٠٤) .

(٢) المصدر السابق ، ص (٢٤١) .

(٣) المصدر السابق ، ص (٣٦٢) .

الأحقاد ؛ فيقول (١) :

قد كان لي صحبٌ فلمّا غالني ... دهري غدوا بشماتة العذّال
يا شامتين وكان يصفو ودّهم ... ما للملامة يا رفاق وما لي
لؤمٌ يخالط معدن الإنسان في ... ضعة التّراب وخسّة الصلصال

وتارة يشكو من جيرانه ؛ فيقول (٢) :

يحاصرني من الجيران جيشٌ ... تسلّح بالحجارة والسّباب
بأيديهم فؤوس أو عصيٍّ ... أعدّوها لضربٍ واحتراب

وتارة يشكو من الزمن ، على طريقة الأقدمين من الشعراء الذين لاموا الدهر وعاتبوه (٣) ؛ يقول (٤) :

هل يجود الزّمان وهو بخيلٌ ... بعطاءٍ كحلو هذا العطاء

ويقول (٥) :

وكم صاولت دهري في نزال ... وكم صوّبت من سهمٍ يحيد

ولا شك أن دمر يوقن أن الله قدر الأقدار ، ولكنه قد جرى على خطى الأقدمين من قبله .

---

(١) ديوان علي دمر ، ص (٣٧٧) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٤٣٥) .
(٣) انظر : الوساطة بين المتنبي وخصومه ، لعلي الجرجاني ، تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ١/؟ ، ص (٤٣١) .
(٤) ديوان علي دمر ، ص (٣٠٤) .
(٥) المصدر السابق ، ص (٣٩٨) .

٩- الطموح لشاعر :

لقد أدى هذا الطموح إلى صراع بين الشاعر وإمكاناته المتاحة لتحقيق مراده ، وكم خسر في هذا الصراع ، فسكن القلق قلبه ، فبث شكواه شعرًا ، يقول (١) :

فيه نفسٌ طموحةٌ لو رأت في النجم فخرًا لخاطرت لاكتسابه
سائرًا للخلود رغم العوادي رغم حساد فنه ولبابه

ويقول (٢) :

سأصعد في الدنيا إلى ذروة العلا وإني على متن السحاب لراكب

فالشاعر عبَّر عن طموحه المجنح في وقت مبكر جدًا من حياته الشعرية ، بعد شعوره أنه يحمل بين جنبيه نفسًا طموحًا تواقة إلى تحقيق ما يصبو إليه ، ولكن حالت ظروف بينه وبين تحقيق شيء من طموحاته ورغباته . وقد صور ذلك الفشل في تحقيق الطموح في قصيدته (الفشل والطموح) (٣) :

لا أرى السفح لي موضعي في القلل
في فؤادي ضيا ء الطموح اشتعل
أومأت لي العلا فوق هام الأزل
انتقل انتقل من سفوح الزلل
واقتحم اقتحم قمتي يا بطل

وكم تألم وحزَّ في نفسه أن تحول الظروف بينه وبين طموحه المتمثل في سد احتياجاته التي تنأى به عن مذلة السؤال ، يقول (٤) :

---

(١) ديوان علي دمر ، ص (٣٦٧) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٢٤) .
(٣) المصدر السابق ، ص (٤٠٠) .
(٤) المصدر السابق ، ص (٤١٣) .

أؤمل أن أحظى بما يكتفي به ... قنوعٌ بهذا الكون دون شكاة
ولست من الراجين رفهًا وثروةً ... ولا بي طموحٌ جامح الشهوات
ولكنني أسعى لسد حوائجي ... وتفريح أحبابي وكيد عداتي
وقد خابت الآمال فيها فلا مشت ... إلى أي قطرٍ بعدها خطواتي
فدخل ذوي التدريس مثلي كأنه ... ثمالة فنجانٍ بكف سقاة

وأما أمانيه فدائمة الموت في مهدها ، فلم تتحقق له أمنية في حياته ، يقول (١) :

كم من أمانٍ لي تموت بمهدها ... كالطفل يولد نعشه إذ يولد
لهفي على يأسٍ يطيح بأملي ... في نهره جمر الأسى يتبرد

ومن ملامح ذاك الصراع أنه في أحلك ظلمات يأسه تراه حاملاً مشكاة أمله ؛ لتضيء دربه ، وتزيح عنه جمود الحياة ، يقول (٢) :

تعبت من الطموح فليت يأسًا ... يحطمني ليرتاح الشريد
ولكني أرى في الدجن برقًا ... فيغمر خافقي أملٌ جديد
يراودني فنفسي اليوم نشوى ... بلقياه كأن اليوم عيد
سأعدو نحوه مهما اعتراني ... أأجمد مبعث الموت الجمود

وبرغم الحياة الصعبة التي عاشها الشاعر ، وعلى أنه عاش على هامش الحياة إلا أنه ظلَّ مؤمنًا أن هناك غدًا مشرقًا يحمل بين طياته سبل تحقيق طموحاته ، ولا أدري أحقًا كان الموت يفصل بينه وبين غدٍ أفضل ، فكثيرًا ما كان يشعر بالموت يحول بينه وبين حياة أخرى أخصب وأنضر ، يقول (٣) :

أعيش بآمالي العراض كأنها ... ستبقى معي حتمًا إذا نلتها غدا

(١) ديوان علي دمر ، ص (١٧٦) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٣٩٩) .
(٣) المصدر السابق ، ص (٤٠٥) .

ويقول (١) :

يا ليت يأسًا به أرتاح يهدمني ... يخبو لهيب طموحي يخمد الأمل
ما زلت في وهم آمال مخادعة ... أسعى وأفشل منها شاربٌ ثمل
ولم أجد من نهاياتٍ لمرتحلي ... كتائهين بصحراءٍ وما وصلوا
الموت أعظم حلالٍ لمشكلتي ... أرتاح فيه وتشقى عنده العلل

١٠- واقع العالم العربي والإسلامي :

كثيرًا من أجزاء العالمين الإسلامي والعربي أصابهما التمزق ، والأحداث المتلاحقة التي حلت بهما ، " وانهيار القيم الإنسانية في المجتمع ، وليس غريبًا أن يتولد من هذا الوضع المأساوي شعور بالحزن يغمر الناس بعامة ، والشعراء بشكل خاص ، فكم لمس الشعراء هذه المأساة بالتصريح حينًا ، وبالرمز والإيحاء " (٢) حينًا آخر ، يقول (٣) :

يا رعى الله للعروبة مجدًا ... مزقته الخصومة الشنعاء
كان لولا النزاع ساد على الأكوان ... منه العبير والأضواء
ضجت الحور في الجنان سرورًا ... حين ضجت بالمأتم الأنباء
كم يرجون أن نكون شتاتًا ... ليس فينا تآلفٌ وإخاء
نتفانى على العروش وتجري ... في ربانا على الخصام الدماء

ويقول (٤) :

نمزق شملنا ونقول : عربٌ ... لنا الماضي العظيم فلا نبالي

ولقد حاول الشاعر أن يفتش عن منفذ يفر إليه هاربًا من وطأة آلامه المبرحة ،

---

(١) ديوان علي دمر ، ص (٤٤٢ - ٤٤٣) .
(٢) حركة النقد الحديث والمعاصر ، للدكتور : إبراهيم الحاوي ، مؤسسة الرسالة ، ١/١٤٠٤هـ ، ص (٢٠٠) .
(٣) ديوان علي دمر ، ص (٥٥) .
(٤) المصدر السابق ، ص (١٧٤) .

وشكايته الدائمة ، وقلقه الذي جثم على أمله .

ومن تلك المنافذ :

- **الشعر** :

كلما عصف الواقع بنفسه لاذ بالشعر الذي كان ملجأه إذا حزبه أمر ، يقول (١) :

إذا ما غبار الهم لطخ مهجتي أطهرها بالشعر واللحن والفكر
ولي عالمٌ في الشعر لو ذاق خمره ملوك الورى عافوا العروش بلا خسر

ونلحظ في الشطر الأخير كسر في الوزن ، ولو أبدل لفظة (العرش) بلفظة (العروش) لاستقام الوزن .

ويقول (٢) :

ويا قلمي ترنم لي فما لي سوى شعري إذا حل اكتئاب

ويقول (٣) :

سميري في الدجى ديوان شعرٍ قنعت به من الدنيا سميرا

والشاعر وجد في شعره ملاذًا آمنًا وطريقًا يسهل من خلاله تسريب الشحنات العاطفية المكبوتة عبر ألحانه ، يقول (٤) :

إيه أختاه ما الحياة بلا شعـ ر أليست ثقيلة الأعباء
ما شحوب الأيام إن لم تغن الر روح فيها على شعاع الرجاء

---

(١) ديوان رباعيات علي دمر ، ص (٦٩) .
(٢) ديوان علي دمر ، ص (٤١٧) .
(٣) لوحات من حياتي (مخطوط) ، ل (١١) .
(٤) ديوان حنين الليالي ، ص (١١) .

إذن فالشعر باب من أبواب الفرج التي تنفتح أمامه في ساعات الكبت والكرب .

- الهروب إلى الطبيعة :

لقد تبع دمر في هروبه إلى الطبيعة شعراء العرب في العصر الحديث ، الذين اقتفوا أثر شعراء الرومانسية في أوربا ، وهرعوا إلى الارتماء في حضن الطبيعة .

والشاعر – هنا – ينطلق من تجربته الذاتية ، فنراه في بداياته يلجأ إلى الطبيعة من حوله ؛ من الأزهار والنجوم والليل والبحر وغيرها ، يقول (١) :

يا سكون البحر آناء الدجى هل سكون البحر أوهامي الخفيه
يا سواد الأفق لا أعلم هل أنا معنى فيك أم معناك فيه

وبعد رحلته إلى مصر بدت هذه التجربة الذاتية أكثر نضجًا وقوة ، وهذا يدل على أن الشاعر تأثر بشعراء الوجدان الذين كانوا يفرون إلى الطبيعة ، يعوضون بها ما افتقدوه في حياتهم الباطنة ، الحافلة بالصراع المستمر ، وما افتقدوه في حياتهم الاجتماعية (٢) ، لذلك راح يخبئ في عالم الطبيعة أتراحه وشكايته .

وكثيرًا ما ناجى الليل ؛ يبثه شجنه وهمه ، ويطلب منه الرعاية والحدب ، يقول (٣) :

بعدما يخبو بها ضوءٌ ويغشاها لغوب
حدثيني يا نجوم الليل من قبل المغيب
عن زمانٍ كان لي فيه من الصفو نصيب
بينما كنت على وجهي بدنياي أهيم
هادئ النفس أناجي ظلمة الليل البهيم

(١) ديوان علي دمر ، ص (٣٦٣) .

(٢) انظر : الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، للدكتور : عبد القادر القط ، دار النهضة العربية ببيروت ، ١٤٠١/٢هـ ، ص (٢٩٩) .

(٣) ديوان علي دمر ، ص (١٢٧) .

سـابحًا في بحـر أوهـامي علـى ضـوء النجـوم
وبنفـسي ذكريـات البـؤس مـن حـبي القـديم
آهٍ يـا ليـل وللـذكرى دبيـبٌ في القلـوب

- الحلم :

وهو " نوع من التفكير الذي لا يتقيد بالواقع ، ولا يحفل بالقيود المنطقية والاجتماعية ، التي تهيمن على التفكير العادي ، وتستهدف هذه الأحلام إرضاء رغبات وحاجات لم يستطع الفرد إرضاءها في عالم الواقع " (١) .

وهذا الحلم نوع من التعويض الوهمي الخادع للإنسان ، ودمر نسج أحلامه في خياله وحقق فيها أمنياته التي عزت عليه في واقعه ، يقول (٢) :

حلـمٌ أبقـى مـن النـشوة خمـرًا سـرمديا
في طوايـا الـنفس يحتـل بقـاءً أبـديا
يـنعش الـروح ويبقـي العمـر مخمـورًا نـديا
ويبـث الـشعر في الأعمـاق لحنًـا عبقريـا
أنـا في اليقظـة لا ألقـى مـن الرحمـة شـيئا
ضـاع مـني الأنـس والآمـال فـرت مـن يـديا
كنـت في اليقظـة لا أطمـع في بـشر المحيـا
فـإذا في الحلـم أحـنى أنـت مـن أمـي عليـا

وهناك تجارب منها ما يغيب فيها دمر عن وعيه ، فيلتقي طيف محبوبته في الكرى مصغيًا لما يصوغ فيه من شعر عاتب رقيق ، حتى إذا أفاق من نومه لم يجد غير الوحشة والفراغ ، يقول (٣) :

---

(١) أصول علم النفس ، للدكتور : أحمد عزت راجح ، دار القلم ببيروت ، ١/؟ ، ص (٥٦٢) .
(٢) ديوان علي دمر ، ص (٢٦١ - ٢٦٢) .
(٣) المصدر السابق ، ص (٢٠٩) .

أنـــا في الكـــرى ألقـــاك لي متبـــسمًا يـــا طيفهـــا تـــصغي لـــشعر عتـــابي
فـــأفيق مـــذعورًا فـــألقى وحـــشتي لو أشـــتكي للـــصخر حـــن لمـــا بي

وهكذا يكون الحلم منفذًا لإراحة النفس ولو على شكل تيار يمر بين الحين والآخر .

لقد عبر الشاعر في شعر الاغتراب والشكوى بصدق وعفوية عما يدور بداخلـــه دون رغبة أو رهبة ، فاحترق وتألم وتشتت وتبعثر ، ثم اجتمع واتحد ، فقوي ، ولم يكن أسلوبه بأحسن حال من مضمونه .

وتميز هذا الغرض عنده من الناحية الموضوعية عن غيره ، فتعـــددت الموضـــوعات ، وحاول أن يتصيد ويوظف كل شعور وإحساس ساوره أو دهـــاه في غـــرض الاغتـــراب والشكوى . وأما من الناحية الفنية ، فإن انبثاق الشاعر من ذاته المتأوهة في ميادين الهموم قد نضحت بقصائد تميزت في صورها وموسيقاها ، وقد جاءت ألفاظه من معجـــم اليـــأس ، وحمله من كهوف الرعب والخوف ، وصوره من لحود القبور .

❖ ❖ ❖ ❖

المبحث الثالث

شعر الوصف

يعد الوصف من الأغراض البارزة في شعرنا العربي منذ العصر الجاهلي ، وقد ظلَّ ملازمًا للتطور والتجديد في كل عصر وبيئة ، بحسب الذوق العام لذلك العصر ، وخصائص تلك البيئة .

والشعراء في الوصف نوعان : " شاعر يقدم الأشياء التي يصفها كما هي ، كما لو كان رسامًا أو آلة تصوير " (١) ، وشاعر " قلما يتقيد بالمناظر الماثلة أمامه ، فهو يسرح الفكر بعيدًا عن هذه المناظر ، وتنبسط أفكاره ، فتتخطى أحاسيسه الحاضرة إلى أحاسيسه في الماضي ، ثم تتجاوز ، فتنطلق إلى إحساس أعم وأهم ، يشمل أحاسيس الآخرين في كل العصور ، ومن كل الأجناس ، وهو قد يضيف أو يبدل في عمل الطبيعة ، فينقل منها أشياء ، ويتشبث بأشياء ، ويغير أشياء ؛ ليجيء عمله ملائمًا لطبيعته ولإحساسه بالاختيار والتفصيل والتنسيق ، ورب لمحة أوحت إلى الذهن صورًا لا نهاية لها ، ورب نبضة عاطفية موحية أغنت عن إسهاب طويل في إبراز ملامح وشيات الموصوف " (٢) .

ودمر في وصفه للأشياء يدخل – في الغالب – في زمرة النوع الثاني ؛ حيث انعكست تلك الأوصاف على صفحة وجدانه ، فاستمدت من رؤيته ، ونظرته للحياة ، وارتدت أوصافًا أخرى تحمل طابعًا خاصًا أو معنى مغايرًا تمامًا لماهيته ؛ وما ذاك إلا لأنه كان يلتقط من بساتين البيان عبيرها وعصيرها ، ومن سواقي النفس خريرها ، ومن دنيا الخيال الجميل صورة يقصر الرسام الماهر عن إبرازها .

فوصف مشاهد الطبيعة : الربيع ، والورد ، ونهر العاصي ، والليل ، والمطر ،

---

(١) سيد قطب حياته وأدبه ، لعبد الباقي محمد حسين ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع بالمنصورة ، ١٤٠٦/١هـ ، ص (١٨٨) .

(٢) النهضة النسائية : من مقال بعنوان : الشعر والعلم ، فبراير ١٩٢٥م ، العدد (٢) ، ص (٦٩) . منقول من كتاب : سيد قطب حياته وأدبه .

والخضرة ، والبحر .

ودمر عشق الطبيعة منذ صباه ، وافتتن بسحرها وجمالها منذ أن بدأ يميز الأشياء . والطبيعة هي خشبة المسرح التي كان يجيد التمثيل عليها ، والنهر الذي يلتقط منه صوره الشعرية .

" وإذا تتبعنا شعر [الوصف] في دواوينه المختلفة فإننا سنجد أنه يتمثل في ثلاثة أشكال :

أولها : الشكل الذي وصف فيه الطبيعة وصفًا خارجيًا محايدًا ، ورسم . . . فيه لوحات جميلة . . . اشتملت على الصوت واللون والحركة . . . .

ثانيها : الشكل الذي جعل فيه من الطبيعة منبعًا من منابع الإلهام التي يستمد منها تعبيراته وصوره الفنية ومعانيه .

وقد ظهر ذلك في كثير من الصور البيانية التي استخدم فيها التشبيهات العادية والتمثيلية والضمنية ، والاستعارات المكنية والتصريحية ، والكنايات والمجازات اللغوية والعقلية ، والرموز الطبيعية التي يصعب تتبعها واستقصاؤها .

ثالثها : الشكل الذي مزج بين نفسه وبين الطبيعة ، وجعل فيه من ذاته وعواطفه وأحاسيسه جزءًا لا يتجزأ من الطبيعة ، ولا ينفصل عنها ، ومظهرًا من مظاهرها التي يتأثر بها ويؤثر فيها " (١) ، فالشاعر لا ينحصر موقفه من عالمه الطبيعي في إطار الوصف المباشر لمشهد أو منظر ، بل كان " يتجاوز ذلك إلى النظر في علاقة هذا المشهد أو [المنظر] بالإنسان " (٢) ؛ لذلك راح يخلع الهموم الذاتية على الكائنات من حوله ؛ علها تشاركه في همه ، وغاص في أسرار الطبيعة الكامنة ، يستجلي منها قدرة الخالق ؛ ليثير الشعور ، ويوقظ الروح ، وينبه إلى ما وراء الطبيعة من وجود معنوي يتفوق على الوصف الواقعي ، ويزيد

(١) علي دمر شاعر الحب والغربة والحنين ، ص (١٩٣ - ١٩٤) .

(٢) الإنسان والطبيعة في الشعر الجاهلي ، للدكتور : حسني عبد الجليل ، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز ، مصر ، ١٩٨٩/١م ، ص (٩) .

عليه ؛ لما فيه من سمو بالخيال ، وارتفاع بالفكر إلى ما وراء المحسوسات (١) .

والشاعر لم يتعامل مع الطبيعة ، كما تعامل معها معظم الشعراء في العصر الحديث ، بل تجاوز الرمز والإيحاء إلى أغوار أرحب وأشمل ، فبات جزءًا من أجزائها ، وذرة من ذراتها ، فإذا وصف السماء خيل للقارئ أن عليًا كوكب معلق فيها أو سحابة من سحبها ، وإذا ما وصف الروض والبستان حسبنا أنه تلك الوردة التي أحسن في وصفها أو ذلك الجدول الذي برع في وصفه . وهذا الوصف إنْ دلَّ على شيء دلَّ على حقيقة واحدة وهي مدى صلة الشاعر بالكون والكائنات التي حوله .

ومن القصائد التي وصف فيها بعض مظاهر الطبيعة قصيدة (عرس الطبيعة) ، وجمال الطبيعة في الربيع من الأشياء التي اقتحمت على الشاعر نفسه ، ودفعته إلى التعبير عمَّا أحدثه ذاك الاقتحام من رد فعل على مشاعره وأحاسيسه ، يقول (٢) :

زغردت روعة الجمال وهامت ... تمسح الدمع والأسى والشحوبا
واستفاق الربيع في الحلل الخضـ ... ـر يبث الحياة روحًا طروبا
بجست أعين السرور وكانت ... في ليالي الشتاء تغفو نضوبا
وتراخى الهواء سكرًا ونامت ... لفحة البرد لا تطيق هبوبا
فتعالي إلى الضفاف إذا الشمـ ... ـس اضمحلت وحاولت أن تغيبا
فاحمرار الأصيل ينشر في الرو ... ح حنينًا وصبوةً ولهيبا
وغمام الجواء صار محبًا ... شفه الوجد فاستجد نحيبا

الشاعر في الأبيات السابقة يلتقط بعدسته الشعرية صورًا وألوانًا لمظاهر الطبيعة مزخرفة بالخيال ، ومخرجة إخراجًا مصنعًا لا متصنعًا ، تلمس فيه روح القديم وفرو الجديد .

ويقضي الشاعر (أسبوعًا) مع بعض رفاقه من أعراب عشيرة البشاكم ، فيريش قلمه ، ويبريه ، ويجنح بخياله ويعليه ؛ ليرتقي درجة من درجات الفن العالي ، فيبدأ في رسم

(١) الشعر العربي في المهجر ، لمحمد عبد الغني حسن ، دار القلم بالكويت ، ١٣٩٦/٤هـ ، ص (٦١) .
(٢) ديوان علي دمر ، ص (٤٦٨) .

مظاهر الطبيعة الصحراوية ، يقول (١) :

وافى خيالك يا له من ساري ... والليل جللني غريب الدار
أفدي الذي زار في عرض الفلا ... إن الفلاة قليلة الزوار
يا يوم بتنا في بيوت الشعر من ... وادي النخيل بصفحة المنظار (٢)
يهفو نسيم الشيح فوق وجوهنا ... بأريج فواح الشذا معطار
والليل حاك على التلاع بروده ... والنار تسطع والسماء ذراري
يزهو بأيدينا السلاح كأننا ... في البر طائفةٌ من الثوار
وشدا الرباب على يدي ذي نخوةٍ ... غردٍ يداعب نغمة القيثار

يلحظ – فيما سبق – من أبيات أن الشاعر وقف موقف المصور الذي يتطلع إلى المشاهد ، ويعمل على نقل صورها نقلاً حسيًا بوسائل اللغة ، وأساليب البيان ، ويبعث فيها بعض ما للإنسان من مشاعر وأحاسيس .

وفي قصيدة (وحدتي) تستجيب له اللفظة الشعرية ، والتعبير الشعري ، وتصفو الأخيلة التصويرية ، فيستحث خياله لاقتناص الصور المتجلية أمامه من مظاهر الطبيعة ومجاليها ، يقول (٣) :

بسم الكون لأزهار الربيع ... والعصافير تغنت في الغصون
ومشى الجدول في الروض البديع ... بنشيدٍ هادئ الجرس حنون
وعلى الشط تغنت ضفدعٌ ... وغدا يلعو صفير الحشرات
وأنا وحدي كئيبًا أسمع ... تنتشي روحي بعذب النغمات
تنثر الأشجار فوقي زهرها ... إذا رأتني بانفرادي شاحبا

---

(١) ديوان علي دمر ، ص (٤٧١ – ٤٧٢) .

(٢) **المنظار** : اسم جبل في بادية عشيرة البشاكم في سوريا .

(٣) ديوان علي دمر ، ص (١٩٨ – ١٩٩) .

الخود : بضم الخاء جمع خود بفتحها ، وهي الشابة الناعمة الحسنة الخلق .

باب النهر : اسم متنزه على نهر العاصي غربي حماة .

والنـــــواعير بكـــــت في نهرهـــــا تمـــلأ الـــروض نواحًـــا صـــاخبا

يلاحظ في الأبيات السابقة أن الشاعر لم يتدخل فنيًا ، مع حرصه على تسجيل حالته في وحدته ، ويلاحظ – أيضًا – أن الشاعر لم يجهد نفسه في تصيد الصور ، فلم يظهر عليه التعب والتثاقل ، بل اقتطف المعنى اقتطافًا يسيرًا ، فراح يستمتع في الرسم والإخراج الجمالي ، ويمزج بين اللفظ والمعنى .

وفي قصيدة (رعشة) يصور الشاعر قلبه في صورة فرخ صغير " مهيض الجناح صرعته الرياح الحانقة التي داهمته من كل فج ، فانزوى بجناحه المكسور صريعًا فوق أحد الأغصان ، مستحقًا رثاء الغيوم والبرق والثلج والظلام الكثيف " (١) ، يقول (٢) :

أرأيـــتم فرخًـــا تلـــوى صـــريعًا فوق غـــصنٍ يزقـــو بجـــنحٍ كـــسير
هاجمتـــه الريـــاح مـــن كـــل فـــج حانقـــاتٍ مـــن الـــصبا والـــدبور
وغيـــوم الأجـــواء تبكـــي حـــزانى فتـــرى الليـــل في ســـكونٍ مطـــير
جـــثم الفـــرخ باكتئـــابٍ يقاســـي ألم الـــبرد في فـــؤادٍ صـــبور
ذهبـــت أمـــه لـــتلقط حبًـــا كـــي تغـــذي وحيـــدها في البكـــور
ثم هاجت ريـــحٌ فحطمـــت الغـــصـــن وزجت بـــالفرخ بـــين الجـــذور
وارتمى الفـــرخ فـــوق قبـــضة ثلـــجٍ يتلـــوى برعـــشة المـــستجير
إن ذا الفـــرخ في عـــذابٍ ممـــض هـــو قلـــبي في صـــدري المهجـــور

" وإذا مضينا نبحث عن القصائد التي يتمثل فيها الشكل الثاني من أشكال القـصائد التي تعامل فيها مع الطبيعة ، فإننا نجد أنه قد استقى صوره الفنية من الطبيعة في عدد كـبير من قصائده ؛ حيث شخص فيها مظاهر الطبيعة المختلفة وجسدها وبعث فيه الحياة " (٣) .

ولعلَّ في مقدمة هذه القصائد قصيدة (أحزان الصبا) التي يرسم الشاعر فيها صـورة

(١) علي دمر شاعر الحب والغربة والحنين ، ص (١٩٨) .
(٢) ديوان رعات ، ص (٢٦) .
(٣) علي دمر شاعر الحب والغربة والحنين ، ص (١٩٧) .

لشاعر معذب ساح مغتربًا في الأرض يحمل شحوب لونه وبؤسه محتسيًا مرارة كأس شقائه ؛ لأنه لم يجد عند مجيئه إلى الدنيا غير اليتم والعذاب والظلام ؛ مما حدا به أن يتمنى أن يعود لعالم الفناء ، ونجد فيها عددًا من الصور المستمدة من الطبيعة ، فهو ينقل ما يعايشه من عواطف وأحاسيس ؛ ليجعل الطبيعة مرآة له من خلال تعبيراته وألفاظه الحية عنها ، ولا يأتي بتشخيص ، لكنه يترجم عن ذاته وحالته النفسية ، فقد اتخذ من مظاهر الطبيعة مشاتل خصبة ، يزرع فيها بؤسه وشقاءه ، فالظلام في أول بيت من أبيات القصيدة ما هو إلا مخلوق ضئيل لا يحس الشاعر الذي يسير متمهلاً متأنيًا سابحًا في بحر من الذهول ، ويعيش في خضمٍّ من الأوهام والأحزان ، وهو يصفع الموج ، وليل الشاعر مضمخ بالضباب ، وقلبه يشوى في جحيم من اللهب ، ويتلظى بنيران الحب على الرغم من أن الهلال يرسل إليه بسمة الشعاع (١) :

في خضم الأوهام والحزن أمسى ... يصفع الموج غارقًا في عبابه
فيه نفسٌ طموحةٌ لو رأت في النـ ... ـجم فخرًا لخاطرت لاكتسابه
ناظرًا شمعة المنى باتقادٍ ... تحت ليلٍ مضمخٍ بضبابه
يتلظى إذا الهلال تبدى ... مرسلاً بسمة الشعاع إليه
يسهر الليل كله في نواحٍ ... وتضج النيران في جانبيه
سادرًا سائحًا لدى كل نهرٍ ... باكيًا جاثمًا على ضفتيه

فالشفق في الأصيل يكسو الكون بحلة من اللهب ، والليل يخبئ النجم في دجى طيلسانه ، والأنسام الحيارى تعانق روح الشاعر المحلقة في الآفاق هروبًا من تلظي أعماقه قاصدة السماء ؛ كي تحيا بين الأفلاك .

والشاعر نفسه هزار يتغنى في دوحة الفن ، فيسكر الروض من ألحانه ، والظلام يخيم على الكون ، ويلقي السكون في الوديان (٢) :

---

(١) ديوان علي دمر ، ص (٣٦٦ – ٣٦٨) .

(٢) المصدر السابق ، ص (٣٦٩) .

وانـــزوى مفـــردًا كئيبًـــا بليـــلٍ خبـــأ الـــنجم في دجـــى طيلـــسانه
حلقت روحـــه علـــى الأفـــق خوفًـــا مـــن لظـــى جوفـــه ومـــن أشـــجانه
واعتلـــت تقـــصد الـــسماء لتحيـــا بـــين أفلاكـــه وضـــمن أمانـــه
كهـــزارٍ في دوحـــةٍ يـــتغنى يسكر الـــروض مـــن صـــدى ألحانـــه
ثم لمـــا نـــام الظـــلام علـــى الكـــو ن وألقـــى الـــسكون في وديانـــه
أسنـــد الـــرأس في أمانٍ علـــى الكـــ ـــف وأغـــفى مستـــسلمًا في مكانـــه

والذي يزود شعره الوصفي بعناصر الحيوية والتأثير أن شعره ينبع من قلبه ؛ ولعلَّ أبرز ما يقرب هذا الشعر إلى النفوس نواحي ثلاث : استلهام الطبيعة ، واستنفاد المعنى وتطويقـه من كل جوانبه ، والأسلوب القصصي الرائع السرد ، يقول (١) :

إذا مـــا احتـــواني يم الـــشقاء وســـرت بخـــزي طريـــد البـــشر
وأنظـــر في هيـــئتي شـــاكيًا صـــروف الليـــالي وحكـــم القـــدر
وبينـــا أهـــيم بليـــل الهمـــوم ســـخين الـــدموع أثيـــث الـــشعر
بزغـــت بفكـــري علـــى غـــرةٍ كبـــدر الـــدياجي عـــروس الفكـــر
فـــصرت كقـــبرةٍ قـــد بـــدا عليهـــا شـــعاع الـــصباح الأغـــر
فهبـــت ترفـــرف مـــن غفـــوةٍ وطـــارت تغـــني لحـــون الـــسحر
وأمـــت بـــروح الـــسماء الوضـــاء إلى حيـــث تبغـــي بهـــا مـــستقر

وفي قصيدة (الغراب) يروعنا السحر التعبيري ؛ حيث تتعانق الألفاظ والمعاني تعـانق فن تذوب فيه الطبيعة سلاسة وسهولة وروعة وبيانًا ، وتتداخل فيه الأشكال الثلاثة التي عبر عن الطبيعة من خلالها ، يقول (٢) :

وقف الغراب علـــى الحديقـــة ناعبًـــا فتقـــززت مـــن صـــوته الأغـــصان
ورأى البلابل تنـــشر الـــنغم الـــذي طربـــت لـــه الأزهـــار والألحـــان

(١) ديوان علي دمر ، ص (١١٤ – ١١٥) .
(٢) المصدر السابق ، ص (١٤٢ – ١٤٣) .

هـــذا يطـــير وذا يـــسير وذا علـــى نغماتـــــه تبـــــدد الأشـــــجان
وقف الغراب فلـــم يجـــد لـــسماعه أذنًـــا فثـــار ضـــميره الخزيـــان
واغتاظ حتى لم يطـــق صـــبرًا علـــى فوضـــى يـــثير صـــنوفها الهـــذيان
فأتى بأســـرابٍ مـــن الغربـــان مـــن أعوانـــــه فتجمهـــــر الغربـــــان
هجموا على كل الطيـــور فأخرســـوا ألحاهـــــا وزعـــــيمهم فرحـــــان
والصمت ساد على الحديقـــة كلـــها فكـــأن كـــل طيوفهـــا أكفـــان

لقد لازمت هذا النص السلاسة والسهولة والوحـــدة والعذوبـــة التعبيريـــة والدقـــة الوصفية ، وقد أحاطت بالنص المتعة الفنية التي تملأ نفس القارئ . ولا شك أن في مثل هذا الوصف من الطرافة ما يمتع ؛ إذ إن عنصر الإبداع قد لازمه من أول بيـــت ، وارتمـــت في أحضانه اللباقة الوصفية ، والبراعة الفنية .

ولا أدري أكان في تناغم الصورة مع حالة نفسه ، تصوير لوجدانه ؛ إذ إن الصورة قد جاءت متدرجة متكاملة أشبه ما تكون باللوحة الفنية الكاملة .

وأما الشكل الثالث وهي القصائد التي مزج فيها بين نفسه وبين الطبيعة ، فإن قصيدة (لقاء) تقف في طليعتها ، ففي هذه القصيدة يدلف الشاعر إلى روح الطبيعة ؛ ليمتزج بها ويلتحم بها ويذوب فيها ويتفاعل مع عناصرها [1] :

كـــم قطفنـــا ونثرنـــا الزهـــر إبـــان الغـــروب
وابتـــسمنا وشـــعاع البـــدر في النـــهر يـــذوب
حـــدثيني يـــا نجـــوم الليـــل مـــن قبـــل المغيـــب
عـــن زمـــانٍ كـــان لي فيـــه مـــن الـــصفو نـــصيب
كـــم ســـهرنا يـــا بنـــة الأحـــلام في تلـــك الليـــالي
وعيـــون الـــنجم ترعانـــا وأضـــواء الهـــلال
هـــل نـــسيت العـــيش غـــضًا مورقًـــا تحـــت الظـــلال

(١) ديوان علي دمر ، ص (١٢٨ - ١٢٩) .

بـــين أزهـــار الأمـــاني البـــيض والمـــاء الـــزلال

فالشاعر والطبيعة أصبحا لوحة واحدة ممتزجة ، وهذا السحر التعبيري الذي تتعانق فيه الكلمات والمعاني ؛ لتوقفنا على الحالة التي كان عليها الشاعر ، فالشاعر يـستمد لوحاتـه الشعورية من مرائي الطبيعة وكائناتها ، فيحاول أن يحيل تجربته من التصوير التجريـدي إلى التجربة الكامنة في ذهنيته (١) .

والشاعر صديق الطبيعة منذ أن وجد ووجدت ، تتوق نفسه إلى عناصر الجمال ، وهو يحاول بالألفاظ الشعرية أن ينقل صورة لتجربته العاطفية وامتزاجه بالطبيعة من حوله ، ودمر في قصيدة (ليلة شاطئ) يناجي سكون البحر ، وسواد الأفق ، والبحر ورفيف الريح والليل وغيرها من مظاهر الطبيعة ؛ حيث يعتبرها " ذات حياة وروح يمكن مخاطبتها ومناجاتهـا ، ومبادلتها الأفكار والعواطف " (٢) ، فيبثها همه وحزنه ، ويسائلها عن أوهامه الخفية ، وعن كنه ذاته ، ويعبر للبحر عن خوفه من ثورة أمواجه واندفاعها نحوه ، ثم يوجه الخطاب لليل ، فيشكو إليه ضعفه ووحدته ، وما لقي على أيدي البشر من ويلات ومصائب (٣) :

يا ســكون البحــر آنــاء الــدجى ... هل سكون البحــر أوهــامي الخفيــه
يــا ســواد الأفــق لا أعلــم هــل ... أنــا معــنى فيــك أم معنــاك فيــه
أيهــا البحــر أراني خائفًــا ... منــك إذ مــا تــدفع المــوج إليــه
يا زفيــف الــريح في الغــاب وقــد ... يرهــب الحيتــان في القعــر دويــه
أنــا يــا ليــل كفــرخٍ هــائمٍ ... في مهــب الــريح لا يلقــى مطيــه
كســرت جنــاحــه فــي أفقــه ... حجــراتٌ مــن أيــادي البــشريه

إن الشاعر في هذه الأبيات يملأ مشاعر قرائه بالشعور بقوة الطبيعة وضعف الإنـسان من خلال ذلك التصوير الذي التقى وجدانه .

---

(١) انظر : بين الفلسفة والأدب ، لعلي أدهم ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٧٤/١م ، ص (١٩٥) .
(٢) الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث ، لأنيس المقدسي ، دار العلم للملايين ، ١٩٨٢/٧م ، ص (٣٥١) .
(٣) ديوان علي دمر ، ص (٣٦٣ - ٣٦٤) .

وفي قصيدة (بعد الرماد) تأتيه محبوبته بعد أن غاض مأمله ، وجف مشتله ، وعاد يبابًا موحش القر ، ولم تأته حينما كانت أزاهير صباحه ندية ، وبساتينه ربيعًا منوّرًا ، وحنينه يملأ الأفق نغمة مهدهدة الأصداء ، وحينما أتت لم تورق لمرآها تربته (١) :

أتيت فلم تورق لمرآك تربتي ... ومرآك أحنى من غمامٍ على فجر
أتيت ولكن فات وقت صباحنا ... وليلي هذا لون فجرٍ ولا بدر
ولم تأت حتى غدا الروض بلقعًا ... وجاء خريفي باعث الحزن في عمري
كأني والأرزاء ريحٌ وأغصنٌ ... كأني وهمي الماء في ظلمة البئر
وما زلت أسعى في جناحٍ محطمٍ ... يطير على عجزٍ ويهوى على كسر

الوصف – هنا – ملتحم بنسيج تجربته ، ومصور لنفسيته أدق تصوير . ولا أدري أكان لهذه التجربة رصيد من الواقع أو كان الخيال منشئها ؟ حيث إنني لم أجد لهذه التجربة رصيدًا في واقعه المعيش .

ولم يقتصر الوصف عند الشاعر على الطبيعة ، بل امتدَّ إلى أشياء أخرى كوصف المدن السورية والعربية وما يتصل بها ، فقد وصف مدنًا سورية وصفًا شاعريًا شفافًا (٢) :

خمد الهوى دهرًا فأذكى جمرةً ... في (حمص) أمثال الكواكب تسطع
أنى خطرت ففتنةٌ وعرائسٌ ... كالخلد فيها الحور أمست ترتع
يا (حمص) يا زهر الخمائل في الندى ... واهًا على تلك الرؤى لو ترجع
غادرتها فصهرت فيها أضلعي ... ويح الهوى كم فيه ذابت أضلع
وبلادنا مهد الجمال وقدسه ... في شعبها سر البطولة مودع

ولأبها عروس مصايف الجبال السعودية نصيب من ذلك الوصف ، يقول (٣) :

---

(١) ديوان علي دمر ، ص (١٥٦ – ١٥٧) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٤٦١ – ٤٦٢) .
(٣) المصدر السابق ، ص (٤٩٨) .

كأنهـــا تـــسكن في الغيـــوم ... كأنهـــا تعـــيش في النجـــوم
كـــأن (أبهـــا) عـــالمٌ غريـــبٌ ... فـــوق مـــدار الأرض والـــسديم
أرجاؤهـــا الخـــضراء في ظـــلالٍ ... يـــسري الـــشذا مـــع النـــسيم
لم تعـــرف الحـــر كـــأن شمـــسًا ... في أفقهـــا بـــاردة الأديم
في الـــصيف أمطـــارٌ لهـــا ســـيولٌ ... تغـــسل صـــفو الجـــو والتخـــوم
وفي الـــشتا صـــحوٌ بـــه غيـــومٌ ... مـــا فيـــه ريـــح البـــارد الأليـــم
كأنمـــا فـــصولها جميعًـــا ... فـــصل الربيـــع العـــاطر المقـــيم

وتطيل النظر إليه فتاة التقاها في زقاق من أزقة (حماة) ، فتثيره تلك النظرة ، فيعمـد إلى إدارة (زر) عدسته التصويرية ، فينقل تلك التجربة [1] :

يـــا نظـــرةً كالـــسحر لم ... تتـــرك فـــؤادي صـــاحيا
في لهوهـــا أو ســـخرها ... تهـــدي اليئـــوس أمانيـــا
المكـــر فيهـــا ظـــاهرٌ ... والـــشوق أمـــسى خافيـــا
حـــارت بهـــا الألغـــاز لم ... تـــدع الـــتمني باديـــا
وجـــهٌ إذا غـــاب فـــلا ... يخفـــى يلـــوح خاليـــا
فكأنـــه بمـــشاعري ... معـــنىً ســـيبقى ثاويـــا
يكفـــي بنظرتهـــا بـــأن ... ألقـــى الهنـــاء الكافيـــا

ويعجب بشعر محبوبته ، فينقل ذلك الإعجاب إلى القراء [2] :

آهٍ مـــن شـــعرها فكـــم في دجـــاه ... ظـــل قلـــبي في عاصـــفات هـــواه
يا لهـــذا الـــسواد كالحنـــدس الفـــا ... حـــم والليـــل مـــائجٌ في نـــداه
يـــا لهـــذا الـــسواد روحـــي تفـــنى ... في دياجيـــه لا يعيهـــا اكتنـــاه
ألقـــني في الـــسواد حـــتى تـــراني ... غمـــرتني في لجـــة الأمـــواه

(١) ديوان علي دمر ، ص (٤٨٨) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٤٩٣ - ٤٩٤) .

شعرها ليلي الرهيب لـدى الهجـ ـر تغـور النجـوم خـوف لقـاه
غبـت في جوفـه مهـيض الأمـاني فطـوالي كـسره إذ طـواه
خفـت فيـه كـل ذات هبـوب في سـباتٍ يمـوت رعبًـا سـناه
شـعرها يغمـر البرايـا بحـارًا تحـت ليـلٍ ضـبابه يخـشاه
شـعرها نفـسي المليئـة رعبًـا مـن مجاهيـل شـعرها وازدهـاه
شـعرها عمـري الـدفين بـرمسٍ مـن جهـالات بيـئتي جانبـاه

نلاحظ أن الشاعر قد لون صوره بالطبيعة ، وصبغها بتنوع وجدانـه ، ومـن يقـرأ القصيدة كاملة يدرك أن الشاعر اتخذ من شعر محبوبته مطية ؛ ليعبر بها منافـذ وجدانـه ، ويسلك بها مجاهيل مشاعره .

ويقف على آثار (أفاميا) ، فيشاهد قوى الطبيعة ؛ حينما تحيل المكـان إلى كارثـة مشاهدة عبر دولاب الزمن ؛ فيقول (١) :

يـا قـصورًا رؤوسـها بـارزاتٌ وهـي تحـت الركـام والأوحـال
حدثينا (أفميا) عـن عهـود الـ ـعـز والمجـد والهـوى والجمـال
قبـل أن يـدفن التـراب مغانيـ ـك وتمـسين عـبرة الأجيـال
قبل أن تـسقط الأعـالي المنيفـات وتهـوي فريـسة الزلـزال
شمخـت في القـديم فـوق البرايـا وتـسامت علـى رؤوس الجبـال
وتعالـت علـى فنـون المبـاني في صـمودٍ معانـدٍ للـزوال
فالعواميد سامقاتٌ علـى الـسحـ ـب تبـاهي عـرائس الآزال

إن الشاعر في هذا النص ينقل الحدث نقلاً أمينًا ؛ فلم يتدخل تدخلاً فنيًا مبدعًا ، ومع حرصه على تسجيل آثار هذا الزلزال إلا أنه يسجل آثار تأملاته :

يـا (أفميـا) إن المـصير مخيـفٌ والرزايـا تتـرى بـلا إمهـال

(١) ديوان علي دمر ، ص (٥١٢) .

وشعور الـــبلاد مـــات فـــلا حـــس سٌ كـــأن الجميـــع رهـــن خبـــال
أنا أبكـــي علـــى دمـــار (أفميـــا) لـــــشعوري بحالهـــا مثـــل حـــالي

ولا بد أن أنبه إلى أن هذه النزعة التاريخية هي من أبرز ميزات الـــشعر الوصـــفي في العصر الحديث (١) ؛ إذ ينطلق الشاعر من آثار السابقين إلى آفاق التاريخ البعيد ؛ فيـــستلهم العبرة والعظة ، ويتأسى بها . وممن عرف بأنه ينحو هذا المنحى البحتري في سينيته التي وقف فيها على إيوان كسرى ، وشوقي في سينيته التي وقف فيها على قصور الأندلس ؛ وهاتـــان القصيدتان قد طوفت شهرتهما ، فأغنتانا عن إيراد الشواهد منهما .

والشاعر عاشق للجمال في جميع مظاهره ، وبحسب مزاجه وأحواله النفـــسية تتلـــون أوصافه بمظاهر الجمال ، وقد لاحظنا تغير المشهد الواحد من قصيدة لأخرى ، بل رأينا تغير المشهد الواحد في القصيدة الواحدة من مقطوعة إلى أخرى ، ورأينا تسلل حالات الـــشاعر وتذبذبه بين الفرحة والكآبة والأمل واليأس في أوصافه ، ومما لا شك فيـــه أن الـــشاعر في أوصافه كان أسيرًا لحلة اللاوعي التي كانت تنتابه حينما ينشئ قصائده الوصفية ، فالصورة المجردة التي يسلط عليها الضوء لا تأسره ، وإنما نراه – دائمًا – ما ينقل الطبيعة إلى مرتبـــة إنسانية ، رفيعة ؛ فيكون منها عالمًا بشريًا ، باعتبارها " ذات حياة وروح يمكـــن مخاطبتـــها ومناجاتها ، ومبادلتها الأفكار والعواطف " (٢) .

والوصف عند دمر امتاز بسمات تصويرية بارعة ، ولعلي لا أكون مبالغًا إذا قلـــت : إن شعر الوصف يأتي في المرتبة الثانية بعد شعر الغزل عنده .

(١) انظر : الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث ، لأنيس المقدسي ، دار العلم للملايـــين ، ١٩٨٢/٧م ، ص (٣٦٠) .

(٢) المصدر السابق ، ص (٣٥١) .

المبحث الرابع

شعر الرثاء

لم يهتم دمر بهذا الغرض التقليدي ، و لم يعره أهمية تذكر ؛ إذ ليس له في مضماره إلا ثلاث قصائد : قصيدتان صاغهما في رثاء والدته ، قصيدة بعنوان : (أمـــي) ، وأخـــرى بعنوان : (أشباح) ، وقد جاءت متعددة القوافي ، والثالثة في رثاء شيخه الشيخ : محمـــود آل الشقفة (١) .

فما إن سمع بخبر وفاة أمه حتى أخذ الحزن يبركن آلامه الحارقـــة ، وكلمـــا اتجهـــت للخفوت أعاد ثورانها إحساسه بالوحدة واليتم ، ولا سيما أنه فقد والده وهو في مـــستقبل عامه الرابع من أرقام عمره ، والمتأمل للقصيدتين سيجد فيهما لوعـــة الفقـــد ، وحـــرارة العاطفة ، وجذوة الشعر ما بين اشتعال واهماد ، يقول (٢) :

ألا أيهـــا النـــاعي نعتـــك النـــوادب ... وولول يبكيـــك الثكـــالى النواحـــب

رشقت إلي اليـــوم ســـهمًا مـــسددًا ... فأدمى فؤادي وهو بـــالطعن ثاقـــب

يفتتح الشاعر القصيدة بأداة الاستفتاح ؛ لينبه أن الخبر هام وجلل ، ويوجه نداءه لناقل الخبر بالدعاء عليه ؛ لأنه نقل إليه هذا الخبر المؤلم ، ثم ينصرف إلى وقع الخبر عليه على طريقة القدماء من الشعراء ، فالخبر ما هو إلا سهم قد سدد إليه في يومه ، فأدمى قلبه ، وقد كان ذلك السهم ثاقبًا ، ونتيجة للانفعال العاطفي الذي لازمه في أثناء كتابته القـــصيدة أصـــابه الارتباك .

ويلتفت من مخاطبة الناعي إلى مخاطبة أمه ، فهو لا يزال مكذبًا الخبر لم تستقم لديـــه حقيقته ، يقول :

أفي الحق يا أمـــاه مـــا جـــيء لي بـــه ... بأنك تحت الترب والموت حاجـــب ؟

(١) محمود الشقفة تقدمت ترجمته ص (١٥) .

(٢) ديوان رعشات ، ص (٢١) .

بـــسمت لـــه لمـــا أتـــاني كـــأنني حسبت مزاحًا من صـــديقٍ يـــداعب
فلما علمت الصدق أجهشت باكيًـــا وحال شبابي صـــفرةٌ وهـــو شـــاحب

استفهام حارق لا ينتظر الشاعر الإجابة عنه ، ولكن هول الفاجعة دفعه لإطلاق هذا الاستفهام الذي التحم مع نداء الفقيد ، ليكونا موجة وشحنة عاطفية يسربها الشاعر عبر تيار من الريبة والشك ، يدفعه إلى ناحية تكذيب الخبر ، فما كان منه إلا أن تبسم اعتقـــادًا أن هذا النعي ما هو إلا دعابة بغيضة من صديق يمازحه ، ولكنه ما إن يتثبت حتى تغيب تلـــك الابتسامة ، ويحل مكانها حزنًا بدا واضحًا من خلال دمعه ، وتغير لونه ، وتحوله إلى الصفرة الشاحبة ، التي توضح الهيئة والحالة التي كان عليها الشاعر بعد تأكد الخبر ، ولو أن الـــشطر الأول من البيت الثاني جاء على هذا النسق :

نظـــــرت إلى النـــــاعي ذهـــــولاً كـــــأنني

لكان أشد وقعًا ، وأكثر شاعرية ، ولو جاء الشطر الثاني من البيت الثالث على النسق الآتي :

وضـــــاقت أمـــــامي في الحيـــــاة المـــــذاهب

لكان أكثر تأثيرًا ، وشاعرية .

ويقبل الرفاق للتعزية والمواساة ، ولكن مرارة الفجيعة ، وألم الفقد ، يطبقان على فكيه ويغيبان فكره ، فيعجز عن الرد ، يقول :

وجـــاء رفـــاقي للعـــزاء بجمعهـــم يقولون لا تحـــزن عـــدتك النـــوادب
فلـــم أســـتطع رد الجـــواب وإنمـــا تصدع رأسي والـــدموع ســـواكب

يستنكر رحيل أمه السريع ، وهو في سن صغيرة لم تحنكه التجـــارب ، ثم يعـــود إلى مخاطبة أمه فيطلب منها أن ترفق بحاله ، فهو وحيد لا يزال يتذكر أنها أنيسه الذي يعينه على مجابهة عبوس الزمن ، وشقاء الحياة ، يقول :

وكيف رحلت اليــوم لم أبلــغ المــنى وسني إلى العشرين كــادت تقــارب
حنانــك يــا أمــاه رفقًــا بوحــدتي فما لي في ذا الكون بعــدك صــاحب
وكنــت أنيــسًا لي إذا الهــم زارني وعبس دهري وجهه وهــو قاطــب

يشعر القارئ في الأبيات السابقة مرارة الفجيعة وألم الفقد ، فيلاحظ عــدم فقــدان الشاعر حرارة عاطفته تجاه أمه ، فهو يتعجب من هذا الرحيل السريع الخاطف .

وراح الشاعر يسترسل فيصف فقد أمه ، ومن قبلها فقد والده ، يقول :

حنانــك يــا أمــاه أنــت أنيــستي بدنياي مات الأنس والــدمع جالــب
فيا دمــع أنجــدني ولا تــك ناضــبًا وكيف أرجي الدمع والدمع ناضــب
كفى أنني إذ جئت للكــون لم أجــد به من أبٍ واليــتم للطفــل ناكــب
وما الموت إلا الكأس للنــاس متــرع وكل امرئٍ من ذلك الكأس شــارب

ينتقل الشاعر من تذكر أمه وحدها عليه في صغره إلى تصوير إحساسه باليتم المضاعف الذي لا يقلل من شدته سوى إدراكه بأن كأس الموت مترعة ، ولا بد أن يسقى منها جميع البشر ، ويجب أن أنبه أن الشاعر في هذه المرثية ، لم ينصرف إلى وقع الجبــال والــسحاب والأرض والسماء ؛ كما كان يفعل المقلدون ، بل انصرف إلى التعبير عن وقع الخبر العظيم عليه .

ونلمح في البيت الأخير حكمة يسوقها الشاعر ؛ ليخفف على نفسه وطأة الفجيعة .

ومع كل ذلك الحزن المحرق لا يغفل الشاعر عن الــصبر والعــزم علــى مواجهــة الخطب ، يقول :

وكل رزايــا الــدهر طــرًا عرفتــها وسيفي مــاضٍ في النــوازل ضــارب
لئن كانــت الأيــام تبغــي مــذلتي فــإني شــديدٌ علمــتني التجــارب
أنا الجبل المرفــوع في الكــون قــوةً وكل عوادي الــدهر وبــلٌ تنــاوب

يصور الشاعر نفسه في صراع مع الحياة ، ولعلي ألمح في هذه الأبيات ما لم يفصح عنه الشاعر المتمثل في العوز الذي كان فيه تلك الفترة والغربة المكانية ، فقد كان في مصر حينما بلغه ذلك الخبر ، ويصل به الحزن إلى الشرود عن عالم الحس ؛ ليختفي في عالمه الوجداني ، فيلتقي مع طيف أمه ، فيتحدث معها .

ويبدأ الشاعر في الأبيات التالية بالدعاء لوالدته وإظهار مناقبها التي تتمثل في إنجابها للشاعر ، ويكفيها فخرًا بهذه المفخرة التي ستجلو ظلام البشرية ، وهذا ادعاء لا يخلو من المبالغة والغلو ، يقول :

إلى الخلد يا أماه والخلد مسكنٌ ... لمثلك إذ فيك التقى والمواهب
وإن كنت لم تبقي مفاخر جمةً ... سواي فإن الفخر فيك لواجب
ولدت عليًا للمعالي منارةً ... فكان كما تجلو الظلام الكواكب
سأصعد في الدنيا إلى ذروة العلا ... وإني على متن السحاب لراكب
أنا الشعر والدنيا خيالٌ لشاعرٍ ... ستبلغ مني ما تشاء الرغائب

كان السياق الطبيعي في البيت الأول أن يقول : (المناقب) بدل (المواهب) ، وفي البيت الثالث كان الأولى أن يقول : (فكان) مكان (فكنت) ، ولكن العاطفة الحارقة أصابته بالارتباك .

ويذكرنا البيت الثاني بقول المتنبي [1] :

ولو لم تكوني بنت أكرم والدٍ ... لكان أباك الضخم كونك لي أما

ويلاحظ أن القصيدة يلفها الألم والحزن ، ومن أوضح معالمها الأسلوب الحزين الذي يضاهي القلب في خواطره الحزينة ، وهي متلونة بحالة الشاعر النفسية . وقد وقع في السردية والمباشرة في بعض مقاطع القصيدة ؛ ولذلك أسباب منها : أن القصيدة من أبكار قصائده ، ومن تلك الأسباب – أيضًا – أن الشاعر تعجلها فور وقوع المصيبة ، فلم يتريث في

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري ، عني به : مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي ، دار المعرفة ببيروت ، ١٣٩٧هـ ، ص (٢١١) .

كتابتها . ومن سلبياتها التفاوت الذي يكسر تسلسل الأفكار في سرد الحدث ، ولعل ذلك عائد إلى نفسية الشاعر ، التي غامت من حولها الدنيا .

أما القصيدة الثانية الموسومة بـ (أشباح) جاءت التجربة فيها أكثر نضجًا وفنًا ، واختفت فيها (الأنا) المتضخمة ، التي رأيناها في القصيدة السابقة ، وظهر فيها تصوير مأساة اليتم ، والحالة التي كان عليها الشاعر وهو يشاهد قبر أمه ، يقول [1] :

سار بين القبور والليل داجٍ والرياح الهوجاء تعصف حوله
يسحب الساق باتئادٍ ويهوي خارقًا رهبة الظلام وهوله
ثم لما اهتدى إلى رسم قبرٍ خر فوق الثرى يتمتم قوله

هذه الأبيات تصور ما كان عليه الشاعر حينما سار بين القبور في ظلمة الليل الحالك ، والرياح تشتد عصفًا ، يبحث عن العلامة التي يهتدي من خلالها إلى قبر أمه ، وما إن اهتدى حتى رمى بجثته على قبرها لا يعي ما يتكلم .

وقد أحسن في اختيار عدد من الألفاظ الدقيقة في معناها ، والكاشفة للحالة النفسية التي كان عليها ، فقد وضعها بمهارة في مكانها الصحيح ؛ مثل : (يسحب ، وخارق ، واهتدى ، وخرَّ ، ويتمتم) ، فهذه الألفاظ كانت وسيلة ناجحة في نقل الصورة التي كان عليها الشاعر في ذلك الوقت .

ثم ينتقل إلى تصوير حالته حينما أدرك أن التي تحت الثرى هي أمه ، فبدا يطلق الحسرات من قلب أضناه العذاب ، ثم التفت إليها ؛ ليخاطبها فقال : هل حقًا أنت تحت التراب ؟ ثم يسأل ربه عن حالتها وهي حبيسة في قبرها ، وهل بإمكانه رؤيتها ، ويسأل عن سبب غيابها ، كأنه لا يدرك أنها انتقلت من دنيا الفناء إلى حياة البرزخ ، يقول :

آهٍ أماه والحنان دفينٌ هاهنا يا رؤوم تحت التراب
كيف يا رب ترقد الآن أمي جف دمعي وغاض ماء شبابي

(١) ديوان رعشات ، ص (٢٩) .

هل أراهـــا وكيـــف غابـــت فـــإني بعـــــدها الآن في أمـــــر العـــــذاب

ويشرد من عالمه الحسي ؛ ليغيب في عالم آخر ، يتصور فيه أمه تـــسمعه ، فيجـــري حوارًا يرتفع فيه صوته ؛ لتتلقاه أذناه ؛ إذ لم يسمعه سواه :

لم أجـــد لي بـــين الأنـــام رحيمًـــا بعدما غبت في الثـــرى عـــن عيـــوني
آهٍ يـــــا أم والظـــــلام كثيـــــفٌ زاد فيـــــه تـــــألمي وشـــــجوني
أنجم الليـــل أشـــفقت مـــن زفـــيري أصغت الـــريح في الـــدجى لأنـــيني

يبدأ الشاعر في وصف حالته بعد موتها ، فالرحمة اختفت من حياة الشاعر بعد موتها ، فلم يلقَ بين الناس من يرحمه ويعطف عليه ، وهو يعتقد أنه بوجود أمه يستطيع أن يعبَّ من الرحمة متى شاء ؛ لهذا لما فارقته أحس بالظمأ ، وهذه الحالة تتناسب مع ما كان عليه مـــن ظروف شديدة القسوة .

وفي هذه الأبيات لا ينفك عن رومانسيته ، فالظلام كثيف ، ونجم الليل أشفق عليه ، والريح أصغت لأنينه ، وأرى أن هذه الصور كانت بمنزلة القرائن الدالة على الحالـــة الـــتي وصل إليها من تبرمه بالناس ، فلم يلقَ الشفقة إلا من تلك النجوم ، ولم يسمع أنينه إلا تلك الريح .

ويستمر في الحديث مع أمه التي لم تعد تسمعه ، وتصغي إلى توسلاته ، ولا تعلم شيئًا عن تنكر أقرب أقربائه وخيانتهم له :

كنـــت بـــالأمس ســـلوتي وعزائـــي ثم أمـــــسيت حـــــيرتي وشـــــقائي
تحت هـــذا الثـــرى تقـــيمين مـــا إن تـــسمعين الوجيـــب حـــين نـــدائي
خانني النـــاس بعـــد موتـــك حـــتى إخـــــوتي منـــــهم لقيـــــت بلائـــــي

من أكثر أبيات القصيدة إثارة للعاطفة البيت الأول من هذه الأبيات ، فهو بمنزلة عقد مقارنة بين ما كان عليه في حياتها ، وما عليه بعد وفاتها .

فلقد حاول الشاعر أن يرسم واقعه المعيش بعد موتها ، وكأني بـــه كـــان يـــشير إلى

الصراع الذي دار بينه وبين أقاربه من حديث عن ذلك البيت المكون من غرفة وفناء .

ولا أدري أكان بحاجة إلى رئة صناعية يتنفس بها ؛ حيث رأيته يستعين في هذه الأبيات بحروف اللين التي من خصائصها المد الصوتي ، وقد وفق كثيرًا في استخدام الموسيقا الداخلية التي عبرت كثيرًا عن معاناة الشاعر ، ثم يركب مطية الضياع سائرًا في طريق التشرد بعد ذلك الفقد :

ضعت يا أم في الحياة كأني ... لؤلؤٌ تحت هذه الأوحال
ما درى الكون من ذكائي ونبلي ... غير أني مشردٌ ساء حالي
لم أزل بعد في بداية عمري ... كيف أسرعت للفنا والزوال

هنا تكتمل دائرة الحزن من حول قلبه بعد حرمانه من نصيبه في الحياة من بروز وتواجد في الكون من خلال مؤهلاته ، وتظهر في الأبيات نفسية الشاعر المحزونة ، ويطل الأسى الخبيء من كوة فقده ، فيظلل شعره بسحابة حزن كئيبة ، نابضة بخلجات فؤاد مكلوم ، فالشاعر – كما أسلفت – عاش محرومًا من حنان الأب ، ورعايته ، فمعاناة اليتم أورثته حزنًا لم يخفف منه إلا حضن أمه الدافئ الذي لا يرتمي عليه ، وإنما على التراب الذي حواها .

وفي هذه الأبيات لا يتخلى عن الالتفات إلى الذات ، فالكون لا يدري عن ذكائه ونبله ؛ لذلك كان حظه ونصيبه التشرد وسوء الحال ، ويختم هذه الأبيات باستفهام ينبعث منه التعجب والاستنكار في آن واحد .

ويستيقظ في هذه الأبيات من جديد داعي الموت ؛ إذ يقول :

آهٍ أماه قد مللت حياتي ... فر يأسي وضاع مني رجائي
أتخطى بين الأنام نحيلاً ... أشتهي الموت هازئًا بالبقاء
ليتني لم أكن ولدت فخيرٌ ... من شقاء الحياة دنيا الفناء

حسرة تتلفع باستسلام حبيس في سجن اليأس ، ورجاء قابع في غرفة من غرف ذلك

السجن ، وشهوة جلبابها الهزء بالحياة ، تعضدها أمنية لم تتحقق ، ولن تتحقق إلا بإرادة الله إنها أمنية تقع تحت وطأة آلام مبرحة ، وعذابات حارقة ، أطلقها الشاعر من محبسها ؛ حينما غاب الإيمان بالله والتسليم لقضائه .

وقد أحسن في اختيار لفظة (أتخطى) التي انسجمت كثيرًا مع لفظة (نحيل) .

وتستمر رغبته في الموت ، فيلتفت إلى ما حوله من طبيعة ، فيطلب منها :

اعصفي يا ريـــاح في الليـــل عـــصفًا وابعثي في الـــدجى بنفـــسي خوفـــا
واهزجي يـــا قبـــور بـــالجن رقـــصًا وانسفي بـــردتي مـــع الـــريح نـــسفا
واغمريني يا ســـحب بـــالثلج يهمـــي علني عـــن عيـــون دهـــري أخفـــى

مجموعة من الصور تجتمع في مهرجان الموت ، تسيرها أفعال الأمر التي نفخ فيها من روحه ، فدب فيها الحس ، فعصف الرياح بدأنا نسمعه من خلال حرف (الصاد) الذي سلم الراية في تلك الليلة المظلمة الحزينة المخيفة إلى غناء القبور التي أطرب غناؤها الأشباح ، فتسابقوا في الرقص ، واكتملت صورة الموت ؛ حينما غمر الثلج الشاعر ، فأخفاه من عيون دهره ، وكل هذا لأجل راحته . إنها صور لا تبرز إلا في مخيلة الشاعر ، ولا تتجاوب معه إلا في أحلام يقظته ، ولا يتوقف التعبير عن عدم الرغبة في الحياة ، بل يستمر في جلب صور مختلفة :

آهٍ حمقـــى الأشـــباح بـــين القبـــور مـــــزقيني ثم احملـــــيني وســـــيري
نحـــــو دار الفنـــــاء علـــــي ألقـــــى روح أمـــــي فأغتـــــدي في حبـــــور
إيـــه حمقـــى الأشـــباح نحـــو خيـــالي اقربي واصـــخبي وضـــجي وثـــوري

يواجه الشاعر في هذه الأبيات حديثه إلى أشباح القبور ، طالبًا منها أن تمزقه قطعًا ، ثم تحمله إلى دار الفناء ؛ لعله يلتقي هناك روح أمه ، فيسعد بهذا اللقاء .

ثم يعود إلى يأسه وبغض الدنيا :

ثم أغفـــى علـــى يديـــه صـــريعًا راجفًـــا بلـــل التـــراب بدمعـــه

فتـــشت أختـــه عليـــه طـــويلاً وديـــوك الـــصباح رنـــت بـــسمعه
ثم جـــاءت نحـــو المقـــابر حـــيرى فرأتـــه بـــين القبـــور بوضـــعه

لقد أغفى الشاعر بعد هذه المعركة الدائر وطيسها بينه وبين الموت والنجوم والـريح والأشباح ، وما تنبه إلا حينما سمع صياح الديكة ، فلما عاد من حلمه إذ به يـرى أختـه صبرية ترثي لحاله .

لقد اجتمع لهذه المرثية مطلع لافت ، وعرض جيد زحف ببطء نحو الجدة والابتكار ، وسبك حاول أن يركب مطية التميز ، وخاتمة أضاءت خفايا النص .

وأما القصيدة الثالثة الموسومة (بفجيعة الإسلام) التي رثى فيها الشيخ / محمود بـن عبد الرحمن الشقفة [1] ، فقد نضح الشاعر فيها الدمع ، وأمطـر الفقيـد بـشآبيب الألم والحسرة والحزن ، وراح يعدد مآثره ، وما تركه وخلفه في المجتمع ، يقول [2] :

فوق البيان وفوق الـشعر والكتـب فجيعتي بـك يـا شـيخ الهـداة أبي

مطلع يعتذر فيه الشاعر للقارئ إذا ما أحس غياب الفن الشعري من القصيدة .

والشاعر يريد أن يقول : إن فجيعته أكبر من أن يعبر عنها بالألفاظ ، ثم انصرف إلى التعبير عما أصابه بعد سماعه للخبر :

أبكي بكـاء غريـبٍ غيـل والـده بكـاء طفـلٍ فقيـد الأم منتحـب
بكاء ثكلى علـى تمزيـق واحـدها بطعنةٍ غدرها أقـسى مـن النـوب

يبكي الشاعر على الشيخ بكاء غريب قتل والده غيلة ، وبكاء طفل فقد حنان أمـه بموتها ، فهو لا يزال ينتحب ، ويبكي على الشيخ بكاء ثكلى مزق واحدها بطعنة غدر .

وبعد أن ينتهي من إفراغ أحزانه ينتقل إلى مناجاة القتيل :

---

(١) الشيخ محمود بن عبد الرحمن الشقفة تقدمت ترجمته ص (١٥) .

(٢) مذكرات عن السنوات الأولى ، ص (٢٠) .

يا مشعل النـــور في ظلمـــاء داجيـــةٍ ... يا موئـــل الـــدين والعرفـــان والأدب
قضيت عمرك في دحـــر الظـــلام وفي ... نشر العلوم كمـــا يقـــضيه أي نـــبي
سبعون في خدمة الإسلام ما برحـــت ... حقول غرسك في خـــصبٍ وفي دأب
تنير في الـــنفس حـــب الله خالقهـــا ... وحب (طه) مزيل الشرك والريـــب
وتبعث العلـــم والأخـــلاق في زمـــنٍ ... ساد الظلام به بحـــرًا مـــن الـــشغب

بدأ الشاعر في عد صفاته التي كان يتصف بها ومن ذلك : أنه قضى عمره في دحـــر الظلام سبعين عامًا ، فما زال مجاهدًا في الله لتعليم دينه ونشر سنة نبيه – ﷺ – .

ويبدأ في تصوير اللحظة الأولى التي وصل النبأ الأليم إليه :

وجاء نعيـــك لي كالحربـــة انغرســـت ... في القلب تدمي الحشا بالحزن والغضب
يكـــــاد شـــــكي ينفيـــــه ويثبتـــــه ... دمع النعـــاة وأرجـــوه مـــن الكـــذب
وحينما لم أجـــد مـــن صـــدقه بـــدلاً ... غرقت في بحـــر هـــم لافـــح اللـــهب

لقد جاء النعي كالحربة غرست في صدر الشاعر ، فغادرت إلى القلب ، الذي كـــاد ينفي الخبر ، لكن الذي أثبته له دمع الناعين .

ويحاول الشاعر تعليل عدم تصديقه للخبر ، يقول :

صعبٌ على النفس تصديقٌ بمـــصرعه ... أيقتل النـــاس هـــاديهم بـــلا ســـبب
ما زاحـــم النـــاس في دنيـــاهم أبـــدًا ... مطلوبه الله والأخرى مـــنى الطلـــب
فكيـــف فكـــر إنـــسانٌ بفعلتـــه ... ماذا يريـــد ومـــاذا دافـــع الرغـــب

ويصف الشعر تغير نظرته إلى الحياة بعده :

يئست من عيشتي من بعـــد مـــصرعه ... إن كان هذا جزاء الواهـــب الحـــدب

ثم يبدأ في ذكر فضائله ، وما كان يتحلى به من سمات :

تشكو (التكية) للمـــولى فجيعتـــها تشكو بها روضة الطـــلاب والكتـــب
كانـــت يبابًـــا فأنـــشا في خرائبـــها بستان علمٍ كروض الأزهر العجـــب

ثم يربط بين اعتداء الكفرة على الشهيد وبين الكفار الذين ناصبوا الرســـول - ﷺ - العداء في أحد ، وبينه وبين قتلة عثمان - رضي الله عنه - ، ومأساة كربلاء حينما قتل الحـــسين - رضي الله عنه - :

ماذا نقـــول ولـــؤم النـــاس تعرفـــه قد حاربوا المصطفى أصلوه بالنـــصب
أدمـــــوه في أحـــــدٍ أردوا ثنيتـــــه ومزقـــوا عمـــه بـــالرمح والقـــضب
دماء عثمان فوق المـــصحف انتشـــرت مثل الجمان جرى طهرًا على الـــذهب
وعترة المصطفى في كـــربلاء جـــرت دماؤها كـــنميرٍ ســـال مـــن قـــرب

ويختم الشاعر رسالته الشعرية بأن الله اختار الشيخ من هذه الدنيا الملطخـــة بالعـــار والظلم ، فجعله شهيدًا :

اختـــارك الله مـــن دنيـــا ملطخـــةٍ بالعار ممـــسوخةٍ بـــالظلم والعطـــب
شهادة الرسل والأصحاب نلت بهـــا عنـــد الإلـــه مقامًـــا عـــالي الرتـــب

يلاحظ أن هذه القصيدة قد لفها الأسى والحزن ، وقد عبرت ألفاظها عن الفجيعة .

❖ ❖ ❖ ❖

الفصل الثاني

الشعر الاجتماعي

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : شعر الأسرة .

المبحث الثاني : شعر الإخوانيات .

المبحث الأول

شعر الأسرة

كان ندرة قصائد شعر الأسرة في الشعر العربي القديم ، وضيق اتجاهه من العيوب التي وصم بها هذا الشعر .

ولكن الشعراء العرب – وبخاصة شعراء المهجر – بعد عصر النهضة قد أقبلوا على محيط الأسرة يستوحون منه أعذب القصائد التي رصدوا فيها عواطفهم تجاه أسرهم . ولم يلبث الشعراء في الوطن العربي أنْ حاكوا إخوانهم شعراء المهجر في العناية بهذا الغرض .

وقد حظيت الأمهات بالنصيب الأكبر من حب الشعراء ، تلاهن الأبناء ، والزوجات ، والحفدة . وكان الآباء والأجداد والجدات حاضرين إلى حد ما في قصائد الاتجاه الأسري ، فصاغوا القصائد التي بثوا فيها حبهم لأسرهم ، وصوروا برَّهم وعطفهم وحدبهم عليهم ، وتعلقهم بهم ، وحرصهم على ما ينفعهم ، وخوفهم عليهم مما يحيط بهم من مكاره ، وما يحيق بهم من مخاطر ، ونقلوا لهم أشواقهم وحنينهم عندما تطوح بهم النوى خارج الوطن الذي درجوا فيه ، وقضوا فيه أجمل سنوات العمر .

ويعد دمر من أبرز الشعراء من حيث الاهتمام بشعر الأسرة ، فقد خصه بديوان أسماه (عالم الأسرة) ، وضمنه قصائد صور فيها تعلقه بأسرته ، وحبه لها ، وشغفه بأمه وزوجته وأبنائه وحفدته ، وحرصه على ما ينفعهم ، وإشفاقه مما يتهددهم . وصور – كذلك – أشواقه وهو في غربته بعيدًا عنهم بجسده .

- شعره في والده :

لوالده قصيدة واحدة من شعره ؛ فقد رحل والده عن الدنيا ولما يبلغ الرابعة من عمره ، يقول (١) :

(١) ديوان عالم الأسرة (مخطوط) ، ل (٤) .

أبي غـــادرتني مـــذ كنـــت طفـــلاً ولم أبلـــغ ثلاثًـــا مـــن ســـنيني
ومـــا خلفـــت لي شـــيئًا ولكـــن تركـــت اليـــتم لي وبـــلا معـــين
فقـــيرًا حافيًـــا والثـــوب بـــالٍ بـــذل بـــين أتـــرابي مهـــين
وكنـــت تحـــبني طفـــلاً جمـــيلاً ولكـــن كنـــت في فقـــرٍ قـــرين

إن الشاعر واجه محنة فقد الأب وهو على عتبات السنة الرابعة من عمـره ، فلـبس جلباب اليتم ، واغتسل بماء الحزن ، وركب مطية الشتات في تلك السنة المبكرة جدًا .

وكأن الشاعر أراد أن يوجه عتابًا لوالده الذي قضى ، وخلفه في وادي الفقر عرضـة لسباع الجوع .

ويبدأ يعدد ما اتصف به والده ، وهذا من قبيل المديح :

لأنـــك كنـــت مـــضيافًا ســـخيًا تـــساعد بالـــشمال وبـــاليمين
يحـــدثني رفاقـــك كنـــت شـــهمًا شـــجاع القلـــب في ورعٍ وديـــن
مهيبًـــا ذا احتـــرامٍ واجتـــذابٍ كـــريم الطبـــع في غلـــظٍ ولـــين
ولا تخـــشى لـــدى حـــق لئيمًـــا وعـــشت بطهـــر محبـــوبٍ أمـــين
ويـــودع عنـــدك النـــاس ائتمانًـــا ودائعهـــم لـــدى حـــرزٍ مـــصون

فالأب كان مضيافًا يعين المحتاج ، وهاتان الصفتان سببتا فقره ، ومن صـفاته كمـا يذكرها الشاعر أنه كان شجاعًا ، شهمًا ، صاحب ورع وتقوى ، ذا هيبة وكرم ، وسـطًا في أمرهما بين الغلظة واللين ، أمينًا يودع الناس لديه ودائعهم .

يحشد الشاعر في الأبيات السابقة مجموعة من الصفات والسجايا الحسنة التي اتصف بها أبوه ؛ لاستحضار صورته ، ولهذا الحشد بواعثه الخاصة في نفس الشاعر ، فهو الذي أحب أباه منذ اتضاح مداركه ، حينما كان يتحدث رفقاء أبيه عن مواقف الرجولة والشهامة ، بل ظل يتذكر كلمات خاله التي رددها مرارًا على سمعه : " كان أبوك شجاعًا في الحق ، يـأمر بـالمعروف وينـهى عـن المنكـر بلـسانه ويـده وعـصاه أحيانًـا وكـان مهيبًـا

محترمًا " (١) ، إذْ كان فقده فاعلاً من فواعل استمرار جذوة حبه له ، وتعلقه به ، ويحشد كذلك مجموعة من المقابلات ؛ لتخدم النص ، فيقابل بين الشمال واليمين ، ثم بين الغلظة واللين ، وبين الكرم واللؤم .

ويعود القلق إليه ، فيبدأ يرسم من خلال ريشة الشعر صورًا منوعة لحالته بعد موت أبيه ، وتبدأ رحلة اليتم والجوع والعري والحفاء والذل ، ذل الأيتام الفقراء ؛ حيث لم يرث من أبيه شيئًا على الإطلاق سوى ديون عليه طالبه بها أصحابها عندما أصبح شابًا .

ومما يلحظ تشعب مسالك محنة فقده لأبيه ، فبموته فَقَدَ حنانه الذي لم يشعر به ، وفقد دعمه :

ولو شاهدت بعدك ما عراني ... من الدنيا من الدهر الخؤون
لذبت من البكاء على صغيرٍ ... يتيمٍ بين متربةٍ وطين
وفي الأعياد بالأسمال يمشي ... بلا نعلٍ وفي صمتٍ حزين
غريبًا بين أوطانٍ وناسٍ ... قلوبهم كما الصخر المتين
ويضحك حولي الأطفال سخرًا ... فيطرق في لظى خجلي جبيني
وأرجع نحو أمي باكتئابٍ ... أقول لها بصدرك خبئيني

إنها صور مؤلمة لقلب طفل صغير عاشها في طفولته ، اختزنتها ذاكرته واسترجعتها بمرارتها وآلامها بعد نصف قرن من الزمن ، ولقد تجلت في هذه الأبيات مشاهد البؤس وقتامتها ، وتلفعت بالحزن والألم ، وتزاحمت بألفاظ الأسى ، وبتعدد النعوت ، وكأننا أمام شريط سينمائي مليء بالمشاهد والصور لأحوال الشاعر في طفولته بعد أنْ خلفه أبوه فقيرًا معدمًا .

وأسهمت الموسيقا الخارجية في إبراز تلك الصور والمشاهد ، فقد تتابع الحزن في علو وانخفاض تفعيلات بحر الوافر ، ولا شك أن القافية المكسورة قد شاركت في تقريب تلك المشاهد من خلال صوت تلك المشاهد المؤثرة .

---

(١) صفحات من حياتي (مخطوط) ، ل (١٠) .

- شعره في والدته :

كان لأمه أثر كبير في حياته ، وبدأ ذلك الأثر حينما بدأ يعي معنى الحياة في طفولته ، فقد زرعت فيه نزعة الحنان ؛ حينما احتوته بحبها وحنانها ، فكثيرًا ما شكا إليها من أطفال الحي الميسورين ، فتضمه إلى صدرها ، وتنتحب من الألم (١) :

وأبكـــي وهـــي تبكـــي ثم أغفـــو بحـــــضن الأم في دفءٍ حنـــــون

ولم تكن أوفر حظًا من أبيه ، فلم يخصها إلا بقصيدتي رثاء - كما مـــرَّ في الفـــصل الأول- . وجاء ذكرها في قصيدة ليلة شاطئ ، فوجه لها شكواه .

ولكن ما استوقفني في تلك العلاقة هي تلك التأثيرات القوية والمتعددة لأمه في حياتـــه بعد وفاتها .

فقد ظهر ذلك واضحًا وجليًا في كثير من شعره الغزلي ؛ حيث إن عقدة الأم لازمتـــه طويلاً ، وكانت من أسباب إخفاقاته العاطفية والزوجية ؛ إذ كان ينظر إلى المرأة من خلال صورة أمه ؛ لهذا راح يفتش عن هذا الأنموذج الذي غاب ولم يجده .

ولا شك أن هذه النظرة مستحيلة ، فليس لها رصيد من الواقع ، وإن حصلت ، فـــلا يعمم ، وقد وجدت إفرازات هذه النظرة السلبية منعكسة في شعره . ومـــن ذلـــك قولـــه لحبيبته (٢) :

لـــست أنـــسى احتفـــاء أم بطفـــلٍ حيـــث لقمـــتني بثغـــري غـــذائي

وهو يريد من المرأة أن تتقمص شخصية أمه حينما تتعامل معه ، فأمه هي الرمز الذي ينشده في كل امرأة يتعامل معها ، مهما كانت تلك العلاقة ، يقول (٣) :

---

(١) ديوان عالم الأسرة (مخطوط) ، ل (٤) .

(٢) ديوان إشراق الغروب ، ص (٦٨) .

(٣) المصدر السابق ، ص (٦٩) .

أنت نبع الحنـــان مـــن بعـــد أمـــي بعـــد أمـــي لم ألـــق غـــير الجفـــاء

وتظهر عقدة الأمومة عنده عندما يتحدث عن حبه ولواعج غرامه ، يقول (١) :

أنـــت أمـــي في عطفهـــا وهواهـــا لست أخشى علـــى يـــديك أضـــام

والأمومة غريزة مخالفة لغريزة الحبيبة مهما كانت المحبة بين الطرفين ، لكـــن الـــشاعر طغت عليه تلك الغريزة ، وأصبح لا يرى المرأة إلا من خلال هذه الغريزة التي حجبت عنـــه كل العلاقات بين الرجل والمرأة أيًا كان نوعها ؛ لذلك لم يجد فؤادًا فيه شيء من الحنان بعد وفاتها على حد زعمه ، يقول (٢) :

ومـــا صـــادفت بعـــد وفـــاة أمـــي فـــؤادًا فيـــه شـــيءٌ مـــن حنـــان

يقول الشاعر عن هذه العقدة : " لقد خلفت في نفسي ما يشبه عقدة الأم ؛ حيـــث تظهر في كثير من شعري ، فحينما أرى الحنان من أي امرأة أذكر حنان أمي " (٣) .

وتوقدت الشكوى لديه وهو بعيد عنها في بيروت ، يقول (٤) :

أنـــا يـــا أمـــاه أجنـــاحي هـــوت حطمتها مـــن يـــد النـــاس الأذيـــه
جـــاثمٌ في موضـــعي في غلـــسٍ خـــائر العـــزم وقلـــبي في يديـــه
جانـــب البحـــر أنـــاجي ربـــه قـــائلاً يـــا رب لم أجـــن خطيـــه
أيـــن أمـــي كيـــف ألقاهـــا مـــتى أنـــا مـــن أمـــي لم أسمـــع وصـــيه ؟
أفـــراق الـــدهر يـــا أمـــاه أم سوف ألقـــى الحـــي والأم عـــشيه ؟

لقد سكب الشاعر نفسه في هذه الأبيات في بركان ثائر من اللوعة والكآبة والشكوى والخوف من الغد القادم ، الذي يأتي بلا أم ، مجموعة من الأحاسيس حاول الشاعر أن يبوح

(١) ديوان علي دمر ، ص (٣٠٦) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٢٩٨) .
(٣) ملامح عمري (مخطوط) ، ل (١٤) .
(٤) ديوان علي دمر ، ص (٣٦٥) .

بها في هذا النص . ويوضح ما أصابه من خور أمام شر الناس الذي لا يلين ولا يتئد في حرارة مستمرة لا تبرد . وهو يتجاهل موتها من فرط تولهه بها ، فيبدأ في البحث عنها ، وكأنه لا يريد أن يصدق يقين فراقها .

وتبرز في النص أدوات الاستفهام الحقيقي التي كان الشاعر يطلقها منتظرًا للإجابة ، فلما لم يسمع الإجابة أخرجها عن دلالتها المعتادة ، وراح يستنكر فقد أمه .

- شعره في زوجته :

لم يكن لزوجته سوى أربع قصائد ؛ ولعل ذلك يعود لقربها منه ، وتعوده على الحياة معها ، واختفاء المثيرات للتجربة الشعرية في الغزل ، فهو يراها بشكل دائم ومستمر ، فتخبو المثيرات في نفسه ؛ لهذا لا نجد للزوجة مساحة في دواوين الشعراء في العصر الحديث إلا في شعر الرثاء ، أو الخلاف الزوجي ، أو البعد عنها بالسفر .

ودمر اتخذت علاقته بزوجته مسارين اثنين : مسار الرضا ، ومسار السخط والغضب والخلاف . ولقد التقطت عدسته الشعرية كل مرحلة من المرحلتين ، فمن قصائده التي أرسلها لها من مكان غربته في القاهرة قصيدة (زوجتي) ، وهي تمثل علاقته في المرحلة المبكرة من الزواج ؛ يقول (١) :

بمخمد لوعاتي إليك وصبوتي ... ودمعي مشبوب الأسى يتحدر
سلامٌ على تلك الليالي التي مضت ... بقربك يجلوها بهاك المنور
أناديك يا روحي وأنت مجيبةٌ ... بمثل ندائي والهوى يتسعر
ونمزج روحينا ائتناسًا وفرحةً ... ونشهق من برد السرور ونزفر

الشاعر – هنا – يصور حالته النفسية في غربته ، شاكيًا طول المسافة التي تفصل بينه وبينها ، وهو يترحم على تلك الليالي الجميلة التي قضاها مع زوجته في انسجام روحي وإحساس صادق بالسعادة والحب .

---

(١) ديوان عالم الأسرة (مخطوط) ، ل (١٠) .

ويختم القصيدة بتسويغ سفره وغربته ؛ كي يئد كل بادرة سوء تنسل إلى ذهن زوجته ؛ يقول :

وما سفري إلا لنيل هنائكم ... بمستقبلٍ أشهى لديكم وأنضر
فإن كتب الله اللقا فهو حلمنا ... وإن لم تروني راجعًا فتصبروا

وألمح في البيت الأول خوفه من أن يكون مصير أسرته كمصيره في سن الطفولة ؛ لهذا استعار من معجمه اللفظي ألفاظًا تنسجم مع هذا الشعور فلفظة (هنائكم) ، وما تلاها من جملة متعلقة بها كانت عنوانًا لهذه الشحنة العاطفية ، ولا أدري أكان الجوع دفعه ليصف المستقبل بالأشهى أم كان على طريقة الشعراء في تراسل الحواس ؟ .

وفي قصيدة (مصباح بيتي) ، يصور خوفه الذي ظل يلاحقه ويلازمه طيلة حياته ، فالشاعر يرسل إلى زوجته تلك القصيدة وهو في الغربة يجري خلف الرزق الذي فرَّ منه في وطنه ، يقول (١) :

أمصباح بيتي بعدك البيت مظلمٌ ... وزوجك محروق الفؤاد متيم
تركتك لم أختر فراقك إنما ... صروف الليالي والقضاء المحتم
وأمسيت وحدي بعدما كنت راحتي ... وأنت نعيمي والحنان المجسم
أبيت فريدًا في ليالٍ كئيبةٍ ... وبيتي كقبرٍ بالمساءات مفعم
تمر به أطياف ماضيك والهنا ... خيالات صفوٍ حول رأسي تحوم

لا شك أن هذا المطلع المكتنز بالشوق والحنين يقودنا إلى سمو ونبل هذه العلاقة الحميمة بينهما ، وتظهر هذه الأبيات وما تلاها إلحاح الشاعر على المعنى المنكشف وهو البعد ، ولكنه حينما راش قلمه وبراه ، وجنح بخياله وأعلاه ، ارتقينا معه في فهم ذلك المعنى الخفي ، إنها الصورة التي حرص على إخفائها ، فوضعها في إطار يطمس قدرًا كبيرًا من معالمها ، إنها حالة التمزق والتجزؤ الذي عاشه ، فقد تبعثرت روحه بين الشوق وبين مكبوتات النفس ، وبين الحنين وبين الواقع المرير الذي صدمه ، فقد كتب هذه الأبيات وهو

(١) ديوان عالم الأسرة (مخطوط) ، ل (١١) .

في غربة مكانية ، يصارع لقمة العيش التي لا تزال تصرعه ؛ حيث فشل في الموازنة بين ما يرسله لأولاده وبين ما يدخره لاستئجار منزل .

وفي المقطع الأخير من هذه القصيدة يستيقظ فيه هاجس طفولته ، فيحاول أن يمزقه ويبدده ؛ مخافة أن يلبسه أولاده في طفولتهم :

أخاف عليهم من خيال طفولتي ... أخاف عليهم أن يذلوا ويرتموا
صروف الليالي بعدما مات والدي ... رمتني بأحداثٍ تهين وتسقم
أخاف على أبنائي الزغب عيشةً ... كعيشة يتمي صاغرًا أتلعثم

ولا يتبدل الشوق والحنين ، بل يزداد اشتعالاً كلما باعد النوى بينه وبين زوجته ، وتظل اللهفة ويبقى الحب ، وتبقى الجذوة المتأججة المضيئة ، ولا تنطفئ عندما يكون الوصال بعيدًا ؛ يقول (١) :

يا رب أرجعها إلى فؤادي ... قد التظى من بعدها وسادي
خلقتها من أضلعي أأحيا ... من غير أضلعي ولا رقادي
أنا بها متممٌ فشخصي ... بدونها ينقص باطراد
في النوم واليقظة في عروقي ... كأنها الدماء في فؤادي

وفي اعتقادي أن هذه المشاعر الملفعة بالحب والحنين لم تكن تصدر من عاطفة صادقة ؛ فلم تستطع الزوجة أن تفوز بمساحة ولو صغيرة من قلبه ؛ ولعل ما دعاه إلى أن يقذفها بتلك المشاعر أنها أم لأولاده ، ففي القصيدة الأولى انتقل من بث تلك المشاعر إلى الشوق والسؤال عن ابنه أنس ، وفي قصيدة (مصباح بيتي) كانت تلك المشاعر بمثابة الستار لإخفاقه في جمع شمل الأسرة ، ومما دفعني إلى هذا الاعتقاد ما قرأته في أوراق بخط يد الشاعر عثرت عليها فيما خلفه من كتاباته ، يتحدث عن التحول في علاقته ، وبقي أن أشير إلى أن الشاعر بعد مضي خمس سنوات من عمر زواجه تزوج على زوجته في وقت كان بأمس الحاجة إلى التقتير على نفسه ، وما مضى إلا ستة أشهر فطلق الزوجة الثانية ، فلم يجد فيها

(١) ديوان عالم الأسرة (مخطوط) ، ل (١٣) .

ما رسمه لحبيبته ، وقد عثرت على قصيدة تؤكد ما ذهبت إليه أسماها (زواج الروح) ، وفي موضع آخر (غربة الروح) ، يقول (١) :

أرضـــى زواجـــي رغائـــب الجـــسد ... فكـــــل شـــــيءٍ منـــــها بيـــــدي
لكن روحـــي عزبـــاء مـــا برحـــت ... بـــــلا حبيـــــبٍ حيـــــاة منفـــــرد
صـــــحراء نفـــــسي بالتيـــــه غارقـــــةٌ ... ومـــــا لهـــــذا الـــــضياع مـــــن رشـــــد
لذائـــذ الجـــسم قـــد نعمـــت بهـــا ... أمـــــا الفـــــؤاد فهـــــو صـــــدي

ولعل هذه الأبيات هي التي تنقلنا إلى المسار التحولي في تلك العلاقة ، أو هي ما كان يعتلج في النفس من هذه العلاقة ، يقول (٢) :

سفحت عمري شـــبابي كلـــه هـــدرًا ... لديك ضحيت كل المـــال والنـــشب
سافرت شـــرقًا وغربًـــا لم أدع بلـــدًا ... إلا سعيت بهـــا في كـــل مـــضطرب
حاولت رفعك لي ما اسطعت قد غلبت ... طباع سوءٍ وطبع الـــشر ذو غلـــب
يا بنت حـــواء يـــا نكـــارة ســـفهًا ... جهد العشير يجـــازى شـــر منقلـــب
يا قصة الغدر يـــا قـــبر الوفـــاء ويـــا ... موت الضمير وبئر اللـــؤم والكـــذب
يا بنت حواء من فجر الزمـــان ومـــا ... تغير الطبع محفـــورٌ علـــى العـــصب
في البحر تلقي جهود الزوج ضـــائعةً ... في آخر العمر لا يلقى سوى العطـــب
غدارة الحب والإخلاص كـــل فـــتى ... يؤمل الخير في الذئب الخـــؤون غـــبي

هذه الأبيات تسلك بنا الطريق إلى المرحلة الثانية التي كان أبـــرز معالمهـــا الخـــلاف الزوجي ، وما هي إلا صدى لفشله في تجاربه العاطفية ، فكل بنات حواء ينكرن العـــشير ، وهن غدارات لا يخلصن للحب والمحب . إن هذه الأبيات تمثل تجربة شعرية نسيجها الحيـــاة والفن ، ولحمتها الوعي ، ونبضها الإيقاع الداخلي الذي عبر من خلاله عما لقيه من نكران وجحود .

---

(١) من القصائد المخطوطة في غير الدواوين ، وفي مكتبتي نسخة منها .

(٢) ديوان عالم الأسرة (مخطوط) ، ل (٣٢) .

وقد عالج بعض مشاكله الزوجية بسخرية مرة ولاذعة ، نابعة من معاناته بطلبات الزوجة التي لا تنتهي ؛ يقول (١) :

إن كان يهدف صوفي لرحمنٍ ... فزوجتي (ربها) تفصيل فستان
وألف آلاف فستانٍ وما رويت ... كأن فستانها ماءٌ لظمآن
لو حولوا نحوها الأسواق ما شبعت ... كما تقدم أحطابٌ لنيران

وفي قصيدة أخرى ينقض غزل ما ادعاه من أن رغبات الجسد قد تحققت في زواجه ؛ يقول (٢) :

لم يبق من طبع أنثى فيك باقيةٌ ... غاب الحنان وغابت رقة الزهر
أصبحت وحشًا جسورًا لا حما خطرًا ... يفري الفريسة بالأنياب والظفر
صوتٌ جهورٌ عيونٌ حشوها غضبٌ ... وسحنةٌ زينت بالحقد والنزر
تنهي وتأمر تبغي زوجها فرسًا ... لتمتطيه إلى الأهواء والبطر
ولست تسمع منها غير نابيةٍ ... في كل قولٍ سخيفٍ جارحٍ هذر
ترهلت وغدت كالطبل فارعةً ... تؤذي المسامع كالإنذار للخطر
من بعد ما كانت الغصن الرطيب لدى ... خميل حقلٍ نضير الورد مزدهر
صارت بمشيتها مشي الرجال إلى ... حربٍ كدبابةٍ في سفح منحدر
تمسي وتصبح في شتمٍ ومنقصةٍ ... فكل شيءٍ لديها جد محتقر
وزوجها خصمها تدميره أملٌ ... جميع ماضيه يحوي أبشع الذكر

أحقًا أن الزهرة التي تؤرج بعبيرها بيت الشاعر قد غدت حنظلة تعكر صفو حياته ، وتنغص عليه عيشه أو هي نفس الشاعر القلقة والاضطراب الذي حل ضيفًا ثقيلاً عليه ؟ . ولم أجد له فيما وقع بين يدي من قصائد قصيدة أخرى تنضح بهذا الهجاء المقذع . وكعادته دائمًا عندما تتكسر مجاديفه ويركد بحر حياته يهرب إلى أمنية الموت ؛ يقول :

---

(١) من القصائد المخطوطة في غير الدواوين .

(٢) من القصائد المخطوطة في غير الدواوين .

يا وحشتي من بنائي حين يهدمني ... يا خيبتي يا ضياعي يا لظى ضجري
قد أصبح القبر أحلى منيةٍ قربت ... فيه ملاذي من الأعباء والغير

- شعره في أولاده :

لقد أكثر الشاعر من التعبير عن علاقاته بأولاده في شعره ، وبدأ هذا التعبير منذ ولادة ابنه الأول (أنس) ، وتابع أبناءه واحدًا واحدًا ، ورصد اللحظات التي يكون بعيدًا عنهم . فسجل أوقات الفرح ولحظات الكدر ، فمرة يعاتب ، ومرة خائف عليهم من المرض ؛ ولعل سبب كثرة الشعر الذي قاله فيهم بسبب غربته ، وبعده عنهم وهم صغار ، وقد ألهب هذا البعد قلبه حنينًا وشوقًا . ويشعرنا أن حياته دون أولاده حياة خربة لا طعم فيها ولا رائحة . ومن أبرز المحاور التي دار حولها شعره في أولاده : **الحنين والشكوى** ، فالشاعر إذا سافر عن أولاده ظلَّ متعلق القلب بهم إلى أن يلتقيهم ، فحنينه وشكواه يلتهبان في حال غربته عنهم ؛ يقول [1] :

لقد حكم الزمان على أبيكم ... وما من حكم هذا الدهر واق
ثباتًا يا بني على الفراق ... فكأس الدهر مسموم المذاق
لقد حكم الزمان على أبيكم ... بتشتيتٍ وحزنٍ وافتراق
إذا زفرت بكم رئتاه فاضت ... شآبيب الدموع على المآقي
لقد غدرت بنا سود الليالي ... وأحكمت الوثاق على الوثاق

(ثباتًا) تتربع هذه الكلمة على عرش الصدارة في هذه الأبيات ؛ لتعكس خوف الشاعر على بنيه ، ودعوتهم للجلد والتصبر على الفراق .

ولأن هذا الفراق لم يكن باختياره راح يؤكد هذا الأمر ؛ وتكريره للفظة (حكم) كان من باب إراحة النفس ، فالفراق ما كان إلا قضاء قدر عليه وعلى أولاده ، وإذا تأملنا النص جيدًا أطلت غربته التي لازمته في كثير من شعره ، واختار كلمات من قاموس الكون

(١) ديوان عالم الأسرة ، ل (٢٠) .

وهي : (الزمان ، والدهر ، والليالي) ، وكأنه أراد أن ينقل القارئ إلى مرسمه ؛ ليشاهد الصورة التي لم ينتهِ من إنجازها ، وهذه الصورة تسلط الضوء على غربة روحه التي حبست في غربته المكانية والتي تسورت بغربته الاجتماعية .

وأما البيت الذي علا فيه كعب الفن الشعري فهو البيت الرابع ؛ فقد تآزر المضمون مع الشكل للتعبير عن هذه التجربة الحية ، إن البيت يكتنز بقيم معنوية تعضد بقيم فنية تنعكس أمام مرآها أحزان الشاعر وآلامه ، فأحزانه وخلجاته النفسية تتداعى ؛ لتصف حالته الشعورية وعاطفته الحزينة ، فيتبين الحزن على فراق أولاده ، وهذه العاطفة تتطلب بحرًا شعريًا يتناسب وزنه مع الحالة الشعورية للشاعر . والوافر بإيقاعه حقق له ذلك .

ومما يلفت النظر في هذه القصيدة التفات الشاعر إلى الذات ؛ يقول :

وقد صارعت موج الدهر حتى وهى المجداف أما العزم باق

وفي قصيدة أخرى يرسم فرحه وسعادته في اللعب مع أولاده في صور طبيعية ، غير مصطنعة ، التقطتها عدسة شعره ، ونقلها دون تزيين أو تجميل ، يقول [1] :

وأغتذي بينهم طفلاً ألاعبهم كأنني لم أزل ما بينهم ولدا
ألعثم الحرف طورًا أو أصيح كما صاحوا فنصبح جوقًا منشدًا غردا
ويركبون على ظهري وأسقطهم ركضًا على أربعٍ كالفيل حين غدا
أظن نفسي مجنونًا بعالمهم إن لم أجن فإني قد أجن غدا

ومن طريف المعاني التي نقلها بعدسته الشعرية : معاناته في توفير متطلبات أولاده ، وربما أراد تصوير حالات البؤس لدى الطبقة الفقيرة ، فالشاعر تفنن في وصف تلك المعاناة ؛ لإبراز حالة البؤس التي تحيط به [2] :

(١) ديوان عالم الأسرة (مخطوط) ، ل (٢٥) .

(٢) المصدر السابق ، ل (٢٤) .

أحمـــال بطيخنـــا تفـــنى لـــساعتها ... حتى القشور غدت من فورهـــا بـــددا
حلـــوقهم فـــاغراتٌ كـــالجراد إذا ... أتى على كل شـــيءٍ صـــار منجـــردا
بطـــونهم جائعـــاتٌ لـــيس يـــشبعها ... ما يزرع القطر أو ما كان قد حـــصدا
سافرت شرقًا وغربًـــا أجـــتني لهـــم ... رزقًا فضاع الـــذي أجنيـــه مفتقـــدا
أخـــاف أن يـــأكلوني في مجاعتـــهم ... ويأكلوا بعـــدي الجـــدران والعمـــدا

صورة من الصور المعيشة في واقع الحياة ، وهذا مما يعاب على الشاعر ، فهو لا يـــزال يستمر في الهرولة خلف الأحداث اليومية العادية ، أو الخاصة بتجاربه الحياتية ، وتتبعها أولاً بأول ، والدخول في تفصيلاتها وجزئياتها ، فالأبيات السابقة ما هي إلا إغـــراق في القـــص الشعري .

ومن تلك الصور التي علا فيها كعب الشعر صورة رسمها عن مكابدته وتعبه من عبث ابنه (هاني) الذي يبدو أنه أتعبه عن طريق تفريقه لشحناته النفسية . يقـــول في قـــصيدة (التحطيم) [1] :

كم كنت آمل فيك الخير يـــا ولـــدي ... يا نور عـــيني حيـــاتي فلـــذة الكبـــد
أقـــول في كـــبري ألقـــى فتوتـــه ... عوني وفي العجز ألقى فيـــه معتمـــدي
وكلمـــا مـــر عـــامٌ قلـــت موسمـــه ... يحـــين في غـــده أو بعـــد بعـــد غـــد
منذ الولادة حـــتى الآن مـــا تركـــت ... يـــداك شـــيئًا ولا تكـــسير مجتهـــد
لمـــا زحفـــت إلى كـــتبي تمزقهـــا ... أضحت جميع أواني البيـــت في بـــدد
خرقت ثلاجـــتي أحرقـــت طـــاولتي ... أفنيت أشـــياء لم ترضـــخ إلى عـــدد
والآن من بعد عمـــرٍ كنـــت أحلمـــه ... (بقنبي) سيارةٍ يقوى بهـــا جلـــدي
خلست مفتاحها مـــن غـــير معرفـــةٍ ... بسوقها وســـبقت الـــريح في صـــيد
وحينما رمـــت إيقافًـــا لهـــا انقلبـــت ... وحطمت وتلاشـــت خـــارج البلـــد
في لحظةٍ قد قـــضيت الأمـــر منفـــردًا ... وجئـــت تـــسلمني مفتاحهـــا بيـــدي

(١) ديوان عالم الأسرة (مخطوط) ، ل (٢٩) .

ورحت دون اكتراثٍ قائلاً حطمت كلعبةٍ في يدي طفلٍ بلا رشد
المال يأتي ويمضي لست أرقبه عندي حياتك فوق المال والرغد
إذا شممتك لم أحفل ولو تلفت كل الكنوز بهذي الأرض يا ولدي

أبرز ما في هذا النص الأسلوب القصصي الذي استعان به الشاعر في تجلية تلك الصورة ، ومن العناصر البارزة – أيضًا – حديث النفس ، والرجوع بالتفكير إلى الماضي .

فالشاعر رصد الأحداث البارزة في حياة ابنه (هاني) ، ومن السمات الأخرى الانسجام التام بين مطلع القصيدة ومقطعها ، فالانسجام جاء من خلال المعنى والمبنى .

ومن تلك المحاور : فرحه بمولد ابنه الأول أو خوفه على أولاده من غدر الزمن ، ومن توريثه لهم طفولته ، يقول (١) :

أبكي لديك وأنت في أحضاني فرحًا وخوفًا بالمنى اعتريني
فرحًا بأنسك إذ أضاء حوالكي والخوف من غدر الزمان الجاني
أبني يا جزءًا تفرع من دمي وحشاشتي وعواطفي وحناني
أُنسٌ وما أحلاه من نغمٍ إذا نوديت هز صدى النداء كياني

بث الشاعر ابنه في هذا المقطع كثيرًا من المعاني ، وهي مقسمة بين الفرح والخوف ، فالفرح بقدومه ، والخوف عليه من غدر الزمن الجاني .

وفي هذا النص اجتمعت أشتات مشاعره تجاه ابنه ، وتعانقت هذه المشاعر الموحدة مع وحدة الموضوع ، فتجانست الأفكار مع الصور ، وبدأت في تتابع تام ، يشي باندماج الصدق الحقيقي مع الصدق الفني :

أبني يا كل الوجود مصورًا في بسمةٍ من ثغرك الفتان
في كل حرفٍ من صدى (بابا) على شفتيك تبدو للسرور معاني
كم من خدين لي تقلص وده فوجدتك السلوان عن أخداني

(١) ديوان عالم الأسرة (مخطوط) ، ل (١٥) .

ألقى عليك ملامحي وطبائعي فأقول هل هذا (علي) الثاني
وتقول أمك إن تغب عن ناظري فبطفلك الغالي أرى سلواني

(أبني) نداء للقريب ، وهل هناك قرب أشد من قرب الأب من ابنه ، فهنا دلالة على القرب الحسي والمعنوي ، وكلمة (بابا) منتقاة من لغة الأطفال ، تعمد علي توظيفها ؛ ليظلل نصه بالإيحاء الشعوري ، ويكسب نصه وقعها الموسيقي المؤثر على النفس .

وبعدما ينتهي من تقريظ ابنه بأجمل العبارات وأحسنها ، فهو ذكي ، وعلى ملامحه مخايل العظماء ، يلتفت إلى فرحه بقدومه ، ولكنه يربطه بحالاته النفسية التي لا تنفك شاخصة في جميع نصوصه :

أأبا علي والبنوة نشوةٌ قلمي ينوء بوصفها ولساني
إما طواني الموت في أعماقه ورثاني الشعراء من إخواني
أخبرهم أن السعادة كلها طفلٌ يضم أباه في تحنان

ويختم قصيدته بتوجيه وصية لابنه .

وصور دمر إحساسه حينما بدأت تكبر أسرته بقدوم ابن من أبنائه . فيقول (١) :

قد غدوت الآن في الدنيا أبًا وتركت اللهو عفت اللعبا
أنسٌ جاء وهاني فاصنعي لهما يا نفس ما قد وجبا
جاء طور الجد والكسب ومن أجل أولادي عشقت النصبا
وصحوت اليوم من خمر الصبا فوجدت الكون قفرًا مجدبا
تكمن الذؤبان في أرجائه تمضغ الغدر لتؤذي الكوكبا

الشاعر – هنا – يعلن هجره للعب واللهو ، ويلزم نفسه بالجد والكسب والعناء ؛ لأنه أصبح أبًا لطفلين ، وصراعه مع الشقاء والغدر لا يزال مستمرًا وربما ازداد هذا الصراع بمقدم المولود الجديد .

(١) ديوان عالم الأسرة (مخطوط) ، ل (١٩) .

ثم يلتفت ؛ ليوصي ابنيه بالجد والاجتهاد للوصول إلى أعلى المراتب التي لا ينالها إلا الشجعان والمغامرون والمخاطرون – على حد تعبيره – ، يقول :

يا بني روحي وقلبي أشتهي ... أن أراكم تعتلون الرتبا
غير أن الجسر للمجد على ... نهر أهوالٍ تمطى مرعبا

ثم يبين خوفه من أن يغتدي حظ أبنائه كحظه يحبون الأدب ، فتتلاطم الأمواج بسفينة عيشهم ، فيقذفهم موج عتي إلى أمواج مصطخبة ، ويأخذهم الإعصار شرقًا وغربًا بحثًا عن الرزق ، فالمجتمع لا يحفل بالأديب ؛ فيقول :

أنا أخشى حظكم أن يغتدي ... مثل حظي تعشقون الأدبا
أدب الأحرار من شنوا على ... كل عسفٍ لجبًا ملتهبا
فتعيشون كعيشي نوبًا ... في الرزايا فيه تتلو نوبا

ثم يزداد خوفه عليهم ، وعلى مستقبلهم ، فيأسف أنه لو لم يأتِ بهم لهذا العالم الذي سيحل فيه دمار شامل ؛ يقول :

ربما يأتي دمارٌ شاملٌ ... سيعم العالم المنتخبا
ليتني للأرض لم آت بكم ... أنا أحيا طول عمري مذنبا

وقد خص ابنه (أبا العلاء) بقصيدة (يكرريني الزمان) ؛ حيث إن الشاعر رأى أن هذا الفتى صدى لذاته ، فهو كأبيه محب للعلم والأدب ، وهبه الله خطًا جميلاً ورسمًا متقنًا ، يقول (١) :

شبابك يا بني مني شبابي ... وعمرك حلم عمري واغترابي
أرى شخصي بشخصك مستجدًا ... صباي لديك مشبوب الرغاب
يكررني الزمان بك ازدهارًا ... فأرجع ريقًا (٢) غض الإهاب

(١) ديوان عالم الأسرة (مخطوط) ، ل (٢١) .
(٢) **ريق** : كل شيء أفضله . وريق الشباب أوله .

وألمح شاربي المطرورَ ينمو ... فأمرح لاهيًا حلو التصابي
ومحبوبًا من الأصحاب سمحًا ... سميرًا باسمًا عذب الدعاب
أؤمل فيك آمالاً كبارًا ... سفحت لنيلها خمر الشباب
أصاولها فتغلبني فحاول ... مساعدتي على هذا الغلاب

هنا لعب التكرار دورًا مهمًا في نقل التجربة الشعورية في هذه الأبيات ، فقد اتكأ على هذا التكرار ؛ ليدعو ولده لمقارعة الحياة والنجاة من مخاطرها ، فهو الأمل الذي سفح الشاعر من أجله صبوة شبابه ، وإذا حضرت صورة شقاء الأب في ذهن أبي العلاء ، فلا بد أن يبددها ؛ إذ إن الاختلاف واضح وبين ، فالشاعر عاش اليتم وألمه ، أما الابن فله أب عون له لمنازلة الصعاب ، ثم راح بعد هذه الأبيات يعدد الصفات التي تحلى بها أبو العلاء ، وختم النص بذكر الموت :

فإن أهلك فأنت أنا سأحيا ... بشخصك بعد دفني في التراب

ولا أوافق الأستاذ عدنان قيطاز الذي يرى أن الشاعر يؤمن بتناسخ الأرواح ، وانتقالها من جسد إلى آخر (١) ، حينما قال : (سَأَحْيَا بشخصك) ، فلا يوجد دليل يدل على هذا الاعتقاد ، فالشاعر عاش بعيدًا عن هذه المعتقدات الباطلة ، و لم أجد لها رصيدًا في شعره ، وربما مرحلة الشك التي مرَّ بها الشاعر في بداية حياته دفعت صاحب هذا الرأي للقول به .

وأعجب بابنه (مؤنس) ، وأحب منه تودده إليه ، وملاطفته وبره به ، فرصد ذلك الإعجاب في قصيدة أسماها (فتى الفتيان) ، تحدث فيها عن بر ابنه به ، ونفوقه في دراسته ، وجمال خطه ، وشجاعته ، يقول (٢) :

يا مؤنس العمر في إبان وحشته ... عند المشيب سرور العين والكبد
ويا ضياء ظلامي جاليًا كدري ... ويا معيني أنيسي سلوتي سندي
ويا رفيقي في الأسفار يخدمني ... يقود سيارتي عوني ومعتمدي

(١) مجموعة من الأوراق بعث بها الأستاذ : عدنان قيطاز للباحث .
(٢) ديوان عالم الأسرة (مخطوط) ، ل (٢٢) .

يا شعلةً من ذكاءٍ في دراسته ... فاق الرفاق جميعًا جد مجتهد
ولم يزل بعد عشرٍ فوق ثالثةٍ ... كأنه رجلٌ في العقل والرشد
قلبٌ شجاعٌ وفكرٌ ثاقبٌ وله ... خط جميلٌ ورسمٌ باهرٌ بيد

ويختم القصيدة بالدعاء لولده ؛ فيقول :

أبقاك ربي أنيس العمر يا ولدي ... يا ساعدي سندي ريحانتي عضدي

وقد كانت ابنته (قمر) أوفر حظًا من أختيها ، فالشاعر خصها بقصيدة أسماها : (أمي الصغيرة) ، يقول [1] :

أشمك يا بنتي فإخال أني ... أشم حدائق الدنيا جميعا
وما أزهارها تعطي لروحي ... أريجك إنه فاق الربيعا
أضمك أنتشي نشوات طفلٍ ... يعانق أمه غضًا رضيعا
وأذكر عطر أمي فيك حتى ... أعود بحضنها طفلاً وديعا
حرمت حنانها ورجعت ألقى ... لديك حنانها ينشي الضلوعا

جاءت لبنات النص من الفعل المضارع من مثل : (أشمك ، وأنتشي ، وأضمك ، أذكر ، وأعود) ، وهذه الأفعال كلها تدل على استمرارية الفعل ، فكأن هذا الشم ، وهذا الضم يوحيان بالحنان والخوف والحذر ، ثم يغيب عن واقعه ؛ ليعود لماضيه مع والدته ، فيبدأ في تذكر ما كانت تفعله به وهو صغير ، فيجري هذا على طريقة الطلب من ابنته :

فيا أمي الصغيرة هدهديني ... وغني لي المحبة والولوعا
وإما رمت نومًا عانقيني ... فما أحلى بضمتك الهجوعا
إذا دغدغت لي صدري فهمي ... يذوب وكان لي حصنًا منيعا

لا يزال الشاعر مفتقدًا لحضن أمه الدافئ ، فقد ظلَّ معه هذا الشعور فترة طويلة ، حتى

(١) عالم الأسرة ، ل (٢٣) .

وهو يستقبل مرحلة من مراحل حياته الجديدة التي يرزق فيها بالأولاد وحفدته .

ثم ينقلنا إلى صورة جميلة كجمال أطفاله ، فالأطفال يسقطون فوق الشاعر يعانقونه ، ويقبلونه ، وهو في هذه اللحظة يخشى الضياع من كثرة القبل :

سقطتم كلكم فوقي فأخشى من القبل الصغيرة أن أضيعا

- شعره في حفدته :

لم يكتب دمر لأحفاده سوى قصيدة خصَّ بها ابنة بنته (صافية) ، فقد خاطبها بلغة مفهومة لمثلها ، مبتعدًا عن الصور الخيالية ، وسبكها في وزن مجزوء الرجز . وهي أقرب إلى التغني والإنشاد ، وضمنها حبه لها ولأمها وافتخاره بأبيها ، يقول [1] :

حفيدتي يا صافيةً يا بنت بنتي الغاليه
أمك يا حبيبتي زهرة عمري الباهيه
مثلك كانت حلوةً وطفلةً مناغيه
يا نغمة العصفور في روض ربيع الضاحيه
يا زهرة الغصون يا عنقود كرم الداليه
يا هسهسات جدولٍ يجري بسفح الرابيه
أبو علي زينة الشـ ـبان نفسٌ راضيه
أبوك فخرٌ مرةً وهم فخار الباديه

ومما استوقفني في هذا النص ما وجدته من مقدرة الشاعر في مخاطبة الأطفال بلغة مفهومة لديهم ، وموسيقا محببة لهم .

وبقي أن أشير إلى أننا إذا استثنينا القصائد التي وردت في هذا المبحث من شعر الأسرة التي علا كعبها الفني ، فإن ما بقي منه بقي محدودًا في الصياغة والجودة ، وحسن السبك ، فلم تظهر الصور الفنية والجمل المتناسقة ذات الجرس الموسيقي المطرب ، بل غاب عنها

(١) ديوان عالم الأسرة (مخطوط) ، ل (٢٦) .

الشعر في كثير من مقاطعها ، وارتفعت وتيرة النظم .

المبحث الثاني

شعر الإخوانيات

هو تعبير أدبي يصور العلاقات الاجتماعية بين الأديب وأصدقائه ، يغلف بخصوصية شديدة ؛ لأنه يدور بين الشعراء بتلقائية وعفوية . وغالبًا ما يكشف الوضع الشخصي للشاعر ومزاجه ، ويعكس طبيعة علاقاته بالآخرين ، ونظرته للحياة ، وما يخبئه من أسرار في دواخله التي يسر بها إلى أصدقائه ؛ والتي في الغالب ما تكون خبيئة عن القراء ؛ لأنها شخصية ، ومن ناحية أخرى فهي لغة حوار بين الشاعر وصديقه ، وفي الغالب لا يقدر لها النشر .

ويحرص الأديب على التأنق في ألفاظه ومعانيه ، والدقة في تصوير عواطفه التي تكون صادقة حينًا ، وزائفة حينًا آخر (١) ، وأما مضامينه : فهي التهنئة ، والعتاب ، والاعتذار ، والعزاء ، والثناء ، والرثاء ، والدعوة للزيارة ، والاستمناح . . . (٢) .

" وعرف هذا الفن في البيئات المتأدبة ؛ مثل بيئتي الأندلسيين والحمدانيين . لا لأن هذا الفن يحتاج مواصفات خاصة تميز قائليه ، ولا لكونه من الفنون الشعرية الراقية . ولكن لكون المجتمع [يعنى بالأدب وبالشعر] . . . ، فإذا كانت بينهم رابطة الصداقة والأخوة ، وكثرت بينهم المراسلات الأدبية ، تضمنت تلك الرسائل مقطعات أو قصائد شعرية رقيقة الأسلوب ، سطحية المعنى ، خفيفة الوزن ، لا تعدو أن تكون مجرد قوالب أدبية لعواطف [حميمية] متبادلة ، فيما بينهم ، تدل على عمق صلاتهم ، الاجتماعية ، وتعكس [أواصر المحبة] التي تستدعي من المتراسلين الألفة والمحبة والارتياح التام ، وترك التكلف ، والاستعداد الذاتي لتحمل هموم الآخر ، وربما حملت حاجة أحدهم للآخر في أمر مادي أو

---

(١) انظر : مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني ، لبكري شيخ أمين ، دار العلم للملايين ، ١٩٨٦/٤م ، ص (٢٨٨) .

(٢) انظر : الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ، للدكتور : أحمد بدوي ، دار نهضة مصر للطبع والنشر بالقاهرة ، ١٩٧٩/٢م ، ص (٣٩) .

معنوي " (١) .

والشعر الإخواني الذي خلفه للشاعر ليس كثيرًا بالنسبة لموضوعات شعره الأخرى . ويبدو لي أن الشاعر لا يحفل بهذا الشعر ، فقد عرف عنه حرصه الشديد على نشر شعره أو إعداده للطبع ، والإشارة إلى الدواوين المخطوطة في الدواوين المطبوعة ، ولم أجده يشير إلى هذا الشعر ، على أنني استمعت إليه في بعض الأشرطة التي سجلها بصوته يقرأ بعض إخوانياته التي أرسلها إلى أصدقائه من أدباء حماة ، وقد اتضح لي ضعفها ، وعمومًا هي غير صالحة للنشر ؛ لما تحتويه من ألفاظ خارجة عن الذوق العام ؛ ولعله من أجل ذلك لم يضمنها دواوينه .

وإخواناياته تدور حول عدد من الموضوعات ؛ منها : العتاب ، والدعوة للزيارة ، والمساجلات الشعرية ، والدعابة .

- العتاب :

عرض الشاعر على صديقه عبد الفتاح أبي مدين رئيس النادي الأدبي الثقافي بجدة أن يتبنى النادي طباعة شعره (مجموعًا) ، ورحب النادي بذلك ، لكن تأخر في إخراج الديوان ، فاعتقد الشاعر أن النادي تراجع عن وعده ، وانصرف عنه إلى شواغل أخرى ، فأرسل قصيدة إلى أبي مدين توافر فيها العتاب الرقيق ، وحث على إخراج الديوان ، يقول (٢) :

أأبا وديعٍ يا صفاء مودّتي ... في رحلة العمر الجديب العاني
من ثلث قرنٍ لم تزل عوني على ... دهري وصدق محبّة وحنان
ماذا جرى كي تهملوا روحي بلا ... ذكرٍ مدى عامٍ من الهجران
سنةٌ تمرّ ولم يزل في سجنه ... تحت الغبار بوحشةٍ وهوان

(١) عمر بهاء الدين الأميري ، للدكتور : خالد الحليبي ، منشورات نادي جازان الأدبي ، ١٤٢٧/١هـ ، ص (٤٤٧ ، ٤٤٨) .

(٢) ديوان علي دمر ، ص (٨) .

ما كنت أحسب أن ينام لديكم ... سنةٌ رهين البتّ في حرمان
يا شوقه للنور عندكم ويا ... تحنانه للنشر في إتقان
ماذا جرى هل حذف بعض قصائدٍ ... يبقيه مطويًّا مدى الحدثان
إن كان بكرٌ عندكم أو ياسرٌ ... قد أهملا عوني وما ذكراني
فأنا سأحضر كي أقوم بكلّ ما ... تبغون من عملٍ لدى ديواني
لا تهملوني ذكركم في خاطري ... كالبرء يشفيني من الأحزان

كان الشاعر يتمنى أن يرى ديوانه مطبوعًا ، يعرض في المكتبات ، ويقرأ فيه أصحابه وأحبابه ، وكانت هذه الأمنية تقض مضجعه ، وتؤرق ليله ، وقد دفعته إلى تذكير صديقه بما كان بينهما من ألفة ومحبة ، ففي النص يستثير دمر عواطف صديقه ؛ فيطلب منه أن يحقق أمنيته . ويلاحظ – هنا – كيف ينادي صديقه أبا مدين بكنيته ، وناداه بأجمل الصفات (يا صفاء مودتي) ، وبدأ يذكره بما كان بينهما من حب وحنان ومودة .

ومن معاتباته : عتابه لسعيد قندقجي [1] إذ يقول [2] :

لعمرك قد تبدي الدّفائن لفظةً ... فتفضح سرًّا بعدما كان خافيا
تندّرت في كلّ حفلٍ ومجلسٍ ... وباسم دعاباتٍ تماديت هاجيا

إن الشاعر لم يكن يستحسن إخوانيات سعيد ؛ لهذا صعقه بهذين البيتين ، ومما يلاحظ – أيضًا – بروز الفنية الشعرية فيهما على خلاف شعره الإخواني الآخر .

- الدعوة للزيارة :

تربط الشاعر بالأديب د . رجا سمرين علاقة وثيقة وقديمة ، وكانت الرسائل النثرية بينهما متصلة لا تكاد تنقطع ، وقد سمع الشاعر بقدوم صديقه إلى مدينة الرياض قادمًا من

(١) سعيد قندقجي (١٩٣١م – ١٩٩١م) ولد بحماة ، عمل في التدريس ، عضو بمجلس اتحاد الكتاب العرب . له : رحلة الضياع ، وأعدوا الطريق للفرح ، باسمك أيها الحب .

(٢) صفحات من حياتي (مخطوط) ، ل (٤٠) .

دولة الكويت ، فبادر بإرسال قصيدة ، يدعوه إلى زيارته في محافظة الأحساء ، يقول (١) :

أقبل إلى منـــــزلي كالمــاطر العطــر ... وانزل كغيثٍ على الصّحراء منــهمر
شوقي إليك (رجا) لا زال مــشتعلا ... تـــذكي لظـــاه أفـــانين الـــصّور
قد صوّرت حقبةً من عمــر صــحبتنا ... في أرض مـــصر وفي أيّامهـــا الغـــرر
أيّام نلهو وكــأس الــصّفو مترعــةٌ ... وليس في صفوها شيءٌ مــن الكــدر
لله أيّامهـــا كـــم كنـــت منـــشرحًا ... ما عدت من بعدها أرتاح في عمــري
أطفئ لظى الشّوق يا خلّي بمقــدمكم ... كي نستعيد ليالي الأنـــس والــسّمر

من خلال القصيدة نستشف عواطف الصداقة والوفاء وشوق الشاعر لقدوم صديقه ، ويظهر ذلك في مناداته في البيت الأخير (يا خلي) ، (فياء المتكلم) تفيد التملك ، وتشعر بشدة الصلة ، ويلاحظ أن الشاعر بدأ يذكر صديقه بالأيام الماضية التي كانا قد عاشـــاها في قاهرة المعز أيام الدراسة الجامعية .

وأجابه صديقه بقبول الدعوة (٢) :

كصيبٍ مـــن هتـــون المــزن منـــهمرٌ ... وافى المشوقين من بدوٍ ومـــن حـــضر
أحيا به الله ميـــت الأرض فانتفـــضت ... عن كلّ غضٍّ من الأزهـــار والثّمـــر
أو مثل صبٍّ براه الـــشّوق عـــاد إلى ... حبيبه بعد طـــول الـــصّدّ والـــسّهر
وافت قـــصيدتك العـــصماء مـــشعلةً ... فيّ الحنين إلى مـــا مـــرّ مـــن عمـــري
ذكّرتني يا علّيٌّ خـــير مـــا شـــهدت ... عيناي في مصر من لهـــوٍ ومـــن سمـــر
لله تلـــــك اللّيـــــالي إذ تطالعنـــــا ... بكلّ عذبٍ مـــن الأحـــلام والـــصّور
أيّـــام كنّـــا وكـــان الـــصّفو ثالثنـــا ... " وليس في صفونا شيءٌ من الكـــدر "
واليّوم ليس سوى الذّكرى ولوعتـــها ... ولفحة الحزن والتحـــديق في الـــصّور
ألا ترى كيف أنّـــا اليـــوم في زمـــنٍ ... عن كلّ حلمٍ مـــن الأحـــلام منبتـــر

(١) علي دمر شاعر الحب والغربة والحنين ، ص (١٠) .

(٢) المصدر السابق ، ص (١١) .

نحيا غريبين في بيداء موحشةٍ ما بين قومٍ هم أقسى من الحجر

- المساجلات الشعرية :

لقد دار بين الشاعر وبين الشاعر السعودي أحمد الغزاوي (١) كثير من قصائد المراسلات التي تبادلا فيها ألفاظ المدح والإطراء ، بدعوى المعارضة ، ومن ذلك (٢) :

وجئت إلى بيتٍ من العزّ قائمٍ بـه شعر الورى متغرّبا
إذا قيل (غزّاويٌ) هفا المجد مصغيًا وهشّت حمامات الحطيم إلى النّبا
ولم أنس يومًا فيه جئتك زائرًا فقابلني لطفًا (بأهلاً ومرحبا)
مكثت سويعاتٍ خوالد سجّلت على صفحة التّاريخ سطرًا مذهّبا
تحدّثت فيها فانتشى كلّ سامعٍ وكنت بها كالرّوض سحرًا ومعجبا
وإعجابكم عندي وسامٌ مخلّدٌ أباهي به أسمى وسامٍ وأعجبا
وأنت امرؤٌ والشّعر منه كروحه يفوح شذاها كالخلود وأطيبا

فرد الغزاوي :

ألذّ وأحلى من بلهنية الصّبا خريدتك الحسناء تشتفّها الصّبا
من الدّمّريّات اللّواتي بذكرها إذا انطلق الشّادي تثنّى وأطربا
فما الشّعر إلا ما نظمت عقوده وإلا الذي أغرى وأذرى وأرهبا
وحبك في الأجيال تترى مواكبًا قيامك بالتّعليم مجدًا مطنّبا

- الدعابة :

طلب صديق الشاعر سليم بركات (٣) من الشاعر زيارته ، فأرسل إليه صورة له كتب

(١) هو : أحمد الغزاوي (١٣١٨هـ - ١٤٠١هـ) شاعر الملك عبد العزيز . له سبعة دواوين ، وقد جمعت في ديوان واحد ، ويعد من رجال النهضة العربية ، تقلب في عدد من الوظائف ، ينهج في شعره نهج القدماء . تاريخ الشعر العربي ، ص (٤٣٥) .

(٢) مجلة المنهل لشهر رجب ١٣٧٩هـ ، ص (٤٣٢) .

(٣) سليم بركات : لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من مصادر .

خلفها الأبيات التالية (١) :

إن كنـــــت تبغـــــي وأبغـــــي أن نلتقـــــي كـــــلّ يـــــوم
ففـــــي شـــــعورك شـــــعري وبـــــين كفّيـــــك رسمـــــي
شـــــعري يمثّـــــل روحـــــي والرّســـــم يظهـــــر جـــــسمي

فرد عليه صديقه :

مـــــا دام عنـــــدي هـــــذا فأنـــــت غـــــير مهـــــمّ
فمـــــت وغـــــب لـــــيس دمعـــــي علـــــى فراقـــــك يهمـــــي
فـــــالرّوح والجـــــسم عنـــــدي هـــــل بعـــــد هـــــذا بغـــــنم
فيـــــا أخـــــي لا تـــــزرني وامـــــنح ودادي بفـــــصم
فكلّمـــــا زرت جـــــيبي يحظـــــى بأفـــــداح غـــــرم
لـــــديك بطـــــنٌ كحـــــوتٍ تـــــصيب قلـــــبي بغـــــمّ
فـــــإن أردت لقـــــائي فـــــسوف أهـــــديك رسمـــــي

و لم تخل مطارحاته مع أصدقائه من الدعابة المكشوفة ، والتي تحدث غالبًا بين من تحطمت بينهما جميع الحواجز والموانع ، ومن ذلك أن الشاعر كان في رحلة مدرسية ، فحدثت له بعض المواقف الطريفة ، فرصد بعضها في شعره ، وأرسله إلى بعض أصدقائه (٢) :

فيـــا لجوقـــة عـــزفٍ تـــثير أهـــل القبـــور
ويـــا لـــضجة شـــخرٍ تـــزري بحلـــم الوقـــور
(بتهوفن) لو شـــداها في ســـالفات العـــصور
لفلفـــل الكـــون طـــراً بلحنـــه المـــستطير

(١) ديوان حنين الليالي ، ص (١٢٣) .
(٢) صفحات من حياتي (مخطوط) ، ل (٤٢) .

- الشكوى :

كثيرًا ما كان دمر يرسل إلى أصحابه يبثهم شكواه من الفرقة والغربة ، وضيق العيش ، ومن ذلك ما أرسله إلى سعيد قندقجي (١) :

نتشاكى إذا خلونا ونبكي ... ونداوي الأتراح بالأفراح
بقصيدٍ نبثّه لقصيدٍ ... وغدو مكمّلٍ بروّاح
أين راحت تلك العهود وبادت ... وغدت في الخيال نشوة راح
أين أين إذ اخضرار الشّواطي ... ندب ثكلى والنّهر دمع نواح
كلّ شيءٍ أضحى يبابًا فناءً ... خيّم الموت فوق كلّ النّواحي
باغترابٍ ملطّخٍ باكتئابٍ ... وغيابٍ مضمّخٍ بانتزاح
أنا أفدي تلك اللّيالي بعمري ... وأناجي مساءها في صباحي
هكذا أقطع الحياة غريبًا ... طول عمري كريشةٍ في الرّياح

ومن ذلك - أيضًا - (٢) :

كم ضحكنا وكم بكينا وسرنا ... في دروب النّوال والحرمان
إن نسيتم يا إخوتي كلّ هذا ... ويح نفسي من قسوة النّسيان

فأجابه سعيد قائلاً (٣) :

قد نسيناك بعد طول الزّمان ... وهجرناك بعد صفو التّداني
ولجأنا إلى فراقك عمدًا ... واستعنّا عليك بالشّيطان
وانتهينا من ذكر ماضٍ وآتٍ ... بعدما لذت أنت بالنّسيان
يا قليل الوفاء يا ضيّق الصّـ ... ـدر يا خائنٌ لكلّ لسان

---

(١) صفحات من حياتي (مخطوط) ، ل (٤٢) .
(٢) المصدر السابق ، ل (٤٥) .
(٣) المصدر السابق ، ل (٤٧) .

وأرسل إلى أحد أصدقائه في حماة قصيدة ، يشتكي البعد [1] :

تغيّبت عن عيني فلـــم ألـــق بعـــدكم أنيـــسًا يـــصافيني ويجلـــو المآســـيا
وما أجمل الشّكوى من الحبّ والأسى وما أرحم الـــدّمع الهطـــول المواتيـــا

لقد اتجه الشاعر في إخوانياته إلى السهولة في الألفاظ والبعد عـــن تعقيـــد العبـــارة ، والعفوية في نسج شعره ، والطرافة في معانيه ، وبشكل عام فإخوانياته فوق المتوســـط ، وإن كان بعضها يتفوق على بعض في ذلك .

وقد عبر الشاعر من خلال هذا الموضوع عن حنينه وشوقه لأصحابه ؛ لذلك لا يعاب عليه افتقار شعره من الإبداع .

(١) صفحات من حياتي (مخطوط) ، ل (٤٧) .

الفصل الثالث

الشعر السياسي

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : شعر القضايا الإسلامية والعربية .

المبحث الثاني : شعر القضايا الوطنية .

المبحث الأول

شعر القضايا الإسلامية والعربية

في ظل المسارات السياسية القهرية التي نشبت بأظفارها في العصر الحديث ، نجد أن غالبية الشعراء قد عبئوا فضاءات واسعة من دواوينهم بأحداث العالمين الإسلامي والعربي ، وساروا في هذا الطريق من خلال وجهتين : فمنهم " من سار في طريق الاتجاه الإسلامي ، ومنهم من سلك طريق الاتجاه القومي " (١) ، وكانت وسائل التعبير في ظل تلك المستجدات والمتغيرات لا تنفك عن هاتين الوجهتين عندما يكون الحديث عن قضايا العالمين الإسلامي والعربي .

وكان القرن الرابع عشر وعاءً ساخنًا بالأحداث والمنعطفات السياسية المتتالية على العالمين الإسلامي والعربي ، فقد شهد احتضار الخلافة الإسلامية ، وقدوم القوى الأوربية الاستعمارية ؛ لترث تركة الخلافة الإسلامية ، ناهيك عن أن كثيرًا من أجزاء العالم الإسلامي أصابه التمزق ، وكذلك احتلال اليهود فلسطين ، وانبعاث الأفكار القومية من مرقدها ، وارتفاع وتيرة الوعي السياسي عند النخب الثقافية ، فانعكست هذه المشاهد وأضرابها على مرآة الشعر العربي .

والمطلع على شعر علي دمر يجد أنه ربط عطاءه الشعري بآمال أمته الإسلامية والعربية ، فقد خرج من وجدانياته الخالصة ، والتغني بالمرأة ؛ ليلتزم قضايا أمته في انتقالهما من عهد الاستعمار إلى الصراع السياسي الداخلي .

وقد خصَّ القضية الفلسطينية بأكثر شعره السياسي ، وتنبأ وبشر بقيام (منظمة التحرير) في إحدى قصائده ، وعاش قضية الجزائر بقلبه ، وصور نتائج العدوان الثلاثي الغاشم على مصر ، واتسعت رقعة شعره لتشمل حروب العرب مع اليهود ، وكم حاول أن يبعث الأمل في الأمة من خلال بث روح الحماسة ، وتمجيد الأبطال .

---

(١) وقفات على الاتجاه الإسلامي في الشعر العربي ، للدكتور : عبد العزيز الفيصل ، مطابع الفرزدق بالرياض ، ١٤١٤/١هـ ، ص (٧٧) .

ودمر قد عدَّ نفسه ناطقًا بلسان أمته الإسلامية " ومعبرًا عن مطامعها . . . ، فـــراح يصور لنا موقفه من مشكلاتها وقضاياها ، ويعبر عن طموحاتها وآمالها ؛ مستنهـــضًا همـــم أبنائها ، منحيًا باللائمة على طغاتها المستبدين الذين تاجروا بمآسي أمتهم وبلادهم متناســـين ما يكمن في وجدان الشعب من . . . [قهر] لن يلبث أن يعصف بهم ويطيح بما يتمتعون به من بطش وجبروت " (١) .

والشاعر محب لكل ما هو عربي يفوق التصور ، وما من شيء يداني حبه للعرب سوى حبه لدينه وإخلاصه للإسلام ، وعلى هذا لم تقيده العنصرية البغيضة ، ولم يقع في شركها ، بل كان داعية وفاق وسلام وتحاب .

ودمر حينما غاص في بحر مآسي الأمة ، خرج مصادفة ، فوقف علـــى شـــاطئ الألم والوجع ليفتحها ، فما أن فتحها حتى شاهد ضياع الأندلس وسقوطها في أيدي الأســـبان ، فتذكر أجداده مشاعل العلم والنور والهدى ، يقول (٢) :

حنـــــت إليـــــك معـــــالمٌ عربيـــــةٌ ظمئت وطال على الحـــنين ركودهـــا
تهفو مع الـــذكرى إليـــك ســـهولها وتحـــن للعـــرب الأبـــاة نجودهـــا
جنـــات أنـــدلس العزيـــزة نبـــهت أحلامهـــا لمـــا خطـــرت تعودهـــا
وتلفتـــــت أطيـــــاف ماضـــــيها إلى عهد العروبة حـــين جئـــت ترودهـــا

يستهل دمر قصيدته الواقعة في ثمانية وعشرين بيتًا من بحر الكامل بالأبيات الـــسابقة ، مسترجعًا فيها ماضي الأجداد في الأندلس ؛ عاكسًا على مرآتها الصقيلة صورة من صـــور الندم والألم على ضياع رقعة كانت تطأ أرضها أقدام الأجداد .

وفيها يتذكر حضارة العرب ، وتقدمهم العلمي والثقافي في زمن كان الليل الحالـــك مطبقًا على (أوربا) ، يقول :

---

(١) علي دمر شاعر الحب والغربة والحنين ، ص (٧٨) .

(٢) ديوان علي دمر ، ص (٥٩ – ٦٠) .

نحـــن البنـــاة علـــى رباهـــا عالمًـــا وحـــضارةً يفـــني الزمـــان خلودهـــا
والعلـــم فجرنـــا بهـــا ينبوعـــه من وردنا الـــدنيا يطيـــب ورودهـــا
أيـــام (أوربـــا) تغـــط بليلـــها والجهل والظلـــم العريـــق يقودهـــا

ويلتفت إلى معول الهدم ، ومنبت الخصومة :

كم حطم التفريق مـــن أمـــمٍ وكـــم يطغى على بيض الحـــوادث ســـودها

ومن الموضوعات التي وقف عندها الشاعر في موضوعات متفرقة في دواوينه أوضـــاع المسلمين ، فاتخذ من وصف حال الأمة وسيلة للحفز والتشجيع على البناء والتقـــدم علـــى إصلاح حاضرها ، يقول (١) :

نتفـــانى علـــى العـــروش وتجـــري في ربانـــا علـــى الخـــصام الـــدماء

وينعى عليهم اللهو مع يقظة عدوهم (٢) :

كيف ليلـــي وكيـــف ألقـــى نهـــاري والعـــدو اليقظـــان مـــلء البـــوادي
ونـــساء الأعـــداء بـــين الـــسرايا حـــاملاتٌ في الحـــرب ثقـــل العتـــاد
وهنـــا المترفـــون هـــاموا ســـكارى بالأغـــاني والـــسينما والرقـــاد

ولخوفه الشديد على أمته راح يحفز أبناءها ؛ كي يتـــذكروا ماضـــيهم ، ويرفـــضوا واقعهم (٣) :

أبعـــد فـــتحٍ وملـــكٍ لا نظـــير لـــه نغـــدو متاعًـــا لـــسلابٍ ومغتـــصب
ما أقـــبح العـــيش في ذل وفي ضـــعةٍ من بعـــد عـــز وســـلطانٍ بنـــاه أبي

ومن المحاور التي دار حولها شعره : التغني بأمجاد الأسلاف ، والتفـــاخر بإنجـــازاتهم ؛

(١) ديوان علي دمر ، ص (٥٥) .
(٢) المصدر السابق ، ص (١٠٥) .
(٣) المصدر السابق ، ص (٣٨) .

لاستلهام العبرة ، وحفز الهمة ، ومحاولة الاقتداء بهم . يقول (١) :

كم ركزنا في الشرق منا بنودًا ... وحشدنا في الغرب منا جنودا
وأمام القضاة بالعدل منا ... وقف الظلم خاشعًا رعديدا
وأزحنا الطغيان عن كل شعبٍ ... كان فيه سلطانه عربيدا
ونشرنا في الناس حكم إخاءٍ ... لم يكن قبل شرعنا موجودا
... ...
أمةٌ أنشأت صروح الحضارا ... ت وسارت في العز شأوًا بعيدا
نحن قومٌ لنا الفخار إذا ما ... قد ذكرنا مع الفخار الجدودا

ومما استوقفني في هذه الأبيات عشق الشاعر لأمته ، وتاريخها ، فقد بدأ كأنه يلتقط صورًا متداخلة اختلط عليه زمن وقوعها .

ويقول (٢) :

فلا فخر في غزوٍ ولا بتسلطٍ ... ولكن بنفع الخلق في الجهر والسر
ونحن بتاريخ البرية أمةٌ ... أضاءت نواحي الأرض بالعدل والطهر
طلعنا على الدنيا ربيعًا منورًا ... فغطى قفار الجدب بالزهر والعطر
وليس لنا في زحفنا غير غايةٍ ... نبلغ أمر الله في السهل والوعر

وينبغي التنويه بأن شواغل الشاعر بقضايا أمتيه تشكل خطًا ملتزمًا من بواكيره الشعرية إلى الزمن الذي لقي فيه ربه . يقول (٣) :

ألا يا رعاع الغرب عممتم الأسى ... جميع بقاع الأرض لم تخل منكم
خسئتم طغامًا قد لبستم حضارةً ... وقلتم " لنحن الأوصياء عليكم "

---

(١) ديوان علي دمر ، ص (٣٥) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٣٩) .
(٣) ديوان حنين الليالي ، ص (٧٧) .

ومـــا راعـــني إلا ولاة شـــعوبنا ... يحبون أن يصغوا لمـا قـد خـدعتم
فكم من مليـكٍ أو رئـيسٍ بمـالكم ... يبـيعكم مـن شـعبه مـا طلبـتم
سيمشون مختارين للحـرب في غـدٍ ... ليحموكم حـتى تعيـشوا وتظلمـوا
فيا ويلنـا مـن حـاكمين ومـنكم ... فـنحن شـعوبٌ كالبـهائم تحكـم
ويا بؤس من تغـري الدعايـة لبـه ... يقـاد لـساح المـوت وهـو يـرنم

الشاعر – هنا – يتعرض للانتداب الفرنسي ، ويوضح أن هذا الانتداب مـا هـو إلا طمع في البلاد العربية وثروات الأرض وخيراتها ، ولا ينسى أن يندد بالحكام الذين شدوا من أزر المستعمر ، ثم يحذر من الدعايات البراقة الخادعة على المغتر الذي صفق وهلل دونمـا أن يدرك أن هذا الطرب والرقص ما هو إلا الفرح المفضي للموت .

وتشتد سورة غضبه على المستعمر حتى تبلغ حد النقمة والشماتة ، ولك أن تتخيل أن هذه النقمة تنطلق من أجواء الفرح والبهجة حينما يرى المستعمر رازحًا تحت وطأة الهزيمة ، يقول (١) :

سلوا (فرنسة) كم من ثورةٍ صـليت ... من جندها شـبعت في الـبر عقبـان
أرادهـم في لقانـا عـصبةٌ صـدقوا ... شعبٌ لـه في مجـال الـذود ألـوان
سلوا المغيرين في دعوى الصليب أمـا ... كفاكم من جنـود العـرب برهـان
عليهم من (صلاح الـدين) هينمـةٌ ... وخلفهم من جيوش العـرب فرسـان
ومصر والشام في التـاريخ واحـدةٌ ... (صلاح) قائدها والجنـد شـجعان

وموقفه من المستعمر هو موقفه من المعاهدات والمواثيق والأحلاف التي يعقدها المحتل ، فراح يفضح أساليبه في تضليل الشعوب ، وتمويه الحقائق ؛ مستعينًا بزمرة الخونة من أبنـاء الأمة الذين قتلوا ضمائرهم ، وعفروا الجبين ؛ مرتزقين متزلفين ، يقول (٢) :

خدعت شعـوب الأرض إلا شـعبنا ... بعهـود حـربٍ أو عهـود أمـان

(١) ديوان علي دمر ، ص (٧٧) .
(٢) ديوان حنين الليالي ، ص (٦٩) .

ويقول على لسان اليهود : إن إنشاء " هيئة الأمم المتحدة " ما هو إلا مخطط من مخططاتهم في السيطرة والتحكم في سياسات الدول ، والمتتبع لقرارات الهيئة يجد أن أغلب الاعتراضات – ما يسمى (الفيتو) – ضد القرارات المتخذة حيال المذابح والمجازر اليهودية في فلسطين كان وراءها اليهود (١) :

في هيئة الأمم استطعنا أننا ... نملي على الدنيا إرادة شعبنا
نلهيهم بتجادلٍ وتنازعٍ ... وننفذ الخطط الرهيبة وحدنا

ولقد أدرك دمر أن أمريكا ، منذ تأسيسها عملت على فرض سيطرتها وإرادتها على دول العالم في كل المجالات الاقتصادية والعسكرية والسياسية والدبلوماسية والثقافية والفنية غير آبهة بالآخرين وبالصديق قبل العدو ، فهي ترى نفسها أنها الوريث الشرعي للدول الاستعمارية التي عرفها العالم في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . يقول في قصيدة " ربة المال " (٢) :

كم مليكٍ وكم رئيسٍ وطاغٍ ... يتهاوى على يديك انقيادا
خدر الشعب بالأكاذيب حتى ... نفذت كلها غدا جلادا
لك يدي العداء وهو أجيرٌ ... كل ما قد أردته قد أرادا
راح باسم الشعوب يقضي ويمضي ... والشعوب الغفلى تغط جمادا

ربما يتبادر إلى ذهن القارئ سؤال ملح : من هذه التي يتهاوى على يديها المليك والرئيس ، ويعاديها في الظاهر وهو يرتمي في حضن مخططاتها في الباطن ؟

إنها (أمريكا) صاحبة المخطط الجديد المسمى العولمة والفوضى الخلاقة وغيرها من الدعوات .

ومن أبرز القضايا التي تطرق لها دمر قضية فلسطين عام ١٩٤٨م : تلك القضية التي

(١) ديوان شعب الله المختار ، مطبعة الإصلاح بحماة ، ١٤٠١/١هـ ، ص (٥٠) .
(٢) ديوان حنين الليالي ، ص (٥١ – ٥٢) .

ألحت على الشعراء في العصر الحديث ، فتناولوها من جوانب متعددة ورصدوا تطوراتها ، وتفاعلوا بمشاعرهم وشعرهم مع شعب فلسطين (١) .

" وما من شاعر عربي إلا ساهم بشعره في هذه القضية ، بل إن بعض الشعراء قد جمع دواوين كاملة من شعره في قضيتها " (٢) .

فالشاعر تحدث عن سقوط حيفا ، وعن اللاجئين ، والنازحين ، وجيش الإنقاذ ، والصراع العربي الإسرائيلي .

وخصَّ هذه القضية بديوان " عواصف على هضبات فلسطين " . وتنوع توتره العاطفي إزاء هذه القضية وفقًا للمسارات التي سلكتها القضية ، فمن السخط والنقمة على اليهود ، إلى نشوة الفرح بالانتصار ، إلى ألم الهزيمة وغيرها .

وامتاز شعره الذي خصَّها به بعمق النظرة ، وصدق اللهجة ، وشمولية التصور ، وحرارة الإيمان التي كانت تفيض على شعره بالعاطفة الصادقة ، والشعور الملتهب (٣) .

وما إن سمع أصداء طلقات العدو تدوي في جنبات المسجد الأقصى حتى شعر أنها ترن في حنجرته ، فأرسل رسالة كان بريدها الشعر ، يقول (٤) :

من مبلغٌ عني اليهود رسالةً ... لو كنتم عددًا كغيثٍ قد همى
وأتت إليكم كل أسلحة الورى ... حتى غدوتم كاللهيب تضرما
ما أنتم إلا فراشٌ أحمق ... لاقى سراجًا فارتمى فتهشما

يلاحظ في الأبيات السابقة إيمان الشاعر الكامل بوعد الله – ﷻ – المتمثل في نصر المسلمين وهزيمة اليهود ، ولا عجب في ذلك ، فالشاعر يستند إلى خلفية دينية أوقفته على

(١) الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، للدكتور : بكري شيخ أمين ، دار العلم للملايين ببيروت ، ١٩٧٢/١م ، ص (٣٣٧) .
(٢) الاتجاه الإسلامي في الشعر الحديث في الشام ، للدكتور : محمد نوري بكار (رسالة دكتوراه مخطوطة) ، ص (٢٢٧) .
(٣) الاتجاه الإسلامي في الشعر الحديث في الشام ، للدكتور : محمد نوري بكار ، ص (٢٢٧) .
(٤) ديوان عواصف على هضاب فلسطين ، مطبعة الإصلاح بحماة ، ١٣٦٨/١هـ ، ص (١٦) .

هذه الحقيقة ؛ لهذا لم يفتر عزمه ، ولم ينخدع أو يتأثر بشرق ولا غرب ، ولم يفتن بالأفكار الوافدة والآراء الفجة في طريقة علاج هذا الصراع الذي تحتضنه قوى العالم لمصالح عسكرية وسياسية واقتصادية .

ومن فصول رواية تلك القضية : اللاجئون ، وقد خصهم الشاعر بقصيدتين بـيَّن في الأولى الحالة التي وصل إليها هؤلاء والوضع المزري الذي يعيشونه ، وأفصح أن لا عـلاج لهذه المأساة إلا ثورة على النفس وقتال العدو ، وإعلان الجهاد ضده ، وفي القصيدة الثانيـة أخبر أن هؤلاء اللاجئين سيتحولون إلى كتائب من الفدائيين ، يقول (١) :

وخيـامٌ للاجـئين كـساها الثـ ـلج في الليـل بـردةً كـالفراء
تتـضاغى أطفـالهم مـن أذى الجـو ع نيامًـا علـى ثـرى الغـبراء
إن عوت في الصقيع والـدجن ريـحٌ اتقوهـا بـالعرى وسـط العـراء
خلفـوا في ديـارهم كـسوة العـز ز وبـاتوا في كـسوة الغربـاء

أما العلاج لهذا الوضع ، فهو :

لا يـرد الحقـوق مـن غاصـبيها غـير نـيران ثـورةٍ حمـراء

والدليل :

كـم دفعنـا بالاحتجـاج اعتـداءً لم يفـد غـير نكبـةٍ واعتـداء

والشاعر متيقن بعودة هؤلاء اللاجئين الذين أخرجوا ظلمًا وبغيًا ، فعلى الـرغم مـن مرور هذه السنين ، إلا أن حق عودتهم إلى ديارهم وممتلكاتهم وبيوتهم التي شردوا منها بقي ثابتًا ويمثل جوهر القضية ، فجوهر الصراع يبدأ من " ذلك الظلم التاريخي الذي وقع علـى الشعب الفلسطيني ، وكانت نتيجته النكبة الكبرى التي بدأت فصولها إثر التقسيم الـصادر عن الأمم المتحدة عام ١٩٤٧م ، ووصل ذروته عام ١٩٤٨م ، واستمر تصاعديًا حتى عـام ١٩٤٩م ؛ حيث لم يتمكن من العودة إلى دياره أو بيته كل من ترك مكان إقامته بـسبب

(١) ديوان علي دمر ، ص (١٠٧ - ١٠٨) .

الحرب ، أو نتيجة لما أسفرت عنه الممارسات القمعية الإسرائيلية " (١) ، يقول (٢) :

الـــشريدون والطريـــدون يومًـــا ... ســـيهزون عـــالم التزييـــف
إن يك العصر عـصر علـمٍ ونـورٍ ... فـــأراه كتائـــهٍ مكفـــوف
وحطام الأخـلاق في عـصرنا البـا ... غـــي شـــظايا ضـــميره المنـــسوف
هـــؤلاء الـــضعاف يومًـــا ســـيبدو ... منـــهم كـــل مـــاردٍ وعنيـــف
إن يكونـــوا قـــد شـــردوا في شـــتاءٍ ... ســـيعودون عنـــد عـــود الخريـــف
لن يـــضيعوا فالـــدهر يخجـــل إمـــا ... كلفـــوه بمثـــل ذا التكليـــف
لن يـــذلوا فالـــذل أحقـــر مـــن أن ... يتلاقى بـــالعرب بـــين الـــصفوف (٣)

وقد وفق الشاعر في استشرافه لمستقبل هؤلاء ؛ إذ لم تلبث جموعهم أن تحولـت إلى كتائب من الفدائيين ، فأرغموا العالم الغربي على الاعتراف لهم بحق العودة وتقرير المصير .

وليته في الشطر الثاني من البيت الثاني قال : (كتائه وكفيف) بدلاً مـن (كتائـه مكفوف) ولو فعل لكان أكثر شاعرية .

وتتلون مشاعره بألوان الفرح والبهجة عندما سمع بإعداد جيش لإنقاذ فلسطين قبـل عام ١٩٤٨م ، فراح يغني أغنية الحرب ، يقول (٤) :

ســـنلتقي لـــدى الهيـــاج الأكـــبر ... وتزحـــف الجيـــوش مثـــل الأبحـــر
ونخطف الخـصوم خطـف الأنـسر ... بجحفـــلٍ ضـــخمٍ كيـــوم المحـــشر
مـــن كـــل ليـــثٍ كاســـرٍ غـــضنفرٍ ... ســـتلتقي العـــرب بيـــومٍ أغـــبر
تحـــت لـــواءٍ خـــافقٍ مظفـــرٍ ... حـــتى تـــضيق البيـــد بالمعـــسكر

(١) عودة اللاجئين إلى ديارهم حق مقدس ، مقال ، الدكتور : واصل أبي يوسـف ، جريـدة حـق العـودة ، العدد (٢٨) ، أكتوبر ٢٠٠٤م ، ص (٥) .
(٢) ديوان علي دمر ، ص (١١٠) .
(٣) هذا البيت يختلف عما هو موجود في الديوان ، فهو مأخوذ من ديوان آخر .
(٤) المصدر السابق ، ص (٩٦) .

اعتمد الشاعر في هذه الأبيات ، وما يليها من أبيات في القصيدة على النفس الخطابي المنبري ؛ بغية إثارة المتطوعين .

وفي قصيدة أخرى استخدم الشاعر الألفاظ ذات الضجيج ، والعبارات المثيرة ، والاستفهام المجرد ، والموسيقا الصاخبة . يقول (١) :

أفدي فلسطين أهوى الحرب طاحنةً ... دمي لرايتها في الطعن تلوين
لا أستسيغ حياةً ليس يصحبها ... عز ومجدٌ به للمرء تزيين
وكيف يحيا امرؤٌ فيه عروبته ... إذا غدت في يد الأعدا (فلسطين)
دم العروبة يغلي في جوانحنا ... يومًا ستبدي أمانيه الميادين
والحصر بعده طول الحصر يعقبه ... تفجرٌ يحرق الأكوان مجنون
. . . . . .
حانت لنا وقعةٌ حمراء حاسمةٌ ... للخصم من نارها ذل وتوهين
وللمدافع قصفٌ في مفازتها ... وللرصاص أهازيجٌ وتلحين

ويصف الشاعر أفراح الشعب الفلسطيني عند دخول جيش الإنقاذ ، فيقول (٢) :

أزفت غضبة الأعاريب للجو ... ر تلظى تلهبًا واستعارا
فالتهاليل تملأ الأرض هولاً ... وتحيل الجماد منها شرارا
والزغاريد من ثغور الصبايا ... تجعل الحرب عاصفًا جبارا
وتحيل الفؤاد من كل شهمٍ ... جمرةً تلهب الجوانح نارا

أبيات تغلب عليها التلقائية ، وتتنقل بين أشطرها فرحة تلونت بلون الورد الأحمر ، وبهجة ترنمت بها الصبايا في عرس من أعراس صديقة لهن .

وفي قصيدة ثورية بناها على موسيقا صاخبة حماسية ، متدفقة ، على بساطتها في

(١) ديوان علي دمر ، ص (٩٨ – ٩٩) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٩٥) .

انسياب اللفظ ، وقرب المضمون . يقول (١) :

يـــا غاصـــبين وقـــاتلين ســـتغتدي ... يومًا جموع الغـــدر بحـــرًا مـــن دمـــا
يعلـــو صـــدى التكـــبير في أرجائـــه ... كالرعد في جوف العواصف دمـــدما
ويثيره قـــصف المـــدافع في الـــدجى ... حـــتى تظـــن الهـــول فيـــه جهنمـــا
لا بـــد مـــن يـــومٍ نـــثير قتامـــه ... حتى يـــصير الكـــون لـــيلاً أســـحما
وترى جيـــوش العـــرب زاحفـــةً إلى ... قلـــب العروبـــة كـــالجراد إذا نمـــا
يـــشدون باســـم الله في هيجـــائهم ... الله أكـــبر مـــا أشـــد وأعظمـــا
يومٌ كيـــوم القـــدس مـــن أجـــدادنا ... لمـــا أحاطوهـــا حـــصارًا محكمـــا
ويـــح اليهـــود إذا مـــشينا نحـــوهم ... كالليـــل يزحـــف في المـــساء مخيمـــا

ولا يُنهي الشاعر القصيدة قبل أن يمدح قائد جيش الإنقاذ (فوزي القاوقجي (٢)) :

فوزي وأنت لها إذا مـــا اســـتفحلت ... وغدا بهـــا صـــوت الحديـــد مرنمـــا
يـــا مـــالئ الـــدنيا دويًـــا هـــائلاً ... لما تـــصول مـــع الـــسلاح مغمغمـــا
كم جحفلٍ للخصم جـــاءك زاحفًـــا ... مزقتـــــه فارتـــــد أو فاستـــــسلما
انهض (أبـــا مجـــدٍ) فكـــل خريـــدةٍ ... في الضاد تهتف أن تعـــيش وتـــسلما

وما إن سقطت مدينة (حيفا) في أيدي العصابات اليهودية عام ١٩٤٨م حتى سقط في يده ، فراح يستنكر ، ويطلق أسئلة كثيرة ، يقول (٣) :

ما وراء الأصداف يا ليـــل هـــل مـــا ... جت بـــ (حيفا) كتائـــب الأوغـــاد
أم يلاقون عنـــد (حيفـــا) حتوفًـــا ... كامنـــــاتٍ للغـــــدر بالمرصـــــاد

---

(١) ديوان علي دمر ، ص (١٠٢ – ١٠٣) .

(٢) **هو** : فوزي القاوقجي (١٨٩٠ – ١٩٧٧م) ، ولد في طرابلس ، كان ضابطًا في الجيش العثمـــاني ، ناضـــل ضد الانتداب الفرنسي ، أسهم مع الملك فيصل بن الحسين في تكوين جيش عربي نظامي . أبطـــال وأمجـــاد ، لعدنان الداعوق ، ص (٦٤) .

(٣) ديوان علي دمر ، ص (١٠٤ – ١٠٦) .

ثم تشتد سورة الغضب في نفسه على جميع العرب والمسلمين الذين كانوا مع النظـارة يتفرجون على هذه المسرحية الدامية :

لهف نفسي للطفل يـذبح في المهـ ... د فتـسري دمـاؤه في الوسـاد
لهـف نفـسي لليعربيـات ذلاً ... رائحـاتٍ مـع العلـوج غـوادي
يتـصارخن أيـن آباؤنـا العـر ... ب وإخواننـا ذوو الإنجـاد

وقبل أن يختم القصيدة ، يتفجر سخطًا على المتحكمين في مقدرات الأمة :

والكبـار مـن الكبـار رؤوسٌ ... حـائراتٌ بـالجبن والإفـساد
خدعتـهم مـن العـداة صـنوفٌ ... مـن دعايـات لاذعٍ قـواد
وهـم في النعـيم مـا دام فـيهم ... لا يبـالون بيعنـا للأعـادي

ليس غريبًا أن يستقرَّ الشك وسوء الظن في نفس دمر من القادة ، فالشاعر عاصر فترة الانقلابات العسكرية ، فشاهد منصة الحكم مستهدفة ممن يجعلونها جسورًا لملذاتهم ، ومطامعهم الشخصية ؛ مهملين شؤون البلاد والعباد .

ويرفض دمر أن يختص الشعب الفلسطيني بالقضية دون أن تشاركه بقية الشعوب الإسلامية . يقول : " أنا كمدرس كذا لمست ذلك الجهل العميق في أجيالنا العربية في سائر الأقطار العربية التي درَّست فيها ؛ حيث لمست بشكل واضح ومؤسف مدى تعميق الإقليمية في كل دولة ، ومدى تعصب الشبان العرب لدولهم وإقليمهم فقط ، واعتبار القضية الإسرائيلية هي مشكلة الفلسطينيين وحدهم ، بل يكنون العداء والاحتقار لهؤلاء الفلسطينيين ، وإنهم يجب أن يتحملوا مسؤولية إسرائيل وحدهم ، وأن مجرد إمداد الأقطار العربية لهم بالمساعدات المالية ، وبعض الجنود فقط كافٍ وزيادة في حلِّ هذه المشكلة " (١) .

إذن فدمر قد شعر بمدى خطورة هذه القضية ، وأنه يجب ألا تقزم أو يقلل من شأن العدو المغتصب ؛ فلهذا راح يجلي هذا الصراع ، ويكشف خباياه ، فألف ديوانه (شعب الله المختار) . وقد اشتمل هذا الديوان على أربع وثمانين رباعية صاغها الشاعر في وصف

(١) ديوان شعب الله المختار ، ص (١٤) .

اليهود وأساليبهم الخبيثة في السيطرة على العالم ، وما يزعمونه لأنفسهم من تميز من سائر البشر .

وقد اشتملت رباعيتان منها على تذكير اليهود بمعايشتهم العرب والمسلمين عبر التاريخ ، وتضمنت ثمان منها تفنيد المزاعم التي تتلخص في ادعائهم أنهم شعب الله المختار ، وخصَّ الشاعر إحدى وأربعين رباعية بوصف أساليبهم الخبيثة في السيطرة على العالم ، وضمن ثماني رباعيات وصفه لأخلاق اليهود وما يتسمون به من وضاعة ودناءة وانحطاط أخلاقي وحقد ودهاء .

وذكرهم في إحدى رباعياته بما تعرضوا له من نكبات لم يتعظوا بها ، ولم يستفيدوا شيئًا من دروسها ، بل زادتهم سوءًا إلى سوئهم الذي جبلوا عليه . وفي خمس رباعيات صور الشاعر اتحاد اليهود – على باطلهم – وتفرق العرب على الرغم من أنهم أصحاب حق . وذكر في رباعيتين صلة القربى التي تجمع بيننا وبينهم ، تلك الصلة التي لم تحل بينهم وبين أن يصبحوا أشد عداوة للعرب والمسلمين من غيرهم من البشر .

ثم كشف في إحدى رباعياته زيف ما يدعون من أن الله قد وعدهم بالعودة إلى فلسطين ، التي يسمونها أرض كنعان أو أرض الميعاد ، كما بين في رباعية أخرى أن يهود هذا العصر لا يشكلون أمة واحدة ؛ لأنهم خليط متنافر من أعراق شتى لا رابط بينها غير الدين المنحرف الذي يحاولون صبغه بصباغ القومية بوسائل مختلفة في طليعتها إحياء لغتهم المندثرة (١) .

وأدرك دمر أن من أسباب هزيمة العرب أمام الباغي فرقتهم وتشرذمهم مع أنهم أصحاب حق ، ودينهم يأمر بالوحدة ، وحينما نظر إلى العدو وجده متحدًا على ما لديه من باطل ، يقول (٢) :

برغم الباطل اتحد اليهود ورغم الحق تقصمنا الحدود

(١) علي دمر شاعر الحب والغربة والحنين ، ص (٩٠ – ٩١) – بتصرف – .

(٢) شعب الله المختار ، ص (٣٤) .

فباطلـــــهم بوحدتـــــه انتـــــصارٌ وحـــق العـــرب بالفوضـــى شـــريد

وسخر دمر من الحجة الواهية والضعيفة التي في طليعة أسباب احتلال اليهود لـــلأرض العربية . يقول (١) :

وقـــــالوا إننـــــا أبنـــــاء عـــــم أيـــسحق عمنـــا دنيـــا أخيـــه ؟
ويطردنـــا مـــن الـــدار اغتـــصابًا أهـــذا مـــا تـــوارث عـــن أبيـــه ؟

ويفند الشاعر تلك المزاعم الرامية إلى أن هناك صلة قرابة تجمعهم بالعرب ، فما هم إلا خليط من أصقاع مختلفة ومتنافرة لا يقرب بينهم سوى الطمع في البلاد العربية . يقول (٢) :

هم من شعوبٍ عـــدةٍ قـــد تهـــودت وليس بهم صدق انتـــسابٍ لأصـــلنا
حثـــالات أقـــوامٍ بـــدون ضـــمائرٍ أتـــوا غربـــاء طـــامعين بأرضـــنا

وحاول أن يلقي ضوءا منيرًا أمام كفرهم بما جاءت به شريعة موســى – عليه السلام – ، فما هم إلا أمة ورثت من أجدادها رفض القيم والمثل العليا . يقول (٣) :

لقد عبث اليهود بـــدين (موســى) وحادوا عن هـــدى العهـــد القـــديم
وخـــــانوا روح (داود) الكـــــريم وتوجيـــــه (ســـــليمان) الحكـــــيم

ويبين مدى حبهم للمال ، ورفضهم لهادي السماء ؛ فيقول (٤) :

لقـــد حـــادوا عـــن الأديـــان طـــرًا وقـــد قتلـــوا هـــداة الأنبيـــاء
وقـــد عبـــدوا إلـــه الأرض مـــالاً ومـــالوا عـــن تعـــاليم الـــسماء

وحاول جاهدًا أن يكشف أساليبهم في السيطرة على العالم ؛ حيـــث يقـــول علـــى

(١) شعب الله المختار ، ص (٣٥) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٣٦) .
(٣) المصدر السابق ، ص (٣٨) .
(٤) المصدر السابق ، ص (٤٠) .

لسانهم (١) :

لنـــا في كـــل قطـــرٍ خافيـــاتٌ وكتـــابٌ ، مجـــلاتٌ ، مـــدارس
نبلبـــل كـــل تفكـــيرٍ ونعطـــي بهـــا فوضـــى المبـــادئ والدســـائس

ويوضح أن من بين تلك الأساليب سيطرتهم على المؤسسات الصحفية الكبرى التي من خلالها يبثون أفكارهم ، ومعتقداتهم ، يقول (٢) :

كبـــار الـــصحف في الـــدنيا إلينـــا يعـــود الختـــل فيهـــا والـــسموم
نغـــذي النـــاس بـــالتزييف منـــها ومنـــها يـــصدر الفكـــر اللئـــيم

ومن تلك الأساليب سيطرتهم على دور النشر التي ينشرون فيما يصدر عنها من كتب كل ما يريدون أن ينشروا من آراء فاسدة ومبادئ هدامة ، يقول (٣) :

ودور النـــشر في الـــدنيا أذاعـــت كما نهـــوى مـــن الفكـــر الأجـــيره
نهـــدم مـــا نـــشاء بهـــا ونـــبني مـــن الآراء في الكتـــب الـــوفيره

ومنها – أيضًا – العمل على إسقاط الحكومات الشرعية وإلغاء أنظمة الحكم الوطنية في البلاد المختلفة والسيطرة عليها ، كما فعلوا بالقيصرية الروسية ، والخلافة العثمانية ، فلقد كان لهم الدور الأكبر في تدبير مؤامرة إسقاط الخلافة العثمانية ، وتفشي التنظيمات السرية الماسونية الصغيرة من خلال عملائها الذين أبطنوا العداء للإسلام ؛ ليكون لهم الدور الخفي بعد ذلك في دعم الهجمة اليهودية لاحتلال فلسطين ، وإعلانهم المشئوم لقيام دولتهم إسرائيل على أرض فلسطين المغتصبة (٤) ، يقول (٥) :

هـــدمنا القيـــصرية واتخـــذنا إلى هـــدم الخلافـــة ألـــف درب

---

(١) ديوان شعب الله المختار ، ص (٤٧) .
(٢) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .
(٣) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .
(٤) انظر : المؤامرة الكبرى ، للدكتور : يوسف نوفل ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، ٢٠٠١/١م ، ص (٥٦) .
(٥) ديوان شعب الله المختار ، ص (٤٨) .

وساد (الـــدونما) في جـــيش تـــركٍ لعـــزل خليفـــةٍ ولـــشنق عـــرب

ومنها – كذلك – إجبار الفاتيكان على تبرئة اليهود من دم المسيح ، فقـــد كانـــت الكنيسة تنظر إلى اليهودية على مدار القرون الماضية على أنها دين الماضي ؛ فهـــي لم تعـــد شريعة سارية بعد أن نسخها العهد الجديد ، كما اتهمت اليهود بأنهم قتلة المسيح ، واستمر هذا المفهوم حتى تمت تبرئتهم من دمه بواسطة بابا الفاتيكان (١) ، يقول (٢) :

أمرنـــا مـــن أردنـــاه فلـــبى وبـــرأ جرمنـــا في أمـــر (عيـــسى)
وخـــالف دينـــه ولـــرب يـــومٍ يقول بأنني مـــن ديـــن (موســـى)

ومن الأساليب الشيطانية سيطرتهم على صناعة السينما في (هوليـــوود) ، فالإنتـــاج والتوزيع السينمائي في هوليوود يخضع بالكامل في الخمسين سنة الأولى منذ نشأة الـــسينما لسيطرة اليهود المهاجرين من شرق أوربا ، وهي ما تـــزال تخـــضع حـــتى الآن لهـــم (٣) ، يقول (٤) :

فمـــن (هوليـــود) آلاف البغايـــا ذوات الحـــسن والفـــن البـــديع
لهـــن بكـــل قلـــبٍ ألـــف جـــرحٍ وســـحرٌ جـــاذبٌ مهـــج الجميـــع

ومن تلك الأساليب اعتناق بعض اليهود الإسلام ؛ لهدمه من الداخل ، فكثير منـــهم اعتنق الإسلام ظاهريًا ، وسعى لدراسته والتفقه في علومه ، حتى أصـــبح منـــهم الـــشيوخ والعلماء الذين يعلمون المسلمين كل ما يختص بشئون الإسلام ، ويفتون للمسلمين في كـــل ما يتعلق بشئون حياتهم (٥) ، يقول (٦) :

---

(١) انظر : التاريخ اليهودي العام ، لصابر طعيمة ، دار الجيل ببيروت ، ١٩٩١/٣م ، (٧٠/٢) .

(٢) ديوان شعب الله المختار ، ص (٤٨) .

(٣) انظر : اليهود العالمي ، لهنري فوورد ، بترجمة : خيري حماد ، دار طلاس للدراسات والنـــشر ، ١٩٩١م ، ص (١٦٢ – ١٧٠) .

(٤) ديوان شعب الله المختار ، ص (٥٠) .

(٥) انظر : التاريخ اليهودي العام ، لصابر طعيمة ، (٣٤/٢) .

(٦) ديوان شعب الله المختار ، ص (٥٢) .

كـــم مـــن يهـــودٍ خفـــاءٌ قـــد أســـلموا مـــن دهـــور
وبعـــد وقـــتٍ طويـــلٍ قـــادوا خطـــير الأمـــور

ومنها أسلوب الجاسوسية التي مكنت للجواسيس الحاذقين من التغلغل في أوساط العرب بأساليب خادعة تندُّ عن العقل ، يقول (١) :

(كـــوهين) قـــاد طـــويلاً أمورنـــا بالخفـــاء
مهـــاجرًا عربيًـــا مبرقعًـــا بالوفـــاء

ومنها إنشاء الجمعيات العالمية كالماسونية التي تضم كثيرًا من الشخصيات الحاكمة ، والشخصيات الفكرية والأدبية ، وأهل الفن في كثير من البلدان ، وما كان هدفها إلا القضاء على الأديان ، يقول (٢) :

بجمعيـــات ماســـون كنـــسنا ديانـــات الجميـــع بكـــل درب
لنـــسري وحـــدنا في كـــل نفـــس ونغـــسل غيرنـــا مـــن كـــل قلـــب

ومنها اتهام اللغة العربية بالتخلف ، وعدم ملاءمتها للتعبير عن روح العصر ، وأنها لا تستطيع أن تكون وعاء للمصطلحات العلمية ؛ لذلك طالبوا بإحلال اللهجات العامية مكانها ؛ وما ذاك إلا من أجل شق الصف العربي ، وفتل حبل الوحدة المتين ، يقول (٣) :

علـــى لغـــة العروبـــة كـــل يـــومٍ هجـــومٌ قاصـــدٌ شـــل البيـــان
ليـــصبح كـــل قطـــرٍ في حمانـــا غريـــب الفكـــر مختلـــف اللـــسان

ومن تلك الأساليب زرع كتاب في أوطاننا من أجل ترسيخ دعائم الكيانات القطرية للحيلولة بينها وبين الوحدة والاتحاد . يقول (٤) :

---

(١) ديوان شعب الله المختار ، ص (٥٢) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٥٣) .
(٣) المصدر السابق ، ص (٥٤) .
(٤) المصدر السابق ، ص (٥٦) .

كيانـــاتٌ هنـــا وهنـــاك قامـــت تحـــارب بعـــضها حـــرب الإبـــاده
وكتـــابٌ لنـــا مـــن كـــل لـــونٍ تفكـــك أو تـــذيب بنـــا الإراده

ويختم تلك الرباعيات بتحذير أمته مما يخبئه لها المستقبل من الأخطار ، فالداء الـدفين الذي شتت جموعنا وأضعفنا أمام الأمم الأخرى هو داء الغفلة ، يقول (١) :

ونحـــن بغفلـــةٍ عمـــا ســـيأتي ونـــسبح في شـــعارات الأعـــادي
فيـــا ويـــح الغـــد المرقـــوب إني أرى الأخطـــار تزحـــف كـــالجراد

ولا يجد مناصًا من أن يوجه الخطاب للقوة المهيمنة على العالم (أمريكا) ، يقول (٢) :

يـــا بنـــة المـــال لا يفيـــدك مـــالٌ يوم تصحو الـــشعوب يغـــدو رمـــادا
صاح بوق الجهاد في الـــشرق مهمـــا صغت حلفًـــا غـــدا يلـــبي الجهـــادا
أنـــت في حالـــة احتـــضارٍ فطيـــشي واملئـــي الكـــون ضـــجةً وحـــدادا

الشاعر – هنا – يبشر بقرب زوال هيمنة (أمريكا) على العالم ؛ لأن ســنة تــدافع الإمبراطوريات التي تسود ، ثم لا تلبث أن تضمحل ، هي جارية عليها لا محالة ، كما جرت على غيرها عبر تاريخ الإنسانية .

ومن القضايا التي عاشها الشاعر بقلبه ودمعه قضية الجزائر ؛ فما إن اشتعلت ثورتهـا الجهادية حتى أعلن تباشير النصر والظفر ، يقول (٣) :

يـــا بـــني العـــم في الجزائـــر صـــبرًا أسمعونـــا عـــن زحفكـــم أخبـــارا
يا بـــني العـــم في الجزائـــر بـــشرى إن ليـــل المـــنى ســـيبدو نهـــارا
يـــا أســـودًا مـــلأتم الكـــون زأرًا ومسختم فخـــر الفرنـــسيس عـــارا

---

(١) ديوان شعب الله المختار ، ص (٦٠) .
(٢) ديوان حنين الليالي ، ص (٥٤) .
(٣) ديوان علي دمر ، ص (٦٢ – ٦٤) .

يـــا بـــني العـــم في الجزائـــر إنـــا بكـــم نرفـــع الـــرؤوس افتخـــارا
مـــا (فرنـــسا) وحيـــدةٌ في لقـــاكم جنـــد أحلافهـــا غـــزوكم كثـــارا
ذهـــل الغـــرب كلـــه مـــن قـــواكم وكبـــار القـــواد بـــاتوا حيـــارى
لاح نجـــم الخـــلاص إمـــا ممـــاتٌ أو حيـــاةٌ مـــع الـــورى أحـــرارا

لقد أكثر الشاعر في هذه الأبيات من استعمال أداة النداء ، والمصادر ، وتلفع بتقريرية واضحة ، فخلت الأبيات من الخيال المجنح ، غير أن الشاعر استعاض بالنغم الخطابي المـثير للعاطفة ، وبالفخر بأبناء عمه ، ولا شك أن الأبيات تفيض بمشاعر الحب والفرح .

وحين تم النصر كان حاضرًا بقلبه ودمعه وفرحه وشعره ، فقد رأى أن هذا النصر أول تباشير العودة لساح الوغى ومسرح الأبطال ؛ لهذا راح يبشر أجداده – علهم يـسمعون – بنصر الجزائر ، يقول (١) :

ارفـــع لأجـــدادي البـــشائر ارفـــع لهـــم فـــتح (الجزائـــر)
أخـــبرهم أنـــا رجعنـــا نـــا مثلـــهم حمـــر البـــواتر
أنـــا رجعنـــا للفتـــو ح وللجهـــاد وللمنـــابر
أنـــا رجعنـــا مثلـــهم نفـــنى ونهـــزم كـــل كـــافر

اعتمد الشاعر في الأبيات السابقة على النفس الخطابي المنبري المناسـب للحـدث ، ولتلك الحقبة الزمنية ، وقد دفعته عاطفته التي أحاطها الفرح إلى تكرار الألفاظ والمعـاني في القصيدة .

وأبرز ما في القصيدة تلك الأبيات التي نبه فيها على أمر خطير وقع بعد النصر وهـو الخلاف الذي وقع ، يقول :

أبنـــاء عمـــي في (الجـــزا ئـــر) نـــصركم هـــز المـــشاعر
لا تزعجونـــا بـــالخلا ف بعيـــد أعيـــاد البـــشائر

(١) ديوان علي دمر ، ص (٦٥ – ٦٧) .

داء الخـــــلاف أذاب أكـــــــ ـــــــبادًا وأجهـــــز في المرائـــــر
هـــــو علـــــة الفـــــشل القديـــــ ـــــــم وعلـــــة الفـــــشل المعاصـــــر
أفـــــــنى بأنـــــــدلسٍ الجـــــــدو د وفي (فلـــــــسطين) العـــــــشائر
ســـــبعٌ مـــــن الـــــدول الفتيـــــ ـــــــية نثرهـــــا كـــــف نـــــاثر
هـــــو علـــــة العلـــــل الخفيـــــ ـــــــية علـــــة العلـــــل الظـــــواهر
هـــــو مكمـــــن الـــــداء الوحيـــــ ـــــــد ومـــــا لنـــــا إلاهٍ قـــــاهر

بهذا النداء المفعم بمعاني الحب والإخاء ، يصوغ الشاعر خوفه الشديد من الخـــلاف في أساليب توحي بأن الشاعر كان مدركًا أن محرقة النصر الخلاف ؛ لذلك راح يلح على هذا المعنى ، ويؤكده ؛ ظنًا منه أن شعب الجزائر يستمع إليه ، فبدأ باستخدام أدوات الإقنـــاع ؛ ليطمئن أن هذا الخلف قتلته الحجة الواضحة .

ويختتم الشاعر القصيدة ببارقة الأمل التي كان متشبثًا بها إلى آخر حياته ، يقول :

إني لألمـــــح ألـــــف عيـــــ ـــــــدٍ بعـــــد أعيـــــاد الجزائـــــر

والشاعر يعتبر هذا النصر مؤشر انتحار الآلة العسكرية اليهودية .

ومن القضايا التي تطرق إليها الشاعر : قضية العدوان الثلاثي عـــام ١٩٥٦م علـــى الجمهورية المصرية ، فقد نظم قصيدة ليلة الهجوم الغادر على قلـــب العروبـــة ونبـــضها ، يقول (١) :

لا ارتحـــت في نـــومٍ ولا بـــسهادٍ وهنـــاك تقـــذف باللـــهيب بـــلادي
من لي بـــبعض النـــوم طـــار كـــأنني أصحو وأرقـــد فـــوق شـــوك قتـــاد
لا كانت الأنباء ما أقـــسى الـــصدى لمـــا ينـــادي بالـــدماء منـــادي
كيف الصغار هناك إن قـــذفت بهـــم في الليـــل قاذفـــة اللظـــى الوقـــاد
والأمهـــات الآمنـــات إذا ارتمـــت حمـــمٌ مـــن الأجـــواء والأرصـــاد

(١) ديوان علي دمر ، ص (٧٠ - ٧٢) .

ويلي أأحظى بالرقاد وفي الوغى أولاد عمي ما حظوا برقاد
الزاحفون على الرمال دماؤهم تسقى رماهم بيوم تنادي
قالوا الجهاد وكبروا وتقدموا لم يبخلوا بالروح يوم جهاد

تبدأ القصيدة بعرض الحالة التي كان عليها الشاعر ليلة العدوان ، فالنوم قد غادر عينيه ، فتأسره ذكرى الحروب التي خاضتها بلاده ، فيطلق استفهامه من مدفعه الذي نصبه في فؤاده ، فالشاعر يدرك أن أول وقود تلك المجزرة هم الصبية والأمهات ، ثم يجيب عن استفهاماته التي أطلقها أول القصيدة ، فمغادرة النوم من عينيه كان بسبب إنساني ؛ حيث كان مشاركة لأبناء عمه الذين ما عرفوا النوم مع أول قذيفة .

والشاعر لا يكتفي بتصوير الواقع المأساوي ، وإنما يرتقي صهوة الأمل ؛ إذ يقول :

لا لا فإني ألمح الأمواج في كل الجهات حواضرًا وبوادي
الساعة الكبرى دنت شاراتها والفجر فجر شروق يعرب هادي

تنطلق (لا) من فوهة قلب الشاعر ؛ لتؤكد بتكرار تعضده نظرة مستقبلية لمستقبل الأمة حضنها تاريخها الذي ينضح بمآسي أكبر وأجل ، وتجاوزتها ؛ حينما استمدت قوتها من تعاليم الإسلام ، فالشاعر يرى أن المسلمين يرفضون هذا العدوان وغيره من هوان ، فيعلنون اتحادهم ويزحفون من بواديهم وحواضرهم ، وزحفهم يشبه الأمواج حينما تندفع في اتجاه واحد .

ومما يلمح في هذه الأبيات رد العجز على الصدر المعنوي .

وحينما قرأ في الصحف أن بلاد اليمن تعمها الفوضى ، ويقسمها الاضطراب ، أدرك أن الدمار سيكون ضيفًا ثقيلاً عليها ، فقد دعته الفتنة التي أسهم في تكويرها وتقاذفها – كلما دعت الحاجة إلى سلب عقول الشعب – قوم دأبوا على إذكاء نار الفتنة ، يقول في قصيدة : (أغنية إلى اليمن) كتبها في حماة في ١٩٤٨/١٠/١٩م [١] :

(١) ديوان علي دمر ، ص (٥٤ – ٥٥) .

دفعتـــــهم عمـــــائمٌ وســـــيوفٌ ... للمنايـــــا ونخـــــوةٌ عربـــــاء
كم أذاقوا الخصوم حربًـــا ضروسًـــا ... حـــين جـــاروا وأســـرفوا وأســـاءوا
إيـــه (صـــنعاء) أم يعـــرب مهـــلاً ... فرقتـــــك الـــــولاة والخلفـــــاء
لا تفـــوري تعاديًـــا فبـــنفس الـــــ ... ـــخـــصم ممـــا فعلتـــه اســـتهزاء
لا تعيدي (صـــفين) فـــالجرح بـــاقٍ ... لم تـــــضمده نعمـــــةٌ وهنـــــاء
إيه عرب الجنوب صـــبرًا فـــإن الـــــ ... أمـــــر لله يـــــصطفي ويـــــشاء
أتـــراق الـــدماء فينـــا وقامـــت ... في فلـــــسطين نكبـــــةٌ حمـــــراء
يـــا رعـــى الله للعروبـــة مجـــدًا ... مزقتـــــه الخـــــصومة الـــــشنعاء

لا تعدو هذه الأبيات أن تكون سردًا لواقع الحال ، تخلو من الأغوار الفكرية في معالجة الفتنة ، غير أنها حملت في طياتها برقيات عاجلة للشعب اليمني ؛ للتنبيه لمغبة هذه الحروب ، فالشاعر يذكر بفتنة (صفين) ، ويرجع أسباب تساقط أمجاد الإسلام إلى التنافس والعداء ، ثم يتخذ من استفهامه التعجبي وسيلة لإنكار تلك الأحداث ، فهو لا يتصور أن يـصطرع العرب ونكبة فلسطين شاخصة أمام أنظارهم .

ولا يجد الشاعر بدًا من أن ينبه في خاتمة القصيدة إلى المشروع الصهيوني على طريقـة دمر في كشف مخططاتهم :

كـــم يرجـــون أن نكـــون شـــتاتًا ... لـــيس فينـــا تـــآلفٌ وإخـــاء
نتفـــانى علـــى العـــروش وتجـــري ... في ربانـــا علـــى الخـــصام الـــدماء

وفي قصيدة أخرى بينها وبين القصيدة السابقة أرقام من السنين يتجلى فيها الخـوف على مصير اليمن ، وتذكير بأمجاد الأجداد ، وتنبيه إلى أعداء الأمة ، يقول (١) :

يـــا جنـــوب الجزيـــرة صـــبرًا ... في ميـــادين يعـــرب يـــا جنـــوب
أنـــا مـــن آخـــر الـــشمال ولكـــن ... لفـــؤادي إلى الجنـــوب وجيـــب

(١) ديوان علي دمر ، ص (٥٦ – ٥٨) .

أمنـــا الـــضاد والفخـــار أبونـــا ... والبطـــولات ســـفرنا المكتـــوب
كم على مـــسلك النجـــوم مـــشينا ... وعلـــى الـــشهب ذيلنـــا مـــسحوب
في (فلسطين) في (الجزائر) في كـــل ... ل مكـــانٍ بـــه دخيـــلٌ مريـــب
والخلافـــات بيننـــا أشـــعلوها ... كـــي يعيشـــوا وطرفنـــا معـــصوب
نتعـــادى وخـــصمنا في حمانـــا ... رابـــضٌ ســـاخرٌ ســـلته القلـــوب
بأســـنا بيننـــا شـــديدٌ ولكـــن ... في ميـــادين غاصـــبينا نـــذوب
إنمـــا النـــار مطهـــرٌ للخطايـــا ... بعد عصف الـــنيران تحيـــا الـــشعوب

لم يستنبط الشاعر في هذه الأبيات المعاني البكر ، وإنما راح يأخذ المعـــاني المـــشتركة الشائعة ، فأمه الضاد ، وأبوه الفخار ، وهو يمشي على مسلك النجوم ، ثم يعرض صورًا من مآسي الأمة ، ويختم برأي يخصه مفاده أن حياة الشعوب تخرج من شرنقة الحرب .

وحينما دب الخلاف والشقاق بين الفرقاء في لبنان عام ١٩٧٥م ، فاحتكموا إلى قوة السلاح كان دمر حاضرًا بقلبه ولسانه (١) :

أمـــا تـــرى (بـــيروت) في دماهـــا ... مـــن غـــير قـــانونٍ ولا عقـــاب
نمـــوذج الإنـــسان دون خـــوفٍ ... وحـــشٌ رهيـــبٌ في شـــعاب غـــاب

وفي إحدى رباعياته يوجه خطابه إلى بيروت التي ورثت العلوم ، متعجبًـــا كيـــف لم تستطع العلوم أن تنهض بمن يقيم في بيروت ، يقول (٢) :

(بـــيروت) يـــا حـــضارة العـــصور ... وارثـــة العلـــوم في الـــدهور
مـــا اســـطاعت العلـــوم أن تـــصفي ... إنـــسانك المطلـــي بالقـــشور

لقد نجح دمر في مواكبة الأحداث التي ألحت عليه ، فشارك إخوانـــه في مـــصابهم ، وأشعرنا أنه مكون من مكونات تلك الأحداث ، وخيط اختلط في نـــسيجها ، ولكنـــه لم

(١) ديوان رباعيات علي دمر (مخطوط) ، ل (١٠١) .
(٢) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

يستطع في كثير من هذا الشعر أن يواكب بأدواته الفنية طرحه الموضوعي ، فـــشاهدناه في كثير من هذا الشعر يعزف على الوتر الخطابي المنبري ، ويكسر ريشته الـــتي لم تـــستطع أن ترسم صورًا معبرة إلا ما ندر ، فانطفأ وهج الشعر وحرارة تأثيره .

❖ ❖ ❖ ❖

المبحث الثاني

شعر القضايا الوطنية

هو الشعر الذي يتعرض للوطن ، ويصور آماله وآلامه ، ويتغنى بأمجاده في حاضره وماضيه ، ويشيد بموقفه إزاء الأحداث المختلفة ، ويتناول مناسباته الوطنية ، والاجتماعية (١) .

وقد عرف القدماء هذا اللون من الشعر ، وظهر في أدبهم على صورة حنين ، لكنه كان لا يعدو أبياتًا متناثرة ، يذكرها الشاعر في قصيدته ، بمعنى أنه لم يكن غرضًا قائمًا بذاته . ومدلول كلمة وطن عندهم تختلف عما هي عليه الآن ، فالوطن عندهم لا يعني الرقعة الجغرافية التي يولد فيها الإنسان ، ويترعرع عليها ، بل كان يعني المنزل الذي ينزل فيه المرء مع أهله وقبيلته ، ومجتمعات العرب قديمًا كانت تقوم على أساس قبلي بشري لا جغرافي مكاني كما هو الحال في عصرنا الحاضر (٢) .

والمطلع على الشعر السوري الحديث ، يجد أن الشاعر السوري ربط عطاءه الشعري بآمال شعبه وآلامهم ، منذ فجر النهضة الحديث في أواخر العهد العربي ، ومرورًا بالعهد العثماني ، ثم بالعهد الاستعماري الفرنسي ، ثم الاستقلال ، ثم النكبات العربية المتتالية في فلسطين ، وبعض بلدان العالم العربي الأخرى ؛ مما جعل التغييرات السياسية المتتابعة على القطر السوري تؤثر في توجيه الشعر وإشعاله .

فالشاعر السوري يفضل الشعر الذي يرى عليه الآثار الوطنية ؛ لأنه في صراع

---

(١) انظر : رجل الصناعتين – شفيق جبري – ، للدكتور عبد الله بن سليم الرشيد ، مكتبة التوبة بالرياض ، ١٤١٥/١هـ ، ص (٩١) . والأدب الحديث تاريخ ودراسات ، للدكتور محمد بن حسين ، دار عبد العزيز بن حسين للنشر والتوزيع ، ١٤١٩/٦هـ ، (١١٩/١) .

(٢) انظر : الشعر المعاصر في نجد ، للدكتور حسن الهويمل ، مطابع الفرزدق بالرياض ، ١٤٠٤/١هـ ، ص (٢٣٧) .

ونضال ، فهو يستخدم الشعر حتى يقوي فيه هذا الصراع ، وهذا النضال (١) .

إذًا فليس غريبًا أن نلحظ تلك التوأمة بين الشاعر ووطنه ، والتحامه بذرات ترابه ، خصوصًا إذا ما علمنا أن الشاعر قضى نصف عمره مغتربًا عن وطنه ، وهو – أيضًا – ابن لمحافظة لها خصوصيتها الاجتماعية ، والأدبية ، والسياسية .

ودمر أحب وطنه حبًا عنيفًا صادقًا ، ضاعفه وعمقته غربته ، ونأيه عنه ، يقول (٢) :

وطني المحبب سوريا وعشيرتي ... أهواه مهما عقني وقلاني
فيه لمعدوم الشعور كرامةٌ ... وبه لرب الشعر كل هوان
يذوي به فن الأديب كما ذوى ... في الروض من ظمأٍ جنى الأفنان
وله هفت روحي على علاته ... تشتاق للأحباب والأخدان
وتعيش في وهم الخيال بجوه ... برؤى الخمائل أو صدى الغدران

إن وطنه سورية في عينيه ، وفي قلبه ولسانه ، يحن إليه حنين الملهوف ، ويذوب شوقًا إليه ، ويتألم لما يلم به من نكبات ، مهما عقه وطنه وقلاه ، وكأني به متأثر لكنه غير ثائر ، ومعاتب لكنه محب .

ودمر كان أحد فرسان الكلمة ، فقد تلظى حماسة في وجه الاحتلال الفرنسي ، منذ بداية جثومه على صدر بلاده ، يقول (٣) :

أختاه مهما أسرف استعمارنا ... سأخيفه بعقيدتي ونضالي
قولي لهذا الغرب في طغيانه ... صحو الشعوب يهيج في الإشعال
مهما استقر العسف بالإذلال ... لا بد أن يهوى لشر مآل
مهلاً (فرنسا) سوف نظفر بالذي ... نرجوه من حرية استقلال

---

(١) انظر : مقال بعنوان : (صور مصرية) ، لشفيق جبري ، مجلة الحديث ، يونيو ١٩٣٤م . منقول من كتاب : رجل الصناعتين ، للدكتور : عبد الله الرشيد ، ص (٩١) .

(٢) ديوان حنين الليالي ، ص (٦٧) .

(٣) ديوان علي دمر ، ص (٣٧٨) .

أبيات وطنية ثورية أسهمت الموسيقا في إبراز فكرتها على الرغم من بساطة في اللفظ وشرف المضمون . ونلاحظ فيها الرفض والنقد ، والتعالي على روح الذل ، والرضوخ الذي شاع بين مواطنيه ، ومما يؤكد هذا الشعور أن الشاعر كتب هذه الأبيات وهو في المعتقل .

ولا ينسى الشاعر دورَ أبناء بلدته (حماة) في طرد المستعمر الفرنسي ؛ لهذا راح يُعرِّض بالموقعة التي أصلوا فيها المعتدي ذلاً وهوانًا ، يقول [1] :

سلوا (فرنسة) عنا يوم أن عصفت ... بها الكماة فلا عطفٌ ولا لين
كأننا في (حماة) حين ننسفها ... زلازل الأرض هاجتها براكين
حانت لنا وقعةٌ (حمراء) طائشةً ... للخصم من نارها ذل وتوهين
وللسيوف صليلٌ في مجازرها ... وللرصاص أهازيجٌ وتلحين

هنا محاكاة للقدماء في اعتماد الأسلوب الخطابي المنبري ، والفخر بالأمجاد ، فالأبيات لا تخلو من الزخم الخطابي ، ومن تطاول بمفاخر الانتصار ، ولغة تتراقص على ألحان عزف الرصاص ، فالكماة يعصفون بالعدو ، والسيوف لها صليل ، والرصاص يهزج في المعركة .

ورفض الشاعر للاحتلال الفرنسي يظهر في كل سانحة ، فهو يتخذ من مدحه لأبطال الوطن في سورية من مثل : سعيد العاص [2] ، وفوزي القاوقجي [3] ، سبيلاً إلى إنهاض الهمم ، وتذكر الأمجاد ، يقول [4] :

سل (فرنسا) و (تركيا) عن (سعيدٍ) ... عن ميادين ثائرٍ زواد
سل (يهودًا) و (الإنجليز) وما لا ... قوه منه على ربى الميعاد

---

(١) ديوان رعشات ، ص (٨٥) .

(٢) **هو** : سعيد العاص (١٨٨٩ - ١٩٣٦) ، ولد بحماة ، عين ضابطًا في الجيش العثماني ، وكان من زعماء الثورة السورية . أبطال وأمجاد ، لعدنان الداعوق ، ص (٥٠) .

(٣) فوزي القاوقجي تقدمت ترجمته ص (١٧٢) .

(٤) ديوان علي دمر ، ص (٨٦ - ٨٧) .

مـــلأ الـــسهل والجبـــال جحيمًـــا تحرق الخـــصم في الـــوغى والجـــلاد
لا يبـــــالي طوفـــــانهم يتلقـــــى كـــــل جـــــيشٍ بقلـــــة أفـــــراد

ودفعه حبه لهذا البطل إلى التقليل من بطولة الصحابي الجليل : خالـــد بـــن الوليـــد - رضي الله عنه - ؛ حينما قال :

(خالد بن الوليـــد) لم يلـــق مـــا لا قى (ســـعيدٌ) مـــن قلـــةٍ وانفـــراد
(خالدٌ) خلفه جميـــع جيـــوش الـــــ ـــــعرب يقـــوى الإنجـــاد بالإنجـــاد
و (سعيدٌ) بقلةٍ خاض حرب العـــــ صـــــر عـــــصر الإبـــــراق والإرعـــــاد

والشاعر حينما أقحم نفسه فيما لا يفقه فيه يقع في الخطأ . وإني لأعجب من هـــذه الموازنة الظالمة التي تفوح منها السذاجة ؛ إذ لا يعقل الموازنة بين قائدين تفصل بينهما أرقام من السنين ، وهما من عصرين مختلفين ، فلكل عصر أساليبه القتالية وأدواته الحربية ، وقيادة خالد بن الوليد - رضي الله عنه - تبهر كل قائد عسكري ؛ إعجابًا بها وتقديرًا لمزاياها ، وخططه الحربية في معاركه مثار إعجاب الشرق والغرب ، فهو أول قائد عسكري يدخل نظام التعبئة في الجيش ، كما استخدم الحرب النفسية في إنهاك الروح المعنوية للعدو وتحطيم مقاومتـــه ، وكان يبتكر خططًا جديدة في كل معركة أو عملية أو حرب يخوضها ، تتوافق مع فن إدارة العمليات القتالية والظروف السائدة أثناءها إن كان من حيث العـــدد أو العتـــاد اللـــذين يمتلكهما العدو ، أو من حيث الموقع أو الحشد النفسي أو ظروف التحالفات (١) . ولكن ما يحمد للشاعر تغنيه بأمجاد وبطولات خالد في قصائد أخرى .

وقد أعد قصيدة لتلقى في الاحتفال الترحيبـــي بمقدم البطل فـــوزي القـــاوقجي إلى (حماة) ؛ إثر عودته من أوربا بعد الحرب العالمية الثانية ؛ ولكن حالت ظروف دون وصول فوزي إلى حماة ، يقول (٢) :

---

(١) انظر : خالد بن الوليد ، لمحمود عبد الحميد الكفري ، دار حوران للطباعة والنشر ، ١/٢٠٠٢م ، ص (١٧-٢٣) .

(٢) ديوان علي دمر ، ص (٩١) .

سلوا القفر عن (فوزي) أكانت بطاحه ... تهلل لما يستقل به القفر
سلوا الليل عن (فوزي) أكانت نجومه ... تزغرد لما يستضيء به الفجر
سلوا البر عن (فوزي) أكانت أسوده ... تفر إذا ما ضاق عن جنده البر
سلوا البحر عن (فوزي) أكانت مياهه ... تئن إذا ما كل عن حمله البحر
سلوا (الإنجليز) الهائبين نزاله ... أكان لفوزي الفوز في الحرب والنصر
سلوا القدس هل يبكي (اليهود) مخافةً ... إذا رن من (فوزي) بأسماعهم ذكر
تنوح (فلسطين) الجريحة باسمه ... ويهفو إليه القاع والرمل والصخر

إن في هذه الأبيات إيحاء على الرغم من تقريريتها الواضحة فيها ، فكأن الشاعر يريد أن يقول : إن الشام ولادة للأبطال الأشاوس ، ومنهم فوزي الذي قاتل في الصحراء ، وفي الليالي الحالكة ، الإنجليز القادمين من البحر ، ومما يؤكد هذا الاتجاه قوله :

يحييك في وادي حماةٍ بواسل ... إذا ذكروا الماضي فأنت به فخر
هم دحضوا بالأمس جيش (فرنسة) ... وكان لهم يوم تداعى به الكفر

وينقلنا الشاعر إلى مرسم الحرب ، ومن حوله لوحة معبرة عن تجربة إنسانية ، عاشها في ليلة ، كان صوت المدفع يشق صمتها ، يقول [1] :

ولم أنس يومًا بالعواصف معولاً ... يغني لديه المدفع المتـرنم
على أفق الشام الجميل تناثرت ... صواعق تخشى من لظاها جهنم
فهرولت أستعطي سلاحًا فلم أجد ... فسرت وروحي ثورةً تتضرم
وإذ ضمن خانٍ صوت شيخ مضرجٍ ... يصيح إلي الآن يا ناس وارحموا
فزحزحت باب الخان عنه فلم أجد ... سوى صوته في ظلمةٍ يتلعثم
فأشعلت عودًا من ثقابٍ وإذ به ... ببحر دماءٍ فائرٍ يتألم
فناديت (كشافًا) وسرنا بنعشه ... لسيارةٍ ملأى بجرحى تغمغم
نساءٌ وأطفالٌ ثووا في بيوتهم ... فصب من الجو اللهيب عليهم

(١) ديوان علي دمر ، ص (٦٨) .

يئنون صـــرعى والجـــراح نـــوازفٌ وخضبٌ بوجه الأرض مسكٌ مكـــرم

تتميز هذه القصيدة بالرؤى الصورية ، فالصورة الأولى صورة الشام التي أضاء أفقها ؛ بسبب القذف من الجو والبر ، والصورة الثانية صورة الشيخ الذي جثم على صدره بـــاب الخان ، وهو غارق في بركة من الدماء ، والصورة الثالثة صورة النساء والأطفـــال الـــذين سقطوا في أول المعركة .

إن الشاعر في هذا النص ينطلق من ثورة النفس ، وفوران العاطفة ؛ لـــذلك شـــعرنا بتدافع أبيات القصيدة وهياجها ، وصخب الموسيقا ، وما ذاك إلا لإيقاظ الضمائر ؛ حينما يعرض أمامها مشاهد الدمار والفتك .

وألمح شجاعته وشهامته في آن واحد ، فشجاعته ظهرت حينما طلب السلاح ليقاتل ، وظهرت شهامته في إسعاف الشيخ الكبير المضرج بالدماء .

ويفاخر الشاعر بالإنجاز الكبير الذي حققه أبناء وطنه في معركة الاستقلال ؛ حينمـــا أصروا على رفض الأحلاف والمعاهدات ، يقول [1] :

ولقد يـــسير علـــى طريـــق المجـــد في ظـــل الحـــضارة ثابـــت الأركـــان
بـــشبابه الـــراني لآفـــاق العـــلا بـــالعلم والخلـــق الأصـــيل البـــاني
هم قـــاوموا فيـــه الطغـــاة وجففـــوا ســـبل الفـــساد بيقظـــة الـــشجعان
لم يبـــق فيـــه لطـــامعٍ متـــسلطٍ أمـــلٌ ولا لمغـــررٍ شـــيطان
خدعت شـــعوب الأرض إلا شـــعبنا بعهـــود حـــربٍ أو عهـــود أمـــان
فلـــتعلم الـــدنيا بأنـــا أمـــةٌ خلعـــت قيـــود الـــذل والإذعـــان
نبغي خلاص الكون من نـــار الـــوغى لنعـــيش في الـــسلم الهـــنيء الحـــاني

لقد وفق الشاعر في هذا النص في اختيار الكلمات التي توائم المعنى المقصود ؛ فمـــثلاً قوله : (جففوا سبل الفساد) ، و (خلعت قيود الذل) .

---

(١) ديوان حنين الليالي ، ص (٦٨ – ٦٩) .

وألمح في البيت الأخير نقاء سريرته والتزامه بالمبادئ الإنسانية والمثل العليا ، فالشاعر يريد خلاص الكون من الحرب ؛ لأجل عيش أفراده في الأمن والسلم .

وتغنى دمر بصمود بلاده في وجه إسرائيل ، وأكبر منها يقظتها لما يدور من حولها . يقول (١) :

شمخت في زحمة التيار صامدةً ... تذوب حولك أمواجٌ وشطآن
رسخت يا سوريا كالطود إذ عصفت ... به الأعاصير أو حفته نيران
إسرائيل طامعةٌ بالعرب ما وجدوا ... وأرضهم لبني صهيون أوطان
بئس الجوار على جنبيك قد مكروا ... وبئس دافعهم والقصد عدوان
كم من مؤامرةٍ حيكت وما نجحت ... مع أن حائكها في المكر شيطان
ظنوك غافلةً عنهم وهم غفلوا ... الشعب يحرس والربان يقظان
كأن شعبك في عد وفي عدد ... بحرٌ من البأس والفولاذ غضبان
حمدت يا سوريا رغم الخطوب ولا ... يثنيك بعد مراد الله إنسان
في وقفة أعين الدنيا بها جمدت ... مرعوبةٌ وضمير الخصم حيران
تنهار من حولك الأبراج هاويةً ... وأنت بين ردى الأنقاض عمران
كل الخصوم غضابٌ لو بغوا لغدوا ... كأنهم حين بدء البغي ما كانوا

تغلب التلقائية على القصيدة ، فالشاعر يخاطب بها الجماهير ، فخلت من الإبهام والإغراب ، وازدحمت فيها العاطفة ، وتعاطف الجماد ، فأسفر عن غضب الفولاذ . والنص يرفعنا إلى جو من النشوة تعاونت في إيجاده الموسيقا والفكرة والصورة ، فأعطت نصًا جماليًا متناسقًا يفرض جماله . وأما الوثبة الشعرية ، والبعد المعنوي ، والتصوير الرائع ففي قوله :

تنهار من حولك الأبراج هاويةً ... وأنت بين ردى الأنقاض عمران

والشاعر لا ينفك – أبدًا – من دعوة الشعب إلى الاتحاد ، ورفض الإقطاع

(١) ديوان علي دمر ، ص (٧٦ – ٧٧) ، وفي البيت الثالث زيادة الخزم .

الاقتصادي ، والخروج على الحاكم الغاشم . ففي قصيدة (معركة) . يقول [1] :

وليلةٌ بت فيها بالعذاب كمن ... يبيت والشوك في جنبيه والإبر
لم تغمض العين إلا عاد يوقظها ... لسع البراغيث حتى أقبل السحر
رأوا فراشي أوطانًا لهم سلبت ... فطاردوني وما كلوا وما ضجروا
أجروا دمائي وأحيوا في الدجى سهري ... فقلت يا قوم إن أذنبت أعتذر
ورحت أطلب صلحًا أو مهادنةً ... لكنهم باشروني اللذع وابتدروا
ثم انهزمت تلك الحرب واستلموا ... ذاك الفراش وحازوا العز وانتصروا
كأنني ملكٌ يطغى بسطوته ... في أمةٍ ضخمةٍ تشقى وتفتقر
أراد شعبهم طردي فحققه ... ونال ما شاء حتى صفق . . .
كأنني عصبة الإقطاع في بلدٍ ... تمتصه وفلول الشعب تحتضر
كأنني ساسة المستعمرين إذا ... ما استحكموا غفلةً بين الورى غدروا

إذا رحنا نتأمل هذه الأبيات ، فلا بد من أن نفرض أن الشاعر هو الحاكم المستبد أو المستعمر الغادر أو الطبقة المخملية المتنفذة ، والبراغيث هم المستعمرون ، والشاعر يريد من خلال عرضه لهذه المعركة أن يقول : إن وسائل الانتصار في مثل هذه المعركة هي : اتحاد الشعب ، وعدم النظر إلى دعاوى التمزق المتمثلة في التحزب ، والإصرار وعدم الاستسلام ، وتوحيد الكلمة ، والاجتماع على رجل واحد .

وألمح في النص رؤية سياسية ، وقراءة تاريخية ، فالبيت السادس فيه تصوير لألاعيب المستعمر ، فحينما يرى أن الشعب ثار ، يخدره بالاعتذار وعدم تكرار الأخطاء ، ومن ألاعيبه الجنوح للسلم والهدنة في حالة الضعف والتقهقر . والبيت السابع يمثل هذه الرؤية .

ومن أبرز المحاور التي دار حولها شعره الوطني : الحنين إلى الوطن [2] :

أحن إلى جنات (دمر) كلما ... رأى القلب ما ينشي هواه ويطرب

(١) ديوان حنين الليالي ، ص (٨٥ – ٨٧) .

(٢) ديوان علي دمر ، ص (٤٦٥) .

هنـــاك لروحـــي ذكريـــاتٌ حبيبـــةٌ إذا عاودت تذكي غرامـــي وتلـــهب

ويقول (١) :

يا (حمص) يا زهر الخمائل في الندى واهًا على تلك الـــرؤى لـــو ترجـــع
غادرتهـــا فـــصهرت فيهـــا أضـــلعي ويح الهوى كم فيـــه ذابـــت أضـــلع

والشاعر إذا كان – فيما سبق – يحن إلى الوطن ومدنه ، فهو يحن إلى طبيعة الوطن ، ويشتد هذا الشوق حينما يرسل الدمع ، يقول (٢) :

بلغـــوا أدمـــع النـــواعير عـــني أن أدمعي مـــا قـــل عنـــها انتحابـــا
وحنـــــيني حنينـــــها غـــــير أني في ذهـــابٍ ومـــا تطيـــق ذهابـــا

بهذين البيتين المغموسين بدم القلب الموجوع ندخل إلى ساحة أحزان دمـــر الغارقـــة بدموعه الفاقدة ووجعه الأبدي على بعده عن وطنه ، فيستعين بلفظة (بلغوا) ؛ لتمكنه من تذويب المسافة الفاصلة بينه وبين وطنه ، تلك المسافة الممتدة التي تناغمت مع امتدادها المدود بالألف .

ويلتقي الحب والشوق واللجوء ؛ حينما يلاقي الشاعر في غربته العناء ، فدمر تعلـــق بوطنه تعلقًا وجدانيًا ممتزجًا بلوعة البعاد والافتقاد ؛ لأن ظروفـــه اضـــطرته إلى مغادرتـــه والمكوث سنوات بعيدًا عنه ، فتاقت روحه إلى الرجوع إليه خوفًا من أن يلقـــى الأتـــراح خارجه ، يقول (٣) :

أين نمضي يا والـــدي في الـــصحارى ولمـــاذا هـــذا العنـــاء المـــاحي ؟
(ســـوريا) يـــا أبي لمـــاذا نواهـــا إن عيش الغريب كـــبش الأضـــاحي
الوقوف الوقوف يا حـــادي الركـــــ ـــب وخفف من محـــنتي والتيـــاحي

(١) ديوان علي دمر ، ص (٤٦٢) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٣٩٥) .
(٣) المصدر السابق ، ص (٤١٠) .

الرجـــوع الرجـــوع نحـــو بـــلادي قـــد كفانـــا مـــا مـــر مـــن أتـــراح

يتكئ الشاعر في الأبيات السابقة على الاستفهام الحارق ، ويعضده ذلك التكرار الذي جسد بإتقان لجوء الشاعر إلى بلده .

وقد يتخذ هذا الحب والشوق مسارًا آخر حينما يتوجه الشاعر إلى عتاب وطنه [1] :

يـــا بـــلادي مـــا باختيـــاري هجـــرٌ غـــير أني جرعـــت فيـــك الـــسرابا
كـــم تمنيـــت أن تـــسيل دمـــائي فيـــك ذودًا ونخـــوةً وغلابـــا
لن تغـــيبي يـــا جـــنتي عـــن خيـــالي أنـــت زادي مهمـــا أطلـــت الغيابـــا
لا تلـــومي علـــى العتـــاب محبـــا عـــادة الحـــب أن يطيـــل العتابـــا

إن حب دمر لوطنه وانتماءه إليه جذوة اشتعلت في حناياه ، بالرغم من الغربـــة الـــتي طوحت به بعيدًا عن مسقط رأسه ، وظلت روحه تتنقل في بساتين حماة ، ولم تتمكن البلاد التي زارها من جذبه إليها ، ولم تستطع أن تنسيه أصالته ، أو تخفت تيار الحنين الجـــارف ، والجذوة المتقدة بحب الوطن ؛ لذلك راح يوجه عتابه من قلب محترق ، ومع هـــذا العتـــاب والأمنية فإن الاعتذار الرقيق لازم النص .

ودفعه حبه لوطنه إلى تمجيده ومدحه ، فتصبح سورية مهد العروبة ، وشامة الـــدنيا ، ومهوى قلوب العرب ، فهي مصنع للجمال والأمجاد ، وهي سفر من أسفار التاريخ [2] :

مهد العروبة إن العـــز مـــذ خلقـــت ربوعك الخضر في عطفيـــك ريحـــان
في الجاهلية والإســـلام أنـــت عـــلا زنـــودك الـــسمر للأمجـــاد أركـــان

ويقول [3] :

(١) ديوان علي دمر ، ص (٣٩٦ – ٣٩٧) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٧٧) .
(٣) المصدر السابق ، ص (٧٩ – ٨٠) .

يا شام يـا شـامة الـدنيا وبهجتـها ... مـا زال ثغـرك بـسام الأسـاريرِ
أنهـار جناتـك الخـضراء عازفـةٌ ... لحن السرور لدى أحلـى المقاصـيرِ
يا عزة العـرب في شـتى منـاطقهم ... كـم بـارك الله في آي وتـذكيرِ
ما زلت مهوى قلوب العرب أجمعهـم ... إلى ربوعـك يـسعى كـل محبـورِ
يـرى منابـت آبـاءٍ لـه سـلفوا ... يرى بـك الأم في عطـفٍ وتقـديرِ
تزهو العروبة بي إن قيـل لي سـوري ... إذ ينـسبوني إلى الأسـد المغـاويرِ

ونتيجة الانفعال العاطفي الذي كان يصاحب كتابة هذه القصيدة تسرب إليه الفخـر بأمجاد العرب :

ومن (دمشق) جيوش العرب زاحفةٌ ... للشرق والغرب موجًا مـن تباشـيرِ
الله غايـة هـذا الزحـف قائـده ... من المـآذن يـسري حلـو تكـبيرِ
الله أكـبر تجلـو كـل داجيـةٍ ... عن القلوب وتهـدي كـل تفكـيرِ
والفتح والعـدل والـدنيا مزغـردةٌ ... لموجـةٍ للبرايـا خـير تطهـيرِ

والشاعر لا ينسى الفخر بتضحية الشعب ، ويعرض بذوده ودفاعه عـن الـوطن ، يقول (١) :

جنـة الأرض يـا بـلادي وشـعبي ... حـارسٌ مـانعٌ يـرد اغتـصابا
ما توانى يومًـا عـن الـذود حـتى ... لـو يلاقـي العـدو ظفـرًا ونابـا

ويرسل الشاعر نداءه إلى وطنه في وعاء يملؤه الحب والشوق ، وينضح بأسباب بعـده عنه ؛ علَّ هذا الاعتراف يخفف ألم النأي والبعد ، يقول (٢) :

يا ربـوعي الـتي درجـت عليهـا ... حسبك الدمع من عيـوني انـسكابا
كم رغبـت الحيـاة فيـك ولكـن ... حاجة العـيش حطمـت لي الرغابـا

---

(١) ديوان علي دمر ، ص (٣٩٦) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٣٩٣ - ٣٩٤) .

كـــم تمنيـــت أنـــني فيـــك أحيـــا ولـــو أني أقتـــات فيـــك الترابـــا
غـــير أني أعـــول أشـــبال غـــابٍ مـــا تعـــودت أن يقـــاسموا العـــذابا

وتأمل قوله : (أشبال غاب) حتى تدرك تلك السوداوية التي كان يرى من خلالهـا المجتمع . والشاعر – هنا – يشحن الأبيات بالرغبة والأماني ، ثم يهوي بها علـى صـخرة الواقع ؛ كي يبددها .

ويرى الشاعر أن الدفاع عن الأهل والأوطان من أهم الواجبات [1] :

تستطيب الفداء غسلاً لعـار الـــ ـــذل مـــن غـــزوة العـــدو المـــشينه
أبـــشع المـــوت أن تعـــيش حقـــيرًا في بـــــلادٍ مـــــسبيةٍ مرهونـــــه

وحبه لوطنه لم يسلبه النقد في حالة مشاهدته للأخطاء ، بل ظهر في الوقت الذي كان يحتاج الوطن إلى من يوقظ فيه الشعور بمصير (الجولان) المحتل [2] :

ومصير (الجولان) يزحـــف ســـحقًا وغـــدونا عـــن زحفـــه لا نبـــالي
وكأنـــا نعـــيش حفـــل انتـــصارٍ لا كأنـــا نعـــيش رهـــن انحـــلال
الهتافـــات والغنـــاء ونجلـــو ألـــف عيـــدٍ بفرحـــةٍ واشـــتعال
أي عيـــدٍ بعـــد الهـــزائم يـــا قـــو م أعيـــد الهـــروب والانخـــذال
أي عيـــدٍ وكـــل يـــومٍ ضـــحايا والأعـــادي أعيـــادهم في النـــزال
أنا أبكـــي في عيـــدكم يـــا صـــحابي حـــين ألقـــى الزينـــات في تجـــوالي
أنـــا أبكـــي لمـــوت حـــس بـــلادي أنـــا أبكـــي لـــذلتي ومـــآلي

إن لهفته على وطنه ، وحرقته على مصير (الجولان) هي التي دفعته إلى هذا النقـد ، فالشاعر عاش همَّ الوطن ؛ بحيث امتلك عليه وجدانه ، فهو يحدد موقفه من تلك الأعيـاد ، ومظاهر الزينة .

---

(١) ديوان علي دمر ، ص (٣٣) .

(٢) المصدر السابق ، ص (٥١٦) .

وهذا النص يعتمد على المكاشفة والمصارحة ، يعضدهما ذلك الاستفهام الذي خـــرج عن حقيقته ، ومما رفع وتيرة النص ، ما كسا به الشاعر نفسه من الألم والبكاء الانفعالي .

ومن أبرز الأحداث التي خاضتها سورية ، وعاشها زعماؤها ومفكروهـــا وأدباؤهـــا بقلوبهم ؛ ومنهم الشاعر : الوحدة بين (مصر وسورية) في جمهورية عربيـــة واحـــدة ، في شباط (فبراير) ١٩٥٨م (١٣٧٧هـــ) [١] ؛ فقد وجدوا في هذه الوحدة الخلاص مـــن الشرور والمحن التي عمت البلاد ، منذ أن تدخلت الأحزاب اليسارية في الحكم ، وكـــذلك رأوا فيها قوة ضد أعدائهم ، وراح الشعراء السوريون والمصريون يرحبون بها ترحيبًا بـــالغ الحفاوة ، مستبشرين بمستقبل أفضل [٢] ، يقول [٣] :

ومصر والشام في التـــاريخ واحـــدةٌ صـــلاح قائـــدها والجنـــد شـــجعان

ويقول [٤] :

ووحدة العـــرب دوحـــاتٌ مظللـــةٌ في الشام في مصر خيرٌ والنيل يرويهـــا

(١) انظر : سورية ١٩١٨م – ١٩٦٨م ، للدكتور : جورج جبور ، ص (٨٩) .

(٢) الاتجاه الإنساني في الشعر المعاصر ، لمفيد قميحة ، ص (٢٥٩) .

(٣) ديوان علي دمر ، ص (٧٧) .

(٤) المصدر السابق ، ص (٧٤) .

الباب الثاني

سماته الفنية

وفيه أربعة فصول :

الفصل الأول : هيكل القصيدة .

الفصل الثاني : اللغة .

الفصل الثالث : الصورة الشعرية .

الفصل الرابع : الموسيقا الشعرية .

الفصل الأول

هيكل القصيدة

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : العنوان .

المبحث الثاني : المطلع .

المبحث الثالث : الوحدة .

المبحث الرابع : المقطع .

المبحث الأول

العنوان

أصبح من الأهمية بحيث لا يمكن تجاوزه دون أن يدرس دراسة نقدية . والعنوان مرشد دالٌ إلى النص أمام المتلقي ، وهو أول ما يقع عليه بصره وسمعه ، متقدمًا على مطلع القصيدة الذي لا يقل شأنًا عند النقاد القدماء .

ومن المُسَلَّمِ به أن " شعراء العربية الأقدمين لم يكونوا . . . [يضعون عناوين لقصائدهم] ، بل كان النساخ أو الشعراء أنفسهم يكتفون بذكر المناسبة في إشارة سريعة تتقدم القصيدة ؛ كقولهم : (قال . . . في مدح فلان) ، أو (قال . . . يصف كذا . . .) ، وربما سميت باسم لا يميزها إلا بالشهرة ؛ كسينية البحتري ، وبائية أبي تمام " (١) .

وفي إطار التطور الشامل الذي طرأ على الشعر العربي في العصر الحديث ، تأثر شعراء العربية في أسلوب عنونة قصائدهم بالنموذج الغربي الذي يعد العنوان أساسًا في النص الأدبي ، فعنوا باختيار العنوان المناسب لكل نص شعري من نصوصهم عناية كبرى ؛ ومما يدل على فرط ذاك الاهتمام بقاء القصيدة – أحيانًا – بين يدي الشاعر زمنًا دون عنوان ؛ أملاً في وصوله إلى ما يناسب فكرتها ومضمونها ، أو بنائها في أحيان قليلة ، مما يدل أن هذا الاختيار أصبح جزءاً من إبداع الشاعر ؛ ومن هنا استحق نظرة نقدية .

خص دمر جميع نصوصه بعناوين ذات مقاصد دلالية ؛ تختزل رؤاه نحو الحياة والموت والحب والبشرية . ونوع أساليبه اللغوية بما يخدم فكرته وحالته النفسية ، " فجاءت عناوينه مؤتلفة ناضجة حبلى بالمعاني والصنعة الجيدة " (٢) .

وقد تعددت صيغ عناوينه بين الإفراد ، والتركيب ، وتنوعت جمله بين اسمية

---

(١) البناء الفني في شعر عمر بهاء الدين الأميري ، للدكتور : خالد الحليبي ، نادي الأحساء الأدبي بالأحساء ، ١٤٣٠/١هـ (٢٠٠٩م) ، ص (٦٥) .

(٢) العنونة في شعر غازي القصيبي ، مقال ، للدكتورة : حسناء عبد العزيز ، جريدة الرياض ، العدد : (١٥١٧٥) ، ١٤٣١/١/١٠هـ ، ص (٥) .

وفعلية . كما تفاوتت هذه العناوين طولاً وقصرًا ، وجاءت في أبنية نحوية مختلفة منها : بنية الإفراد ؛ ومن ذلك : (قومي) ، و (العاصفة) ، و (اللاجئون) ، و (النازحون) ، و (الدخان) ، (الأتون) ، و (وحدتي) ، و (التلميح) ، و (التصريح) ، و (واحتي) ، و (الطلسم) ، و (اليقين) ، و (الجاذبية) ، و (الانهيار) ، و (الاختصار) ، و (الاستغفار) ، و (الاستمرار) ، و (رعشات) ، و (ظمأ) ، و (عقاب) ، و (لقاء) ، و (انطلاق) ، و (أهازيج) ، و (حواء) ، و (إيمان) ، و (يأس) ، و (سراب) ، و (ورقات) ، و (محال) ، و (عادية) ، و (صامتة) ، و (اعتذار) ، و (عتاب) ، و (قلق) ، و (أرق) ، و (خواتيم) ، و (غمغمات) ، و (حموية) ، و (ممرضة) .

وهناك عناوين تتألف ببنيتها النحوية من جملة اسمية ذات بنية إخبارية أو وصفية ؛ من ذلك : (أغنية إلى الجزيرة العربية) ، و (كوب الجمال في الكون) ، و (الحسن في أرضنا) [1] ، وهناك ما يتميز على المستوى البنية التركيبية بالحذف الذي يولد نوعًا من الغموض على المستوى الدلالي ، فالجملة الاسمية غالبًا ما تبدأ بخبر لمبتدأ محذوف تقديره هو أو هي أو هذه ، كما في العناوين التالية : (غريزة كفاح) ، و (ليلة حرب) ، و (أخيل العرب) ، و (شاعرة ساحرة) ، و (اللقاء الأول) [2] ، وهناك عناوين تبدأ بضمير المخاطب ؛ مثل : (أنت الربيع) [3] ، و (أنت ولدي) ، و (أنت ابنتي) ، و (أنت حبي) [4] .

تتراوح هذه المفردات بين التعريف والتنكير ، لكن أكثرها نكرات ؛ لأن المعرفة خاصة ومحددة ، أما النكرة فعامة ، ودلالتها مفتوحة على احتمالات عديدة ، فالعنوان (ظمأ) لا يعني مدلول اللفظة ، لكنها تستبطن مدلولاً آخر .

---

(١) راجع : القصائد على الترتيب في ديوان علي دمر : (٤٩ ، ١٧٣ ، ٤٦٣) .

(٢) راجع : القصائد على الترتيب في ديوان علي دمر : (٣١ ، ٦٨ ، ٨٩ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧) .

(٣) راجع : المصدر السابق ، ص (١٥٩) .

(٤) راجع : القصائد على الترتيب في صفحات من حياتي : (٤٠ ، ٤٣ ، ٦٤) .

وهناك عناوين تتألف من البنية الفعلية ؛ من ذلك : (أراها بكأسي) ، و (تقـــرئين أشعاري) ، و (تجولين في روحي) ، و (ضللت دربي) [١] .

وهناك عناوين تتوافر بنيتها التركيبية على الجمع بين البنية الاسمية والبنيـــة الفعليـــة ، وغالبًا ما تكون الجملة الفعلية في محل خبر للمبتدأ ؛ مثل : (أملي يحتـــرق) ، و (نظـــرة يقتلها الندم) ، و (أمل يحترق) ، و (أحلامي تتحقق) [٢] .

أما العنوان الذي يتألف من شبه جملة ، فلم يرد إلا قليلاً ؛ مثـــل : (إلى مـــصر) ، و (من الاغتراب) ، و (من اللاذقية) ، و (إلى مغنية) [٣] .

وقد أعمل دمر آلية الانزياح في ألفاظ عناوين قصائده ، كما أكثر من العدول عـــن الاستعمال الحقيقي للغة إلى المجاز العقلي ؛ من ذلك : (إشراق الغـــروب) [٤] ، ويبـــدو الانزياح على المستوى التعبيري في الجمع بين الضدين . وكذلك الشأن في عنـــوان : (آلام اللقاء الأول) [٥] ، فالعنوان مركب تركيبًا إضافيًا وصفيًا ، فالانزياح هنا قام على أنـــسنة اللقاء بإضافة الآلام إليه .

ومثله المركب الوصفي (الرهبة الوادعة) [٦] ، فقد وصف الرهبة بالوادعة ، وهـــي ليست من طبيعتها .

ومن المركبات الفعلية (ارحمي دفتر أشعاري) [٧] ، وفيه انزياح لغوي واضـــح ؛ إذ انزاح التركيب الفعلي عن المتوقع ، فلم يقل (ارحميني) ، وإنما اختار (دفتر أشـــعاري) ؛ وذلك لشد المتلقي .

---

(١) راجع : القصائد على الترتيب في ديوان علي دمر : (٢٠١ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢١٥) .
(٢) راجع : القصائد على الترتيب في صفحات من حياتي : (٧٠ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٠) .
(٣) راجع : القصائد على الترتيب في ديوان علي دمر : (٧٣ ، ٤١٣ ، ٤٦٥ ، ٥٠٤) .
(٤) راجع : المصدر السابق ، ص (٢٦٥) .
(٥) راجع : صفحات من حياتي ، ص (٨٩) .
(٦) راجع : المصدر السابق ، ص (٩٢) .
(٧) راجع : المصدر السابق ، ص (٢٩) .

ويُلحظ في شعر دمر عدد من الظواهر في عناوين قصائده ؛ جاءت بسبب عنايته باختيارها ؛ من أبرزها :

- معظم العناوين ذات علاقة وثيقة بالنصوص الشعرية ؛ فقد عمد الشاعر إلى تخير عناوين قصائده من ألفاظها ؛ ولعل من الأمثلة الدالة على هذه الظاهرة : قصيدة : (الحرمان القاتل) (١) ؛ فالقصيدة عبارة عن شكوى يوجهها الشاعر إلى طيف محبوبته يبثه عتابه ويخبره قسوة الحرمان . وقصيدة : (مغمور) (٢) التي حاول من خلالها أن يبين سبب مرور قطار الشهرة دون وقوفه في المحطة التي كان الشاعر منتظرًا فيها . وقصيدة : (اللقاء الثاني) (٣) وفي هذه القصيدة تحدث الشاعر عن اللقاء الأول الذي جمعه وملهمته .

- وهناك عناوين لا علاقة لها بمتن القصيدة ، لكنها تثير المتلقي وتشوقه لقراءة النص ؛ كما يقول الناقد الفرنسي رولان بارت : " العنوان هو الوسيلة لإثارة شهية القراءة " (٤) ؛ مثل : (أهازيج) ، (المفاجأة) (٥) .

- وجاءت بعض القصائد معنونة بأسماء الشخصيات ؛ مثل : عدد من قصائده في أولاده وأحفاده ؛ مثل : (أنس) ، و (هاني) ، و (صافية) ، (رؤى) (٦) .

- وهناك قصائد أخذ الشاعر عنوانها من مطلع القصيدة ، أو مقطعها ، أو جزء من المطلع أو الخاتمة ، وهذه الطريقة في العنونة تعد من الطرق السهلة ؛ بحيث لا يجد الشاعر مشقة في ذلك ، فهي تخلو – إلى حدٍ ما – من الابتكار ؛ ولعل السبب في ذلك رغبة الشاعر في " الإشارة إلى أهمية وشدة علاقة [العنوان] بمعاني

---

(١) راجع : ديوان علي دمر ،ص (١٣١) .
(٢) راجع : المصدر السابق ، ص (١٣٧) .
(٣) راجع : المصدر السابق ، ص (٢٣٠) .
(٤) منقول من المجلة العربية ، العدد (٣١٨) ، رجب ١٤٢٤هـ (سبتمبر ٢٠٠٣م) .
(٥) راجع : ديوان علي دمر ، ص (١٣٤ ، ٣٣٢) .
(٦) راجع : القصائد على الترتيب في ديوان عالم الأسرة : (١٣ ، ١٨ ، ٢٥ ، ٢٦) .

القصيدة ؛ حتى كأنه اختصار لها " [1] ، ومن القصائد التي أخذ عنوانها من المطلع : قصيدة : (سنلتقي) ، وقصيدة : (وقف الغراب) ، وقصيدة : (ورقات) [2] . وأما ما أخذ من المقطع كقصيدة : (كحلم خطر) ، و (مغمور) [3] .

- ومن تلك الظواهر ظاهرة العنوان التأملي ، الذي غالبًا ما يكون صدى لنفس حزينة وقلقة ، ويكثر بصورة واضحة عند شعراء الرومانسية ، الذين يندرج الشاعر في سلكهم في عدد من قصائده البوحية ؛ مثل : (غيبوبة الحلم) ، و (الصمت والشك) ، و (صراخ الرميم) ، و (إشراق الغروب) [4] .

- وله عناوين تنحو منحى وجدانيًا واضحًا – في الغالب الأعم – ؛ مثل : قصيدة : (دمعة الحرمان) ، و (الحب الأول) ، و (أنت الربيع) ، و (الحب الأول) ، و (همس الأعماق) ، و (أخت روحي) [5] . وبشكل غير صريح – أحيانًا أخرى – ؛ من مثل : (أراها بكأسي) ، و (ضللت دربي) ، و (بعد الرحيل) ، و (وداعًا) [6] .

- وهناك عناوين تمنح القارئ عددًا من الدلالات ؛ مثل : (قصة) ، و (زيارة) ، و (صحوة) ، و (جديدة) [7] ، فالقارئ للعناوين السابقة وغيرها ذات الكلمات المفردة يطلق لخياله العنان في التفكير في محتوى القصيدة ؛ ذلك أن

---

(١) (العنوان في الشعر السعودي بوصفه مظهرًا إبداعيًا) ، بحث للدكتور : عبد الله بن سليم الرشيد ، نشر ضمن كتاب (عقدان من الإبداع الأدبي السعودي) ، نادي القصيم الأدبي ببريدة ، الكتاب (٦٥) ، ١٤٢٣/١هـ ، ص (٩٥) .

(٢) راجع : القصائد على الترتيب في ديوان علي دمر : (٩٦ ، ١٤٢ ، ٢٣٢) .

(٣) راجع : المصدر السابق ، (١٢٥ ، ١٣٨) .

(٤) راجع : القصائد على الترتيب في المصدر السابق : (٢٤٠ ، ٢٤٥ ، ٢٥٨ ، ٢٧٤) .

(٥) راجع : القصائد على الترتيب في المصدر السابق : (١٤٦ ، ١٥٣ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٨٦) .

(٦) راجع : القصائد على الترتيب في المصدر السابق : (٢٠١ ، ٢١٥ ، ٢١٨ ، ٢٥٠) .

(٧) راجع : القصائد على الترتيب في المصدر السابق : (١٤٥ ، ٢٤٣ ، ٢٤٩ ، ٢٧٤) .

الكلمة التي اتخذها الشاعر عنوانًا لقصيدته مجردة من الوصف ، أو الإضافة اللذين يكشفان عن غاية القصيدة – في الغالب – ؛ فمثلاً كلمة (زيارة) يمكن أن تكون عنوانًا لزيارته لحبيبته ، أو زيارتها له ، أو زيارته لأهله ، أو زيارة أصحابه له .

- ومن أهم تلك الظواهر : ظاهرة جماليات الإيقاع في العناوين ؛ مثل : (أراها بكأسي) ، و (تجولين في روحي) ، و (خيالك في لبنان) ، و (زنزانة الحياة) [1] .

- وللشاعر مقدرة لغوية ، وفهم لسرّ المفردة وقيمتها التعبيرية إفرادًا وتركيبًا ، ومقدرة على شحنها بكثافة دلالية ؛ لتعبر عن رؤيته الإبداعية .

- وقد نوع الشاعر في أساليبه اللغوية بما يخدم فكرته ، وحالته النفسية ، فجاءت عناوينه مؤتلفة ناضجة حبلى بالمعاني الحسان .

- وكذلك خص الشاعر جميع نصوصه بعناوين ، تختزل رؤاه نحو الحب والعشق ، والإنسان والكون ، والحياة والطبيعة .

- وبقي أن أشير إلى أن ديوان : (المجهولة) جاءت قصائده مرقمة ، فلم يضع لها عناوين ، ولما ظهر ديوانه (مجموعًا) بعد وفاته ، وضع من أشرف على الديوان عناوين لبعض تلك القصائد . ويرى بعض النقاد مثل ذلك تدخلاً في عمل الشاعر .

(١) راجع : القصائد على الترتيب في ديوان علي دمر : (٢٠١ ، ٢٠٨ ، ٢٥٦ ، ٤٤٩) .

المبحث الثاني

المطلع

إن براعة الاستهلال من الأمور التي حضَّ نقادنا القدماء على الاجتهاد فيهـــا ، بـــل أوجبوا على كل من يتصدى لمقصد من المقاصد أن يكون مفتتح كلامه ملائمًا لذلك المقصد دالاً عليه (١) .

والمطلع أول ما يقع في السمع من القصيدة ؛ لذلك ينبغي أن تكون مطالع الشعر مثيرة لنفس السامع ؛ بحيث تحدث لديه نوعًا من التعجب ، أو التهويل ، أو التـــشويق ، أو غـــير ذلك (٢) .

ولكون المطلع مفتاح القصيدة (٣) ؛ لا مناص للشاعر من أن يبذل الجهد في إجادته ، وإتقانه ، والإبداع فيه ؛ لما له من قوة ، وأثر في نفس المتلقي (٤) ، فكم من شـــعر جيـــد أسقطه سوء الاستهلال ، وكم من شعر رديء رفعه حسن الاستهلال (٥) .

ولقد أدرك الشاعر الحديث أهمية المطلع ؛ فراح يحسن اختياره ، ويبالغ في تجويـــده ، وتزيينه ، يقول شفيق جبري (٦) : " قد أتصور موضوعًا ، . . . و [أبقـــى] يـــومين أو

---

(١) انظر : المثل السائر ، لضياء الدين ابن الأثير ، تقديم وتعليق : د. أحمد الحوفي ، و د. بدوي طبانة ، دار نهـــضة مصر للطبع والنشر بالقاهرة ، (٩٦/٣) .

(٢) انظر : منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، لحازم القرطاجني ، بتحقيق : محمد الحبيب بن الخوجـــة ، دار الغـــرب الإسلامي ببيروت ، ١٩٨٦/٣م ، ص (٣٠٩ ، ٣١٠) .

(٣) انظر : أنا والشعر ، شفيق جبري ، الشركة المتحدة للتوزيع بدمشق ، ١٤٠٦/١هـــ ، ص (٦٧) .

(٤) انظر : أسس النقد الأدبي عند العرب ، للدكتور : أحمد أحمد بدوي ، دار نهضة مصر بالقـــاهرة ، ١٩٩٦م ، ص (٢٦٧) .

(٥) انظر : الأسلوبية والبيان العربي ، للدكتور : محمد عبد المنعم خفاجي وزميليه ، الدار المصرية اللبنانية بالقاهرة ، ١٩٩٢/١م ، ص (١٢٦) .

(٦) **هو** : شفيق جبري (١٨٩٨م – ١٩٨٠م) ، شاعر سوري ، ولد في دمشق وصحب والـــده إلى يافـــا ، ثم عاد بعد الحرب العالمية الأولى إلى دمشق ؛ ليتولى عددًا من المناصب الحكومية ، وكان عضوًا في مجمعي دمشق والقاهرة ، له : عدد من المؤلفات النثرية ، وديوان شعر . انظر : رجل الصناعتين شفيق جبري ، للـــدكتور : عبد الله بن سليم الرشيد .

ثلاثة ، وأنا ألوب حول مطلع القصيدة ، فيتعذر حينًا ، ويتيسر حينًا ، فإذا جاء المطلع على النحو الذي يرضيني هانت القصيدة عليّ ، فأشرع في العمل ، وقليلاً ما يتيسر مجيء المطلع " (١) .

ومن مظاهر اهتمام الشعراء في العصر الحديث بالمطالع أنهم أضافوا للمعايير التي وضعها القدماء معايير أخرى ؛ كحرصهم على أن يتضمن المطلع صورًا شعرية رائقة ، أو معنى طريفًا ، أو أسلوبًا إنشائيًا لافتًا ، أو شحنة عاطفية لها وقعها على المتلقي (٢) .

لم يتحدث دمر عن تجربته في اختيار مطالع قصائده ، لكني من خلال تتبعي لمطالع قصائده وجدته حريصًا على العناية بها ، وقد دفعه هذا الحرص إلى أن يوائم بين المطلع وموضوع القصيدة ، فهو حينما يقول (٣) :

كم ركزنا في الشرق منا بنودًا وحشدنا في الغرب منا جنودا

يدرك القارئ أن موضوع القصيدة فخر بأمجاد الأمة العربية .

وإذا سمعناه يقول (٤) :

أمصباح بيتي بعدك البيت مظلمٌ وزوجك محروق الفؤاد متيم

فسنقول : إنها قصيدة تتحدث عن الشوق لزوجته ، وأنه – لا شك – في بلد غربة ناء عنها .

وحين نسمعه يقول (٥) :

(١) أنا والشعر ، لشفيق جبري ص (٦٦) .
(٢) انظر : البناء الفني في شعر عمر بهاء الدين الأميري ، ص (٧٠) .
(٣) ديوان علي دمر ، ص (٣٥) .
(٤) ديوان عالم الأسرة ، ص (١١) .
(٥) المصدر السابق ، ص (٤) .

ألا أيهـــا النـــاعي نعتـــك النـــوادب ووللول يبكـــيني الثكـــالى النواحـــب

سندرك مباشرة أن القصيدة قصيدة رثاء .

واجتهد دمر أن تكون مطالع قصائده حسنة بديعة مصدرة بما يكون فيه تنبيه للسامع ، وإيقاظ وتشويق له ؛ كالنداء والاستفهام ، والأمر ، والتعجب ، أو بما فيه تهويل ؛ كما رأينا في بيت الرثاء السابق ، وابتعد بها عن التعقيد اللفظي والمعنوي ؛ ومن ذلك قوله (١) :

يا أدمـــع الـــذكرى وأنـــت خليقـــةٌ عنـــد التأمـــل أن تكـــوني عنـــدما

وقوله (٢) :

أفرحـــــت أن جـــــاء الربيـــــــ ـــــع وأنـــت أفـــراح الربيـــع

و لم تغب الجزالة والفخامة في اللفظ والمعنى عن بعض مطالعه ؛ ومن ذلك قوله (٣) :

يا جنـــوب الجزيـــرة الحـــر صـــبرًا في ميـــادين يعـــرب يـــا جنـــوب

وقوله (٤) :

ارفـــــع لأجـــــدادي البـــــشائر ارفـــــع لهـــــم فـــــتح الجزائـــــر

وقد اختفت كثير من تلك المظاهر السابقة في مطالع قصائده التي امتلأت بروح العصر الحديث ، فنجده يخالف ما كان يفضله الشعراء السابقون من استقلال البيت بالمعنى ؛ بحيث لا يحتاج إلى ما بعده من أبيات ، وهو ما يسميه النقاد (بالتضمين) ولا سيما في المطلـــع . وهي سمة الشعر المعاصر الذي حلت الوحدة العضوية فيه محل وحدة البيت ، فكـــان مـــن الطبعي أن يتكون المطلع من أكثر من بيت واحد ، فقد يتشكل من بيتين مترابطين في المعنى

(١) ديوان علي دمر ، ص (١٠١) ، **والعندم** : دمُ الأخوين أو البَقَّم (شجر) .

(٢) المصدر السابق ، ص (١٥٩) .

(٣) المصدر السابق ، ص (٥٦) .

(٤) المصدر السابق ، ص (٦٥) .

أو أكثر ، بل ربما تشكل من مقطعة في بداية النص الشعري ، وربما لم نجد المطلع شاخصًا في النص ؛ إذا تحققت الوحدة العضوية والموضوعية ؛ لأن النص يصبح كلاً لا يتجزأ أو يفتت ، فقد غدا لحمة واحدة ، لا أجزاء متقطعة ؛ من ذلك قوله (١) :

إذا لاح لي نجمٌ توهمت بسمةً ... بثغرك إذ ما نلتقي في الربى الخضر
أراك بمجلى الشمس في بهجة الضحى ... وفي ومضة الزهر وفي هالة البدر

وقوله (٢) :

يلذ لروحي إن نظرت لأسطري ... وإن قرأت عيناك ما جاش في صدري
لقد حظي القرطاس منك بنظرةٍ ... ولم أحظ إلا بالسعير وبالهجر
ولو أبصرت عيناك قلبي لما درت ... أقلبًا ترى أم موقدًا لاهب الجمر

ومن الملامح التي استفادها دمر من شعراء عصره : أنه يبدأ المطلع بحرف العطف ، فيشتبه على القارئ أهذا البيت مطلع ، أو أنه من وسط القصيدة ؟

وهذا فيه تخفيف من وقع المطلع ؛ من ذلك قوله (٣) :

ولا تدرين ما يشجي فؤادي ... من الكبت المضمخ بالسهاد

وتأثر دمر في بعض مطالع قصائده بالشعر المهجري ، الذي افتتن شعراؤه بالألفاظ المهموسة والرقيقة ؛ يقول في مطلع قصيدته : (رحلة حب) (٤) :

سكن الليل وروحي ... سبحت بين النجوم
تركتني وجروحي ... أتلظى في وجوم

---

(١) ديوان علي دمر ، ص (١٢٠) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٢٠٦) .
(٣) المصدر السابق ، ص (١٩١) .
(٤) المصدر السابق ، ص (٢١٢) .

ومن القصائد التي جاءت دالة على تأثره بمطالع الشعر المهجري : قصيدة : (غائب) [1] :

يا شاطئ النهر والأسحار هادئةٌ والليل سكران صرف الراح قد شربا
يموج فيه الشذا والطير ذو شجنٍ والأفق يبدو بضاحي النور مختضبا

ومما تأثر به الشاعر الملامح الرومانسية في الشعر المعاصر : فقد تراصت الكلمات الرقيقة التي أحبها الرومانسيون في مطالع قصائده ؛ كالسكون ، والنجوى ، والليل ، والبحر ، والنجوم ، والقمر ، والألم ؛ مثل قوله [2] :

أيها الليل إذا غادرت ضوضاء البشر
وتواريت بجنحٍ منك في الجو العطر
تحت أذيال الظلام المدلهم المعتكر
حيث لا يبصرني إلا نجيمات السحر

فهذا المطلع يميل إلى العذوبة والهمس والليونة ، مجنحًا عن الفخامة ، والجزالة ، وهما مما تميز به المطلع القديم .

ولأنه كان يترسم خطى المحدثين في طريقتهم في مطالع قصائدهم نأى بنفسه عن الوقوع فريسة في فخ المطالع التي تحتوي حكمًا وأمثالاً ونصائح ، فقد كانت حكمه تأتي حيثما تجد لها في القصيدة موطئ قدم ، ويستدعيها المعنى .

وعلى الرغم من حرص دمر على جودة مطالع قصائده ، فلم تخل بعضها من وجود هنات قللت من جمالها ، وأثرت في نفسية القارئ ؛ من ذلك :

- أنه خالف معايير النقاد في بعض مطالع قصائده ، فالنقاد يشترطون أن يكون المطلع بيتًا واضحًا لا غموض فيه ، سهل المأخذ ، ولا صعوبة في فهم معناه ، فلا

(١) ديوان علي دمر ، ص (١٢١) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٤٥٥) .

يشتمل على ألفاظ غريبة على عصر الشاعر ، وأهل زمانه ؛ ومن ذلك قوله (١) :

لـــئن غيبتـــك الحادثـــات بجنـــدسٍ من الذل والتضييع والجهـــد والـــصد

فكلمة (حندس) : كلمة غريبة على عصر الشاعر ، وتحتاج إلى شرح .

وقوله (٢) :

أخنت على جمرك الأيـــام واهتـــرأت فيك الأمـــاني وشـــاخ اليـــأس والألم

فكلمة (أخنت) : كلمة غريبة على عصره ، وتحتاج إلى شرح .

وقوله (٣) :

فيـــا لجوقـــة عـــزفٍ تـــثير أهـــل القبـــور
ويـــا لـــضجة شـــخرٍ تـــزري بحلـــم الوقـــور

فكلمة (تزري) : كلمة نادرة ، وتحتاج إلى شرح .

- واشتملت بعض مطالعه على ألفاظ ، أو جمل نثرية لا شاعرية فيها ؛ من مثل (٤) :

وقيل لمـــاذا تنـــشر الحـــب لاهبًـــا ؟ ونحـــن بحـــربٍ في الميـــادين لاهـــب
فطورًا مع الإنتاج والـــشعب ناشـــطٌ وطورًا مع الأعداء من كـــل جانـــب

فلفظتا (طور ، الإنتاج) لفظتان نثريتان ، فقوله طورًا مع الإنتاج تعبير نثري تكتبـــه الصحف ونسمعه في الأخبار .

---

(١) ديوان علي دمر ، ص (٢٠٨) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٤٠٢) .
(٣) قصيدة مخطوطة ، لدى الباحث نسخة منها .
(٤) ديوان علي دمر ، ص (٢٦٧) .

وقوله [١] :

أي شـــيءٍ تخفـــي لنـــا الأيـــام يـــا غرامًـــا مـــا ذاقـــه مـــستهام

فـــ (أي شيء) : استعمال مبتذلة ، وكذلك كلمة : (مستهام) كلمة مبتذلة .

وقوله [٢] :

ســـرت مـــن جـــدةٍ إلى الأحـــساء تتـــــهادى ســـــيارتي في العـــــراء

فالمطلع ذو طابع نثري .

- أو أن تشتمل (المطالع) على كلمات ينزه الـسامع مـن أن تطـرق سمعـه ؛ كقوله [٣] :

يا حظـي يـا أغـبى مـن الحمـار ويـا عـدو الفكـر والأشـعار

فكلمة (حمار) : لا تليق أن تلج في حديث سقط المتاع ، فـضلاً أن تـصطف في صفوف جمل الأدباء .

- وربما لازم الفتور بعض مطالعه ؛ مثل [٤] :

كأنهـــا تـــسكن في الغيـــوم كأنهـــا تعـــيش في النجـــوم

وربما كان سبب الفتور أن الشاعر يجري خلف الأحداث اليومية ، فيرصدها ؛ ولعـل البيت الأول من هذا ، وآخر يتمثل في افتعال التجربة ، والبيت الثاني يدل علـى ذلـك ، فالشاعر أراد أن يجامل أبناء المنطقة التي يسكنها (أبها) ، فاصطنع تلك القصيدة ، ومع أن الشاعر ابتدأ المطلع بحرف التشبيه إلا أن ذلك لم ينهض بالبيت فنيًا ؛ وما ذاك إلا لـضعف

(١) ديوان علي دمر ، ص (٣٠٥) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٤٣٦) .
(٣) المصدر السابق ، ص (٣٨٦) .
(٤) المصدر السابق ، ص (٤٩٨) .

الصياغة ، وخفوت الفكرة .

- وقد يطل (المطلع) من رحم التعبير التقريري ؛ مثل قوله (١) :

يأيها الأحـــرار قـــد خـــسئ الـــذي بـــــاللون ميـــز ســـــادةً وعبيـــــدا

فالفكرة مكررة ، والتعبير جاء بصورة تقريرية مباشرة .

- ومن تلك الهنات : ارتكاب الشاعر الضرورات الشعرية ؛ مثل (٢) :

حمـــاةٌ يـــا جنـــةً في الأرض وارفـــةً ويا كناس الظبـــا يـــا مرتـــع الغيـــد

فالضرورة قبيحة في المطلع ، وإن سمح بها النقاد ، فالمطلع عتبة القصيدة ، وينم عـــن قوتها أو ضعفها ، فتنقيته ضرورة فنية .

❖ ❖ ❖ ❖

(١) ديوان علي دمر ، ص (١٦٠) .

(٢) المصدر السابق ، ص (٤٥٩) .

المبحث الثالث

الوحدة

من يقرأ كتاب : (البيان والتبيين) للجاحظ ، و (العمدة) لابن رشيق ، و (خزانة الأدب) للبغدادي يدرك أن الناقد العربي القديم التفت إلى الوحدة في القصيدة ، وإن لم تتضح مفاهيمها في عصرهم ، فوحدة البيت هي السائدة والمتقدمة على وحدة النص الكلية . وخير دليل على تلك الالتفاتة قول الحاتمي (١) : " القصيدة مثل الإنسان في اتصال بعض أعضائه ببعض ؛ فمتى انفصل واحد عن الآخر ، وباينه في صحة التركيب ، غادر الجسم ذا عاهة تتخون محاسنه ، وتُعفِي معالمه " (٢) . ومن تلك الإشارات دعوتهم إلى الربط بين موضوعات القصيدة بما أسموه : (حسن التخلص) (٣) .

أما الوحدة في العصر الحديث فهي حجر الزاوية في النص الشعري ؛ إذ دعا الناقد الحديث إلى وحدة الموضوع ؛ فلا ينبغي للشاعر أن يعالج في النص أكثر من موضوع ، فليس " من المستساغ أن تجمع القصيدة بين الغزل والفخر والمدح مثلاً ، مهما قيل عن وحدة التداعي النفسي بين الأغراض المختلفة " (٤) .

وتجاوز النقد الحديث الوحدة الموضوعية إلى الوحدة العضوية ، التي تعني : " وحدة الموضوع ، ووحدة المشاعر التي يثيرها الموضوع ، وما يستلزم ذلك من ترتيب الصور والأفكار ترتيبًا به تتقدم القصيدة شيئًا فشيئًا ؛ حتى تنتهي إلى خاتمة يستلزمها ترتيب الأفكار

---

(١) **هو** : محمد بن الحسين البغدادي بن المظفر الحاتمي (ت : ٣٨٨هـ) ، عالم في اللغة والأدب ، له : الرسالة الحاتمية . انظر : سير أعلام النبلاء ، للذهبي لمحمد بن أحمد الذهبي ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ومحمد العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ١٤١٧/١١هـ ، (٤٩٩/١٦) .

(٢) النص في : حلية المحاضرة ، للحاتمي ، ( ) ، وزهر الآداب وثمر الألباب ، لإبراهيم الحصري ، بعناية : د. زكي مبارك ، دار الجيل ببيروت ، ١٩٧١/٤م ، (٦٥١/٣) .

(٣) انظر : عيار الشعر ، لمحمد بن أحمد طباطبا العلوي ، دار الكتب العلمية ببيروت ، شرح وتحقيق : عباس عبد الستار ، ١٤٠٢/٢هـ .

(٤) الأدب المقارن ، لحسن جاد حسن ، دار الطباعة المحمدية بالقاهرة ، ١٣٨٧/٢هـ ، ص (٢٠١) .

والصور ، على أن تكون أجزاء القصيدة كالبنية الحية لكل جزء وظيفته فيها ، ويؤدي بعضها إلى بعض عن طريق التسلسل في التفكير والمشاعر " (١) .

ولا أشك في أن القارئ يدرك مما سبق أن الناقد المعاصر يلزم الشاعر بأن يفكر " تفكيرًا طويلاً في منهج قصيدته ، وفي الأثر الذي يريد أن يحدثه في سامعيه ، وفي الأجزاء التي تندرج في إحداث هذا الأثر " (٢) .

وإذا كان العقاد قد شرط تحقق الوحدة العضوية في النص ، فإن د. محمد مندور رفض شرط تحقق الوحدة العضوية ؛ التي لا تقبل تقديمًا أوتأخيرًا في نسق أبياتها في الشعر الغنائي الخالص (٣) .

إن المتأمل في شعر دمر يجد أنه قد وفق – في الغالب الأعم – في تحقيق هذه الوحدة بمفهومها المحدد السهل ؛ مثل قصيدته : (ولدي أنس) (٤) ، فهذه القصيدة على طولها توافرت فيها الوحدة العضوية التي تعانقت فيها وحدة الموضوع مع وحدة المشاعر .

فقد بدأ الشاعر القصيدة بوصف مشاعره المتقاطعة ما بين فرح وخوف بمقدم ابنه : (أنس) للحياة ، ثم انتقل من ذلك الصراع إلى التأمل في الحياة ، ثم بدأ في تصوير حركات ابنه الصغير ، والتقط منها صورة أخرى تدل على الأثر الذي تخلفه في نفسيته ، وبعد ذلك يعتق نفسه من رق العالم الوجودي ؛ لينطلق في فضاءات عالمه الغيبي ؛ وليستشرف مستقبل ابنه الذي كبر وهو لما يزل في عامه الأول ، وهاهو الابن الشاب يخفف آلام أبيه ، ويحمل شيئًا من الأحمال التي أعيت كاهل والده ، وأخيرًا يختم النص بوصية لابنه على غير ما تجري عليه الوصايا . وصية يرتب أفكارها الهم ، ويبدع صورتها الشؤم ، ويلونها السواد ، ويجليها الموت المحتوم .

ومن – هنا – نجد أن أجزاء هذه القصيدة قد شكلت بنية حية ، لكل جزء فيها

(١) النقد الأدبي الحديث ، د. محمد غنيمي هلال ، دار الثقافة ببيروت ، ١٩٧٣م ، ص (٣٩٤) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٣٩٥) .
(٣) النقد والنقاد المعاصرون ، للدكتور : محمد مندور ، نهضة مصر للطباعة والنشر ، ؟/٢٠٠٢م ، ص (٩٠) .
(٤) راجع : ديوان عالم الأسرة ، ص (١٠) .

وظيفته ؛ إذ يقود كل جزء منها إلى ما بعده عن طريق التسلسل المنطقي في التفكير والمشاعر .

وفي قصيدة : (الغراب) التي بناها الشاعر من وحي القص الهادف الرامز ، ويمكنني أن أرد النص إلى أفكاره الجزئية التي أبدع الشاعر في دمجها ومزجها على النحو الآتي :

أ- المشاهد التي كانت عليها أسراب الطيور من الفرح والبهجة .

ب- الغيرة التي أصابت الغراب من تلك البلابل المغردة .

ج- التفكير والتخطيط للانتقام .

د- التنفيذ وطلب العون من سرب الغربان .

هـ- الهجوم الكاسح على أسراب الطيور .

و- خطبة الغراب في سرب الغربان .

ز- الرضا بالغراب الغيور زعيمًا .

هذه الأفكار الجزئية هي لبنات النص الذي جاء متلاحمًا دالاً على تخطيط واع ومسبق [1] :

وقف الغراب على الحديقة ناعبًا ... فتقززت من صوته الأغصان

ورأى البلابل تنشر النغم الذي ... طربت له الأزهار والألحان

هذا يطير وذا يسير وذا على ... نغماته تتبدد الأشجان

وقف الغراب فلم يجد لسماعه ... أذنًا فثار ضميره الخزيان

واغتاظ حتى لم يطق صبرًا على ... فوضى يثير صنوفها الهذيان

فأتى بأسرابٍ من الغربان من ... أعوانه فتجمهر الغربان

(١) ديوان علي دمر ، ص (١٤٢ ، ١٤٣) .

هجموا على كل الطيور فأخرسوا ... ألحانها وزعيمهم فرحان
وقف الغراب بهم خطيبًا ناعقًا ... فتصاغر الخدام والأعوان
قال الخطيب كفى اختلافًا بيننا ... فوضاكم فسدت بها البستان
لا بد من صوتٍ وحيدٍ بيننا ... حتى يسود العدل والسلطان
حتى نصير كحزمةٍ مرصوصةٍ ... ما شابها خلفٌ ولا شنآن
فتهلل الغربان والأعوان من ... أقواله وتباهت الأزمان

وإذا كان الشاعر قد استطاع أن يربط بين تلك الأفكار ربطًا فنيًا محكمًا ، فكذلك كانت له مقدرة في أن يزاوج بين القيم الفكرية والعاطفية .

ولا أشك في أن ما أسهم في نجاح تلك الوحدة في النص السابق وجود العنصر القصصي ؛ حيث بدت عناصر الوحدة العضوية فيه ثابتة .

ومن النصوص التي تحققت فيها الوحدة متكاملة ، وطافت في أجوائها الوحدة النفسية : قصيدة : (اللقاء الثاني) [1] .

ففي القصيدة يخبرنا الشاعر أنه وجد ملهمته التي طالما بحث عنها . وكان لا بد له أن يوجه شكره إليها على إنقاذ قافلته من المتاهات ، وعلى تفضلها بنشر ضيائها الوهاج في دروب حياته ، التي ما انفك منها الظلام إلا حينما بدده ضياؤها ، وعلى إقدامها على تفجير ينابيع الفن في أعماقه ، وفي ختامها يسألها عن مصير ذلك الرباط ، وما سيؤول إليه .

وللشاعر قصائد " تبدو بعض معالم الوحدة العضوية فيها غير ثابتة ، ولكنها مع ذلك مبنية على اعتبارات فنية يجب أن تلحظ في البنية العامة " [2] في تلك القصائد ، وهذه القصائد هي التي خرجت من أجواء العنصر القصصي لتحل ضيفة في الأسلوب السردي ، أو تبنى على طريقة المقاطع ؛ مثل : قصيدة (غمغمات) [3] التي تأثر فيها بشعراء المهجر ،

---

(١) راجع : ديوان علي دمر ، ص (٢٣٠ ، ٢٣١) .
(٢) النقد الأدبي الحديث ، للدكتور : محمد غنيمي هلال ، ص (٤٠٥) .
(٣) راجع : ديوان علي دمر ، ص (٤٥٥ ، ٤٥٦) .

وأنطقها وجدانًا ، وجانس بين الصور فيها ، فأضفت على الوحدة قوة ، وزادتها حركة وحيوية .

فقد توافر في القصيدة التجربة الشعرية ، والعرض الجيد ، والصياغة المحكمة ، على الرغم من تنوع القافية في مقطع من مقاطعها ، وهذا أدعى لتوافر الوحدة العضوية في النص ، وأحسن الشاعر حينما نقر على وحدة الشعور ، التي كان الغلاف الخارجي لها تتابع الأفكار ، وامتزاجها بالعاطفة الجياشة ، فتدفقت فيها شلالات من الانفعالات الشعورية ، التي لازمت النص إلى آخر كلمة فيه .

ولعل ذلك الطلاء من التوتر الشعوري هو ما ترسم الوحدة العضوية في النص معالمه ، فالقصيدة تصب في اتجاه شعوري واحد ، يتمثل في نجوى الشاعر لليل ، واتخاذه له سميرًا يفتح له قلبه ، ويبثه شكواه ، ويطلب إليه أن يرعاه ، وأن يلهمه أفانين الصور ، ويثير في نفسه الحرى الذكريات الجميلة التي قضاها مع حبيبته الهاجرة القاسية ، فتكررت النداءات ، وتجلى البث والبوح ، وتعددت معالم الطبيعة ، مما يشير إلى مدى تأثره بالاتجاه الرومانسي ، الذي من أبرز معالمه الوحدة العضوية ، والعلاقة الحميمة مع الطبيعة .

ومما أسهم في تلك الوحدة أن خيط المناجاة لم ينقطع في القصيدة من أولها إلى آخر بيت فيها ، وتلك الصور التي لم تملِ بها الذاكرة ، أو يستوحيها " من مظاهر خارجية ، لا تمت بكثير صلة إلى التجربة " (١) ، بل كانت صورًا نابعة عن التجربة ذاتها .

ولعل ذلك التسلسل المنطقي الذي قضى على أي انقطاع من العوامل التي لم تفقد النص وحدته .

وبقي أن أشير إلى أن هناك قصائد للشاعر كادت تفقد وحدتها العضوية ، وتنفصم بما كان يفعله الشاعر من إدخال بعض الحشو والفضول ، الذي يشتت به أفكار النص ، ويهلهل بناء القصيدة ، ويمزق وحدتها ، ويحطم عناصر موضوعها ؛ مثل قصيدة : (لحن

(١) النقد الأدبي الحديث ، للدكتور : محمد غنيمي هلال ، ص (٣٩٨) .

تاريخنا) [1] ، فقد كان الشاعر يلح على الفكرة الواحدة ، حتى ليدفع القارئ إلى ترك كثير من أبيات القصيدة دون قراءة أو تأمل ، ولعل مما أسهم في تراخي الوحدة العضوية في النص ما ألزم الشاعر به نفسه من سرد تاريخي أطفأ وهج النص ، وأعاره للدراسات التاريخية .

❖ ❖ ❖ ❖

(١) راجع : ديوان علي دمر ، ص (٤١) .

المبحث الرابع

المقطع

لا يقل المقطع لدى الناقد القديم أهمية عن المطلع ؛ لكونه " قاعدة القصيدة ، وآخر ما يبقى منها في الأسماع ، وسبيله أن يكون محكمًا لا تمكن الزيادة عليه ، ولا يأتي بعده أحسن منه ، وإذا كان أول الشعر مفتاحًا له وجب أن يكون الآخر قفلاً لـه " (١) ، ولا بـد أن يكون ذا علاقة وطيدة بالمعنى المقصود في القصيدة (٢) ؛ لذلك ألمح الناقـد القـديم إلى أن يكون المقطع متضمنًا تشبيهًا حسنًا ، أو مثلاً سائرًا ، أو حكمة .

في حين أن الناقد الحديث لا يلزم الشاعر بأن يختم قصائده بأمثال وحكـم وصـور رائعة ، لكنه يقر بأن المقطع هو قرار القصيدة ، فالقصيدة تجربة تنتهي بنهايتها (٣) ؛ لـذلك عاب على أدعياء الشعر عدم معرفتهم متى ينبغي لهم أن يقفوا ، فهناك " مئات القصائد التي تنشرها الصحف تنقصها لمسة [ختامية] ، وهي تترك في النفس أثرًا يشبه العطش ؛ ذلـك أنها تثير في أنفسنا توترًا ، ثم تتركنا لمخالبه دون أن تزيله ، أو تنهيه " (٤) .

ويرى بعض النقاد أن ثمة علاقة بين الكوامن النفسية الإبداعية ، وإبـداع المقطـع ، فيرون أن " نهاية القصيدة تحتمها طبيعة فعل الإبداع من حيث إنه فعل متكامل ، له بدايـة وله نهاية ، [يحتويهما التوتر النفسي] ، الذي يدفع الشاعر إليه ، فنحن عندما نبدأ أيَّ فعل ينشأ عندنا توتر لا ينخفض إلا ببلوغ الفعل . . . [منتهاه] " (٥) .

ودمر حرص على العناية بخواتيم قصائده ؛ لتكون منـسجمة ، ذات علاقـة متينـة

---

(١) العمدة ، لابن رشيق ، (٢٣٩/١) .

(٢) انظر : كتاب الصناعتين ، لأبي هلال العسكري ، ص (٥٠٣) .

(٣) انظر : بناء القصيدة العربية ، د. يوسف بكار ، مطبعة دار نشر الثقافة بمصر ، ١٩٧٩م ، ص (٣٠٦) .

(٤) قضايا الشعر المعاصر ، لنازك الملائكة ، دار العلم للملايين ببيروت ، ١٩٧٨/٥م ، ص (٣٤٠) .

(٥) الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة ، للدكتور : مصطفى سويف ، دار المعـارف ، ١٩٨١/٤م ، ص (٣٠٥) .

بمطلعها ، يستدعها المقام ؛ من ذلك [١] :

يا قريني مـــن أنـــت ؟ يمـــلأ ســـري بجـــدال محـــاكم الفكـــر غالـــب
فسرى بي من عمق نفـــسي همـــسٌ : يا رفيقي : أنـــا الـــضمير المحاســـب

فالخاتمة في النص جاءت قفلاً محكمًا ؛ بحيث لا مجـــال للزيـــادة عليهـــا ، وكانـــت – أيضًا – ذات علاقة بأولها ؛ حيث يقول :

دائمًـــا مـــذنبٌ لـــديك معاتـــبٌ ومـــدى العمـــر نـــادمٌ ومراقـــب
في منـــامي ويقظـــتي أنـــت نـــاهٍ زاجـــرٌ ســـاخر الحـــوار مواظـــب

فالشاعر في المطلع وجه حديثًا ترامى في طياته عتاب وشكوى ، وحـــزن وخـــوف ، فوجد القارئ نفسه دون قصد أمام إلحاحه الشديد لمعرفة المخاطب ، فأشبعت الخاتمة تلـــك الغريزة حينما واجهته بالمخاطب ، الذي لم يتبين كنهه في أول الـــنص ، ولا وســـطه ؛ إذ يقول :

وإذا مـــا انفـــردت لـــيلاً لأغفـــو ثـــار في خـــاطري نـــداؤك عاتـــب
وإذا مـــا صـــحوت فجـــرًا ألاقـــي في عروقـــي عتـــاب تقريـــع راهـــب
يعتلـــي صـــوتك الأجـــش رهيبًـــا في الـــديباجي مناقـــشًا ومطالـــب

ولا شك أن لفظة (يا قريني) ، والاستفهام (من أنت ؟) ، قد أديـــا وظيفتـــهما البلاغية بإتقان ، ومما ساعد في نجاح الخاتمة – أيضًا – تلك اللغة التي أفرغ بها الشاعر حمولة معانيه ، فالهمس واللين ، أشعرانا أن الحديث لم يكن إلا نجوى ومسارة .

وقد تكون الصلة من خلال إعادة مطلع القصيدة في خاتمتـــها ؛ كمـــا في قـــصيدة : (الانهيار) ، فقد كان المطلع هو ما ختم به الشاعر نصه الشعري [٢] :

---

(١) ديوان علي دمر ، ص (١٦١) .

(٢) المصدر السابق ، ص (٣٢٦) .

قـــــد انتـــــهى كـــــل شـــــيءٍ وجـــــــاء فـــــــصل الختـــــــام

وقصيدة : (سراب) التي كان مقطعها هو مطلعها [1] :

وقد عدت خليـــف حـــدود الحيـــاة لـــــوادي ظـــــلام الـــــشقاء العكـــــر
وراء المـــــسرات بعـــــد الـــــرؤى أعـــيش علـــى حفنـــةٍ مـــن ذكـــر

أو تكون الصلة من خلال إعادة جزء من المطلع ؛ ليدلل على ارتباطه ببداية القصيدة ، ثم يأتي بمعنى جديد ، ولفظ آخر ؛ مثل : قصيدة : (دنيا الفناء) ، فقد جاء مطلعها [2] :

إليك أيـــا دنيـــا الفنـــاء غـــدوت في حـــرارة أشـــجان المحـــب المـــشوق

وجاء مقطعها قوله :

ســـلامٌ علـــى دنيـــا الفنـــاء فـــإنني أراهـــا كحلـــمٍ في الخيـــال منمـــق

أو تكون تلك الصلة من خلال إجابة لسؤال جاء في مطلـــع القـــصيدة ؛ كمـــا في قصيدته : (قلب اليتيم) [3] :

أرأيـــتم فرخًـــا تلـــوى صـــريعًا فوق غصنٍ واهـــي جنـــاحٍ كـــسير

وقد جاءت الإجابة في خاتمة القصيدة ؛ حيث يقول :

إن ذا الفـــرخ في عـــذابٍ وخـــوفٍ هـــو قلـــبي في صـــدري المهجـــور

أو ربما جاءت تلك العلاقة تأكيدًا للمعنى ؛ كما في قصيدته : (ورقات) [4] :

ورقـــات جوابـــك بـــين يـــدي تقتـــات وتنـــهل مـــن كبـــدي

---

(١) ديوان علي دمر ، ص (١٩٧) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٤٠٧) .
(٣) ديوان عالم الأسرة ، ص (٨) .
(٤) ديوان علي دمر ، ص (٢٣٢) .

ويختمها بقوله :

ورقـــات شـــعورك يـــا روحـــي في قلـــبي ليـــست بـــين يـــدي

وقد يكون ذلك الترابط ترابطًا منطقيًا في اللفظ والمعنى ، ومن أجمل ما صـــور ذلـــك الترابط قصيدة : (مصباح بيتي) (١) ففي المطلع يقول :

أمصباح بيتي بعـــدك البيـــت مظلـــمٌ وزوجـــك محـــروق الفـــؤاد متـــيم

وفي خاتمتها قال :

تعـــالي أنـــيري لي الحيـــاة وأطفئـــي جحـــيم فـــؤادي إنهـــا تتـــضرم

فالمتلقي حينما يقرأ القصيدة لا شك أنه سيظل متتبعًا للأبيات يحدوه الشوق ، وتعانقه اللهفة ، حتى إذا ما التقى بالمقطع تبدلت تلك الظلمة بالضياء ، والوحشة بالأنس ، وما عاد خائفًا من ذلك الحرق الذي أطفأته تلك الخاتمة المنسجمة مع المطلع .

وينبغي أن أنبه إلى أن ربط الخاتمة بالمطلع هي من سمات الشعر الحديث في ثوبه الفـــني الجديد .

والشاعر حينما يطرح قضية من القضايا تتنوع خواتيم قصائده بين الخاتمـــة الإيجابيـــة والخاتمة السلبية .

فمن القصائد الدالة على الخاتمة الإيجابيـــة : قـــصيدة : (أعاصـــير الجزائـــر) (٢) ، و (النازحون) (٣) ، و (غريزة الكفاح) ، التي يقول في خاتمتها (٤) :

---

(١) ديوان عالم الأسرة ، ص (١١ ، ١٢) .

(٢) راجع : ديوان علي دمر ، ص (٦٢) .

(٣) راجع : المصدر السابق ، ص (١٠٩) .

(٤) المصدر السابق ، ص (٣٤) .

لـــيس للمـــوت مـــن لقـــائي بـــدٌ في حـــروبٍ أو في قـــلاعٍ حـــصينه
فمـــن العـــار أن أمـــوت جمـــودًا في حيـــاةٍ وضـــيعةٍ مـــسكينه

فالشاعر كان يعالج في قصيدته قصته مع الكفاح ، فحاول أن يثبت من خلال معطيات وضعها بنفسه أن الكفاح غريزة وموهبة يهبها الله – ﷻ – من يشاء ؛ لذلك كان مناسبًا أن يحدد موقفه من الموت الذي لا يهابه الشجعان ما دام في ساح الوغى .

وهناك قصائد قد سيج الشاعر خاتمتها بسياج التشاؤم والسلبية ؛ مثل قصيدة : (لحن تاريخنا) [1] :

قـــد بعثنـــا الوجـــود ثم رقـــدنا نـــوم ليـــلٍ لمتعـــبٍ مـــسؤول
وانتبهنا في صـــبحنا المـــشرق النـــو ر لنـــسري في دربنـــا الموصـــول

ولعل سبب بروز ظاهرة السلبية لديه أنه يعد من فرسان شعر الشكوى ، فقد كان يقتات من الألم ، ويسير مع الشؤم سيرًا بيانيًا ، وكان ذلك الشؤم ينتفخ كلما هرب الشاعر .

ومن الخواتيم المتشائمة – أيضًا – خاتمة قصيدة : (أنس وهاني) [2] :

ربمـــا يـــأتي دمـــارٌ شـــاملٌ ســـيعم العـــالم المنتخبـــا
ليـــتني لـــلأرض لم آت بكـــم أنـــا أحيـــا طـــول عمـــري مـــذنبا

ولا أدل على تشاؤمه من ختمه لكثير من قصائده بداعي الموت ، فكم جعل من الموت حلاً لأزماته ومحنه .

وهو في قصيدته : (إلى زوجتي المثالية) حينما أدرك أن ما وضعه من معايير لتلك الزوجة المثالية لا تطابق واقعه ، جمد وذبل ، حتى حينما ولج قصر أحلامه ، وعبأ من خمرة

(١) ديوان علي دمر ، ص (٤٨) .
(٢) ديوان عالم الأسرة ، ص (١٩) .

خياله ، نراه يختمها بقوله [1] :

لـــــذاك أبغـــــضت عمـــــري وصـــــرت أرجـــــو الفنـــــاء

وهناك ظاهرة لازمت بعض قصائده : وهي الخاتمة الاستفهامية ، التي برزت في شعره ، فكثيرًا ما ختم قصائده باستفهام ظامئ ، يترك النفس تسبح في عالمه ؛ مثل ختام قصيدته : (ليلة حرب) [2] :

متى يمحق الله الحروب وأهلها وتحيا البرايا بالسلام وتنعم ؟

وختام قصيدته : (سوريا صامد) [3] :

متى نشاهد دنيا العرب أجمعها في وحدةٍ صوتها الداوي له شان

وختام قصيدة : (عند سقوط حيفا) [4] :

كيف أستطيع أن أناغي قصيدي وفؤادي في جمره الوقاد

إن طبيعة الاستفهامات تثير المتلقي ، وتقذف به في بحر من القلق ، والرغبة في الاستماع للإجابة ، وتهيئ سبل المشاركة الفعالة بينه وبين صاحب النص في تجربته ، وربما امتدت به حتى بعد انتهاء القصيدة ، فيحاول أن يجيب عن تلك الاستفهامات بنفسه ، وهذا أشبه ما يكون بالرواية المفتوحة التي لا نهاية لها .

ولم أجد للشاعر غير قصيدتين ختمتا بخاتمة دعائية وهي : (فتى الفتيان) ، و (القرآن) ، ففي الأولى يقول [5] :

---

(١) ديوان عالم الأسرة ، ص (٣٩) .
(٢) ديوان علي دمر ، ص (٦٩) .
(٣) المصدر السابق ، ص (٧٨) .
(٤) المصدر السابق ، ص (١٠٦) .
(٥) ديوان عالم الأسرة ، ص (٢٢) .

أبقاك ربي أنيس العمـــر يـــا ولـــدي يا ساعدي سندي ريحـــانتي عـــضدي

ويقول في الثانية [١] :

أسبل علـــي حنانًـــا غـــامرًا وهـــدًى يا موجدي مـــن مجاهيـــلٍ بـــلا أثـــر
إذا رضـــيت وأعطيـــت الهدايـــة لي فالقلب في روضةٍ لو كنـــت في ســـقر

أما الخاتمة بالسلام ، فقد وردت في كثير من قصائده ؛ مثـــل : قـــصيدة : (أخيـــل العرب) [٢] :

سلامًا أبا مجدٍ [٣] لقد حـــان موعـــدٌ يحطم للأعـــدا بـــه النـــاب والظفـــر

وختام قصيدته : (دنيا الفناء) [٤] :

ســـلامٌ علـــى دنيـــا الفنـــاء فـــإنني أراهـــا كحلـــمٍ في الخيـــال منمـــق

وربما أخذت الخاتمة منحى آخر يتمثل في لجوئه للتسليم المطلق لله – ﷻ – ؛ كما في قصيدة : (تحية للمقبرة) [٥] :

رضيت بمـــا قـــضى الـــرحمن طـــرًا وقـــــدره قـــــضا ربي القـــــدير

وخاتمة قصيدة : (غيبوبة الحلم) [٦] :

لإلهـــي ســـلمت أمـــر غرامـــي ولـــيكن أمـــر خـــالقي المعبـــود

---

(١) ديوان علي دمر ، ص (١٧٠) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٩٣) .
(٣) أبو مجدي : هو فوزي القاوقجي .
(٤) ديوان علي دمر ، ص (٤٠٧) .
(٥) المصدر السابق ، ص (٤٥٠) .
(٦) المصدر السابق ، ص (٣٤٢) .

وخاتمة قصيدته : (الغربة الدائمة) (١) :

مـــا حـــيلتي حكـــم القـــضاء ء فـــلا مفـــر ولا هـــروب
هـــذا نـــصيبي غربـــةٌ كيـــف الخـــلاص مـــن النـــصيب

ولعل ما يفسر لنا هذه الظاهرة أن الشاعر ثقف ثقافة إسلامية أبـرزت لديـه تلـك الظاهرة ، التي ظهرت برزت شاخصة في كثير من قصائده ، فهو – دائمًا – ما يربط حياته بالقضاء والقدر ، وهو مؤمن بالتسليم التام لقضاء الله – ﷻ – وقدره .

أو أن يختم القصيدة بالتسبيح لله – ﷻ – ؛ مثل : قصيدة : (التلميح) (٢) :

فـــسبحان الـــذي ســـواك مـــا لي ســـوى دنيـــاك يـــا روحـــي مجـــال

أو يتفق له أن يختم بعض نصوصه بالتمني ، فقد خاب مسعاه ، وعبثًا حاول أن يجـد حلاً يبقي أمانيه في مهدها ؛ مثل : قصيدة : (صحوة) (٣) :

يـــا ليـــت روحـــي قبـــل صـــحوتها قـــد لفهـــا بـــضبابه أجلـــي

وختام قصيدة : (آخر الدرب) (٤) :

إن كان آخـــر دربي منـــك يحـــرمني يـــا ليـــت أنيً لم أولـــد ولم ألـــد

وختام قصيدة : (أبي) (٥) :

أبي يـــا ليـــتني لم آت يومًـــا إلى الـــدنيا ولم ترهـــا عيـــوني

ولا شك أن هذه الأمنيات نبتت وترعرعت في أرض فسيحة مـن التـشاؤم الـذي

(١) ديوان علي دمر ، ص (٤٣٢) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٢٩٠) .
(٣) المصدر السابق ، ص (٢٤٩) .
(٤) المصدر السابق ، ص (٣١٣) .
(٥) ديوان عالم الأسرة ، ص (٤) .

لازمه ، ودفعه لأن يتعجل موته ، وخاتمة أرقامه في هذه الحياة .

وهناك قصائد ختمها بالنداء ؛ مثل : قصيدة : (أحلى الثواني) (١) :

غرقت يـــا روح روحـــي يـــا نـــشوتي ودنـــاني
في موجـــةٍ مـــن حنـــانٍ طافـــت بحـــار المعـــاني

وختام قصيدة : (خيالك في لبنان) (٢) :

ورجعت أسفح عـــبرتي وأقـــول يـــا روحي على وهـــج التفـــرق نـــوحي

وختام قصيدته : (إشراق الغروب) (٣) :

فـــالعيش دون الحـــب محـــض ردى يـــا حـــب ذوبـــني إلى الأبـــد

أو قد يختم بعض قصائده بالأمر ؛ مثل : قصيدة : (قربي وأحرقي) (٤) :

قـــربي واحرقـــي فـــؤادي فـــإني أشـــتهي فيـــك بـــاللظى أن أذوبـــا

وختام قصيدة : (حواء) (٥) :

انشروا الحـــب علـــى الأرض تكـــن جنـــةً فيهـــا ظـــلال الرحمـــات

وختام قصيدة : (أفعى) (٦) :

فـــاغربي عـــن معـــارجي فالأفـــاعي لـــيس ترقـــى لعـــالمي النـــوراني

---

(١) ديوان علي دمر ، ص (٢٣٧) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٢٥٧) .
(٣) المصدر السابق ، ص (٢٨١) .
(٤) المصدر السابق ، ص (١٢٦) .
(٥) المصدر السابق ، ص (١٥٥) .
(٦) المصدر السابق ، ص (٣٤٠) .

وفي بعض القصائد كرر الألفاظ ؛ للدلالة على التأكيد ؛ مثل : قصيدة : (الوداع) [١] :

الوقوف الوقوف يا حادي الركـــب وخفف من محنتي والتياعي
الرجوع الرجوع نحو بلادي قد كفانا ما مر من أتراح

وختام قصيدة : (أرق) [٢] :

يا ضياعي يا ضياع العمر في هذي الفلاة
عندما يهجع كل الكون تصحو هاجساتي

وكما استخدم أسلوب التكرار ، فقد قوى معانيه من خلال رد الأعجاز على الصدور في مثل : قصيدة : (اللاجئين) [٣] :

كم دفعنا بالاحتجاج اعتداءً لم يفد غير نكبةٍ واعتداء

وخاتمة قصيدته : (غائب) [٤] :

قد كنت لي سلوةً في غربتي ولقد أحسست بعدك أني صرت مغتربا

وختام قصيدته : (قبر الحياة) [٥] :

زالت وسوف يزول ما بي من أسى والكل يعدو مسرعًا لزوال

أو يختمها بالطباق في مثل قصيدة : (ظمأ) [٦] :

---

(١) ديوان علي دمر ، ص (٤١٠) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٤١٢) .
(٣) المصدر السابق ، ص (١٠٨) .
(٤) المصدر السابق ، ص (١٢٢) .
(٥) المصدر السابق ، ص (٣٨٠) .
(٦) المصدر السابق ، ص (١١٧) .

نـــــسيت ســـــالف عهـــــدي يـــا مـــر قـــد كنـــت شـــهدي

وختام قصيدة : (الطائر الشريد) (١) :

تفـــاؤلي كـــان مـــشكاةٌ لأضـــوائي فعاد يأســـي يلغـــي كـــل أشـــيائي

وكذلك ختم بعض قصائده بالتضاد في مثل قصيدة : (التصريح) (٢) :

فنـــائي في هواهـــا لـــست أبغـــي بـــديلاً عنـــه في بعـــدٍ وقـــرب

وختام قصيدة : (عروس الأحلام) (٣) :

فيا ضيعة الآمـــال في كـــل مـــشرقٍ ويا خيبة الأحـــلام في كـــل مغـــرب

ولا شك أن هذه الخواتيم التي احتوت على المحسنات البديعية ، لها بهاؤها ونـــضارتها وجمالها ، فهي قادرة على تفريغ النص من شحناته التوترية ، وإيقاف التدفق الشعري عنـــد حد ينبغي له أن يقف عنده ، ولا ينبغي أن نغفل الجوانب الفنية المضيئة الـــتي تـــتلألأ بهـــا الخواتيم ، متى استخدمت استخدامًا لا تصنع فيه ولا تكلف .

وهناك خواتيم جاءت إجمالاً لما سبق عرضه في النص الشعري ؛ مثل : قصيدة : (لا عنصرية) ، فالشاعر كان يذب عن الإسلام تهمة الظلم والغشم والغزو ، فكان من المناسب أن يجمل تلك التفريعات ويجمع ذلك الشتات في آخر القصيدة ، وهذا ما فعلـــه ؛ حيـــث يقول (٤) :

فما نفـــع علـــمٍ للـــسلاح وللـــردى ونسف شعوب الأرض بالخسف والذعر
ولـــن تـــنعم الـــدنيا بـــأمنٍ وراحـــةٍ إذا لم يلح من أفقنـــا مطلـــع الفجـــر

(١) ديوان علي دمر ، ص (٣٥٧) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٢٩٢) .
(٣) المصدر السابق ، ص (١٨٥) .
(٤) راجع : المصدر السابق ، ص (٤٠) .

وختام قصيدته : (الحب الأول) [1] ، فالشاعر كان يتحدث عن عشرين سنة مضت لم يلتقِ مع محبوبته إلا من خلال طيفها ، وبدأ يصف ذلك المشهد ، حتى إذا بلغ منتهاه قال :

أعيش على بقايا من غرامٍ ... ستحيا في بقايا من رفاتي

وختام قصيدته : (إلى الأحرار السود) ، فقد أراد الشاعر أن يعالج قضية التمييز العنصري من خلال أدلة يراها فاصلة وحجج مقنعة ، فلا أصل لذلك التمييز ، فختم نصه بقوله [2] :

إن الجمال تعددٌ وتنوعٌ ... ما اختص لونٌ بالجمال فريدا
وأخوة الإنسان أصلٌ ثابتٌ ... وفروع دوحته سمت تخليدا

وله من القصائد التي ختمها بالحكمة في مثل : قصيدة (رسالة من الشمال إلى عدن) ، التي يقول في خاتمتها [3] :

إنما النار مطهرٌ للخطايا ... بعد عصف النيران تحيا الشعوب

وختام قصيدته : (دمعة على الأندلس) [4] :

كم حطم التفريق من أممٍ وكم ... يطغى على بيض الحوادث سودها

وختام قصيدته : (دمعة الحرمان) [5] :

إن كنت بين رعاع الناس لا عجبًا ... فالورد منبته ما بين أشواك

---

(١) راجع : ديوان علي دمر ، ص (١٥٤) .
(٢) راجع : المصدر السابق ، ص (١٦٠) .
(٣) المصدر السابق ، ص (٥٨) .
(٤) المصدر السابق ، ص (٦١) .
(٥) المصدر السابق ، ص (١٤٦) .

وهذا النوع من الختام جيد ؛ متى انطلقت فيه الحكمة من تجربة الشاعر ، ومن تضاريس النص ، و لم يظهر عليها عسف واجتلاب .

الفصل الثاني

اللغة

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : الألفاظ .

المبحث الثاني : التراكيب .

الفصل الثاني

اللغة

اللغة : هي المادة الأولى التي يشكل الشاعر منها وبها بناءه الشعري بكل وسائل التشكيل الشعري المعروفة ، أي أنها الأداة الأم التي تخرج كل الأدوات الشعرية الأخرى من تحت ردائها ، وتمارس دورها في إطارها (١) .

واللغة ملتزمة التزامًا كاملاً في نقل مشاعر الشاعر وخواطره إلى نفس القارئ ، وذلك بما تنقله من هذه المشاعر والأفكار ، واللغة والفكر متصلان اتصالاً دائمًا ، كما أن اللغة الشعرية من غاياتها : " أنها تثير وتحرك وتهز الأعماق ، وتفتح أبواب الاستباق ، وهي تهامسنا ؛ لكي نصير أكثر مما تهامسنا لكي نتلقن ، إنها تيار تحولات يغير فينا بإيحائه وإيقاعه " (٢) .

" والشعر هو النبع الرئيسي لصياغة اللغة وتجريدها ، . . . ونضجها وغنائها ، وهي – دائمًا – تولد في ثورة ، ثم تمر بفترات تطورها واتساعها قبل أن تصير إلى الجمود والقوالب الآلية " (٣) .

والشعر كما يقول شارلتون : " مؤلف من ألفاظ ، ومن ألفاظ فقط ، فكل ما للشعر من سحر يفتن القلوب ؛ إنما هو صادر عن الألفاظ وحدها " (٤) .

ودمر يحرص على إيقاظ الشعور ، ولفت الوجدان من خلال لغته الشعرية ، التي تمتزج

---

(١) انظر : بناء القصيدة العربية الحديثة ، لعلي عشري زايد ، مكتبة دار العلوم بالقاهرة ، ١٩٧٨/١م ، ص (٤٢٠) .

(٢) مقدمة في الشعر العربي ، لعلي أحمد سعيد (أدونيس) ، دار العودة ببيروت ، ١٩٨٣/٤م ، ص (٧٩) .

(٣) شعراء البحرين في العصر الجاهلي ، لإسماعيل العالم ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٤م ، ص (٢٨٨) .

(٤) انظر : الاتجاه الرومانسي في شعر يوسف أبي سعد ، لفوزية الرويشد ، (رسالة ماجستير مخطوطة) ، جامعة الملك فيصل ، ١٤٢١هـ ، ص (٨٦) .

بالتراث القديم ، وتأخذ من لغة الشعر الحديث في آن واحد ، فتتداخل وتبرز في شعره لوحة ممتزجة بين الموروث والحديث ، تتغير نسبة امتزاجها ودلالتها بحسب أدائه اللغوي .

المبحث الأول

الألفاظ

الألفاظ : هي اللبنات التي تبنى بها القصيدة ، واللفظة الواحدة بدلالتها كائن حي يعيش ويتطور وينقل ، ويستخدم الشعر هذه الألفاظ يجدد قيمتها ، ويجدد حياتها (١) .

والشاعر المبدع هو الذي يحسن التعامل مع الألفاظ ، ويختار منها ما يحس بوقعه في نفسه ، ونفس المتلقي ، و " اختيار الألفاظ المناسبة [له أثر في الإبداع] الأدبي ، فالكلام موضوع للإبانة عن الأغراض التي في النفوس ، وإذا كان كذلك وجب أن يتخير من اللفظ ما كان أقرب إلى الدلالة على المراد ، وأوضح في الإبانة عن المعنى " (٢) .

ولا شك أن لكل شاعر طريقته المختلفة عن طريقة غيره من الشعراء الآخرين في استخدام الألفاظ ، وتوظيفها ؛ بحسب مستواه الثقافي ، وتفسيره للأشياء أدبيًا وفلسفيًا ؛ ومن هنا تظهر لنا شخصيته الفكرية ، ولغته التي تميزه عن غيره (٣) ، كما أن لكل شاعر معجمه اللغوي ، الذي يتفرد به عن غيره من الشعراء ، بعد أن كان صدى لشعراء آخرين ، " وتلك سمة أصالة ، تحسب له ، وهو بذلك يمثل [المخزن اللفظي] الخاص بالشاعر ، الذي يكشف عن [روافد] ثقافته . . . . كما يمكن أن يستدل به على قدرة الشاعر على تحميل اللفظ القديم رؤى خاصة مستحدثة ، ومثل [دمر] عاش المرحلة الخصبة التي انتقل فيها الشعر العربي من مرحلة التقليد إلى مرحلة التجديد " (٤) .

---

(١) انظر : شعراء عبد القيس في العصر الجاهلي ، للدكتور : عبد الحميد المعيني ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٦م ، ص (٢٠٥) .

(٢) التحرير الأدبي ، دراسات نظرية ونماذج تطبيقية ، للدكتور : حسين علي محمد ، مكتبة العبيكان بالرياض ، ١٤٢٤/٤هـ ، ص (٣٧٨ - ٣٧٩) .

(٣) انظر : الأسلوب ، لأحمد الشايب ، النهضة المصرية ، ١٩٦٦/٦م ، ص (١٢٧) .

(٤) في الحديث عن الأميري : البناء الفني في شعر الأميري ، للدكتور : خالد الحلبي ، ص (٢٢٢) .

وبالنظر إلى الألفاظ عند الشاعر ، نجدها لا تخرج – في الغالب – عن الألفاظ المستمدة من التراث الديني والأدبي ، وهناك ألفاظ مستمدة من الواقعية اللغوية .

وقد وفق الشاعر في أن يستخدم معجمًا شعريًا يوافق نفسه الشفافة ، وقلبه المتيم ، وعالمه المتخيل ، وروحه الساخطة المتمردة ، فتوفر في ألفاظه البساطة والدقة ، والسهولة والوضوح ، والبعد عن التعقيد والاضطراب ؛ ومن نماذج تلك الدقة على مستوى اللفظة كلمة (ضممتك) في قوله (١) :

حتى إذا ألقيت نفسك ضاحكًا فوقي ضممتك للفؤاد الحاني

توحي بالعطف والرأفة والقرب والحنان الذي ينبري في الطفولة التي يبدو أن الشاعر يحن إليها .

ومنها لفظتا (هدني) ، و (يهيم) في قوله (٢) :

أسفًا ضياعك هدني يا روحي يأسي يهيم بمأملي المذبوح

فالشاعر يلتقط من بيئته (الشامية) لفظة (هدني) ، ولكنه يغمسها في روحه الشعرية ، وهذا منسجم مع ما أصابه في رحلة البحث عن المجهولة . أما كلمة (يهيم) ، فقد عبرت تعبيرًا متسقًا مع الحالة التي كان عليها الشاعر ، ثم إن من يهيم لا وجهة له ، فبدا واضحًا أن اليأس أسهم في ذبح أمل الشاعر .

ومنها لفظة (شاخت) في قوله (٣) :

كيف انبعثت بعالمي أوما شاخت به آمال ذي نكد

فهكذا (شاخت) بدلاً من كبرت أو غيرها ؛ لتلائم الحالة النفسية التي كان عليها هذا العاشق ، ولا شك أنها شخصت بؤسه ويأسه ، وأغنت عن جمل طوال .

---

(١) ديوان عالم الأسرة ، ص (١٥) .

(٢) ديوان علي دمر ، ص (٢٥٦) .

(٣) المصدر السابق ، ص (٢٧٧) .

ومنها – أيضًا – لفظة (غزوت) في قوله [1] :

غزوت دنياك يحـــدو مـــأملي الظفـــر غنائمي في هواك الـــشوق والـــسهر

توحي بالفرض والمجازفة والمفاجأة والجسارة والتجريب ، وهذا متناغم مـــع قصـــصه الغرامية التي كان الفارس فيها الحب من طرف واحد .

ولكن هذه الدقة لم تحمه من بعض الاستخدامات المضطربة ، وغير الدقيقـــة ، مثـــل قوله [2] :

وعلـــى قلـــبي قـــد ألـــصقته عـــل أضـــلاعي ترتـــاح بـــه

فلفظة (ألصقته) لا تتسق مع الحنان والعطف ، ففيها افتعال وجفاف ، فكان الأولى لفظة (أضمه) .

وقد تأثر بمدرسة المهجر ، وبالاتجاه الرومانسي في شعره ، فإن كثيرًا من ألفاظه قـــد استلهمها من عالم الطبيعة ذلك العالم الذي يحتوي عالمه النفسي ، ومن ذلك قوله [3] :

رقص الطـــير وغـــنى وهـــو غريـــدٌ طـــروب
يوقظ الوجـــد غنـــاءٌ مثلمـــا نـــاح الغريـــب
كم قطفنـــا ونثرنـــا الزهـــر إبـــان الغـــروب
وابتسمنا وشـــعاع البـــدر في النـــهر يـــذوب
آه يا ليـــل وللـــذكرى دبيـــبٌ في القلـــوب
بعدما يخبـــو بهـــا ضـــوءٌ ويغـــشاها لغـــوب
حدثيني يا نجـــوم الليـــل مـــن قبـــل المغيـــب
عن زمانٍ كان لي فيـــه مـــن الـــصفو نـــصيب

(١) ديوان علي دمر ، ص (٣٢١) .
(٢) ديوان عالم الأسرة ، ص (١٨) .
(٣) ديوان علي دمر ، ص (١٢٨ – ١٢٩) .

أما إذا رسم ألفاظًا تتناسب مع حالته النفسية ، ومعاناته الدائمة للألم والحرمان ، فإننا نلحظ أنه يغلف قصائده بغلاف الرقة ، ويطليها بطلاء رمادي يتناسب مع جوه النفسي ، وسنلحظ – أيضًا – كمية من المعاني التي تمثل تجربته الشعرية ، ونرى هذا ممثلاً في قصيدته : (العدم الموجد) (١) :

غربت شمسك عن أفق حياتي ... يا ضياعي في بحار الظلمات
زورقي تحت الدجى مضطربٌ ... بين أمواج المحيط العاتيات
كان لي حبك نورًا هاديًا ... كان لي حبك (إكسير) الحياة
كنت لي روحًا فمذ غبت ذوى ... كل شيءٍ فحياتي كمماتي
كنت لي في كل شيءٍ نشوةً ... تبعث الفرحة في أعماق ذاتي

واتجاهه الوجداني جعله يعتمد في قصائده على ألفاظ معينة ، ونسيج متفرد ؛ ليوجد لكل حس إيحاء ، وتظهر لغته الشعرية لوحات مختلطة ، بالحركة أحيانًا ، وبالسكون أحيانًا ، وبالتلوين أحيانًا أخر . " فلا يصفه وصفًا تقليديًا في لوحات جامدة ، إنما يصفه وصفًا حركيًا . . . [متتبعًا لحالاته النفسية] " (٢) ، فلغته توظف الدلالات الشعورية والإسقاطات النفسية كغيره من شعراء الوجدان .

ولدى الشاعر قصائد حافلة بالألفاظ التي تختلط فيها المشاعر ما بين الحزن والفرح ، والظلام والشك ، والألم والشقاء ، والحركة والسكون ، وهي ألفاظ ذات معان تشاؤمية ، وذات دلالات وجدانية تناسب انعزاليته ، وعالمه القلق الحائر ؛ ومن ذلك (٣) :

فأين رنة تصخابٍ له ارتفعت ... في البهو يعدو كأن الصوت أوتار ؟
وأين طيب الهوى أيام كان هنا ... والليل سكران تشدو فيه أطيار ؟
يلهو ويرتع في أنسٍ وفي دعةٍ ... كما تمايل بالأنسام أزهار

(١) ديوان علي دمر ، ص (٣٤٢) .
(٢) الاتجاه الرومانسي في شعر يوسف أبي سعد ، لفوزية الرويشد ، ص (٨٦) .
(٣) ديوان علي دمر ، ص (٢١٨) .

إذا تبـــسم يجلـــو ضـــوء بـــسمته لون الظـــلام ومنـــه الثغـــر معطـــار

تتجلى في النص ملامح اتجاهه الوجداني من خلال تعامله مع الألفاظ ، فهو يستخدم ألفاظًا ذات طابع وجداني رومانسي ؛ من مثل : (يعدو ، أوتار ، الليل ، تشدو ، أطيـــار ، أنسام ، أزهار ، تبسم ، يجلو ، ضوء ، لون ، الظلام ، الثغر ، . . .) .

كما ظهرت آثار ثقافته على اختياره لألفاظه بشكل واضح ؛ وتلك الثقافة مكتـــسبة من مجالات عديدة : أدبية ودينية وتاريخية ونفسية وفلسفية وعلمية ، فدار عدد من الألفاظ والمسميات العلمية في شعره بشكل محدود ، غير نافر إلى حد كبير ؛ فالشاعر يمتلك حـــسًا موسيقيًا عذبًا ، يمده بذوق مرهف في اختياره للفظ ، وتوظيفه توظيفًا مناسبًا . فمن الألفاظ الفلسفية : (الحياة ، والمساواة ، والمبادئ ، والعنصر ، والجنس ، والمعلـــوم ، والتحويـــل ، والفناء ، والروح ، والجسد ، والكل ، والفكر ، والجزء ، والطين ، والـــصهر ، والكنـــه ، والذات ، واللا وجود ، وعلوية) . ومن علم النفس : (الوجود ، وتتعالى ، وتتـــسامى ، والاضطراب ، واليأس ، والوهم ، والتحطيم ، والنشوة ، والكبـــت ، والأنـــا) . ومـــن السياسة : (الأحزاب ، والإقطاع ، والاستعمار ، والفيتو ، والماسونية ، والقومية) . ومن علم الفقه : (عتيق ، وطهور ، وزكاة) . ومن العقيدة : (القرين) . ومـــن الفيزيـــاء : (العنصر) .

وكان لأعماله الوظيفية أثر في معجمه اللفظي : فالشاعر مارس الخطابة والتعليم منـــذ شبابه ، فبرزت ألفاظ ذات دلالات خطابية ، وكذلك تعليمية ؛ مثل : (أفيقوا ، وارفـــع ، وأسمعونا ، والعدل ، وشمخت) . الألفاظ التعليمية : (التحضير ، والكراريس ، والتدريب ، ومدرس) . وكذلك تأثر كثيرًا بالقرآن الكريم ، فكثير من ألفاظه متأثرة باللفظ القـــرآني ؛ مثل : (السكينة ، والنعيم ، والجحيم ، والمكنون ، والسلم ، والذل ، والطغيان ، والبغي ، والجهر ، والزحف ، والرحيق ، ويسجد ، وقبس ، والحرم) .

والشاعر حينما تثار مشاعره ، وتنفعل نفسه ، يلجأ إلى تكرار الألفاظ ؛ لينشر ضوءًا على صوره النابعة من وجدانه ، وهو بهذا يستدعي المعاني من خلال قانون التـــردد الـــذي

ارتبط به التكرار (١) ؛ ومن الأمثلة قوله (٢) :

حـــوارٌ بيننـــا مـــا زال يجـــري ... كأنـــا لا نـــزال علـــى صـــلات
حـــوار عيوننـــا لمـــا تناجـــت ... بتلـــك الأمـــسيات الحالمـــات
حـــوار قلوبنـــا مـــن غـــير نطـــقٍ ... ســـوى خفـــق العـــروق النابـــضات
لغـــاتٌ بيننـــا شـــتى تعالـــت ... على كـــل الحـــروف مـــن اللغـــات
حـــديثٌ تهمـــس البـــسمات فيـــه ... فنـــصغي للـــشفاه الهامـــسات
حـــديثٌ تـــشرق الأعمـــاق فيـــه ... بـــآلاف النجـــوم الـــنيرات

إن هذا التكرير الماثل في الأبيات المذكورة يعكس لنا الحالة الشعورية التي تلح علـى الشاعر إلحاحًا ، فلا يجد بدًا من التعبير عنها بالتكرار .

ومن الأمثلة كذلك قوله (٣) :

وكانـــت أزاهـــير الـــصباح نديـــةً ... بروضي تسقى في العشيات من نهـــري
وكانـــت بـــساتيني ربيعًـــا منـــورًا ... كأن حياتي كلـــها مـــن شـــذا زهـــر
. . . . . .
أتيـــت فلـــم تـــورق لمـــرآك تـــربتي ... ومرآك أحنى من غمامٍ علـــى فجـــر
أتيت لماذا قد تأخرت عـــن ضـــحى ... ترقبت فيـــه أن تجيئـــي إلى العـــصر
أتيت ولكن فـــات وقـــت صـــباحنا ... وليلي هـــذا لـــون فجـــرٍ ولا بـــدر

إن مستوى الإبداع في تكرار الألفاظ في الأبيـــات لا يكمـــن في تـــوالي الألفـــاظ وتكريرها ، إنما يكمن في الإيحاء الدلالي لتوالي هذه الألفاظ التي منح تكرارها الشاعر القدرة على التنفيس ، والحجة التي يتشبث بها ، ويحاول أن يقنع بها تلك العائدة إليه بعد انطفـــاء

(١) انظر : شعر بني عامر من الجاهلية حتى آخر العصر الأموي ، للدكتور : عبد الرحمن الوصيفي ، نادي المدينـــة المنورة الأدبي ، دار العلوم جدة ، ص (٢٣٧) .
(٢) ديوان علي دمر ، ص (١٥٣) .
(٣) المصدر السابق ، ص (١٥٦ - ١٥٧) .

شعلة عمره . ولا أدري أكان الشاعر قصد بهذا التكرير أن يوبخ تلك العائدة ، أو يعتب على الزمن الذي لم يجد بهذا اللقاء إلا حينما انتقل إلى خريف عمره ، فتعرت قصائده من الحب ، وغدا روض مشاعره بلقعًا .

ومنه قوله (١) :

أفرحت أن جاء الربيع ... وأنت أفراح الربيع
إن الربيع لينتشي ... من طيف مرآك البديع
أسررت أن رد الربيع ... إليك أحلام الشباب
ولقد وجدتك أنت أحـ ... ـلام الربيع المستطاب

ما أجملَ هذا التكرار للفظة (الربيع) ! ، وما أحسنَ موقعه ومبناه ! ، فقد اجتمع له عذوبة في النغم ، وتجلية لمظاهر الفرح والسرور التي كان عليها الشاعر ، ولعمري لقد أجاد الشاعر في توظيفه فنيًا فنجح كثيرًا قي نقل الحالة الشعورية التي كانت تحيط بها البهجة ، وهل هناك أدل عليها من الربيع ؟ .

والشاعر يكرر الألفاظ ويعيدها ليصبغ منها على نفسه ما أراده على الخصوص ؛ لذلك نراه يستحث المعاني في القصيدة ذاتها ؛ من ذلك قوله (٢) :

شعرها ليلي الرهيب لدى الهجـ ... ـر تغور النجوم خوف لقاه
شعرها وحشتي لدى البحر يغفو ... مرهبًا في الدجى وطال كراه
شعرها المعرض المخيف دعاني ... أعشق الهول رغبةً في رضاه
شعرها كهفي السحيق بغورٍ ... ليس تبدو لخائفٍ كفاه
شعرها حظي المطلسم يهوي ... في سراديب صدها ودعاه
شعرها يغمر البرايا بحارًا ... تحت ليلٍ ضبابه يخشاه

(١) ديوان علي دمر ، ص (١٥٩) .

(٢) المصدر السابق ، ص (٤٩٢ - ٤٩٣) .

وهناك ألفاظ كثيرة متكررة في قصائده ، وهذه الألفاظ تتقاذف بحسب طبيعة الموضوع ؛ مثل : (الحب ، والغرام ، والعشق ، والوجد ، والألم ، والحرمان ، والصبر ، واليأس ، والطموح ، والموت ، والبحر ، والسماء ، والليل ، والفجر ، والضحى ، والصباح ، والندى ، والزهر ، والورد ، والثمر ، والروضة ، والطين ، والنور ، والملاك ، والجمال ، والشعاع ، والحزن ، والأنين ، والنار ، والجحيم ، والجنة ، والموقد ، والشكوى ، والخوف ، والقلب ، والخلجات ، والكوخ . . .) .

وقد يلجأ الشاعر إلى الجناس ؛ ليقوي المعنى ، ويتم به بناء الجملة ، " فاللفظة عندما ترد توحي له بما يتولد منها ، وبما يدور حول الفكرة " (١) ؛ من مثل (٢) :

حيث الجنان بحورها وبحورها والعيش يضحك ناعمًا معسولاً

فقد جانس بين لفظتي : (بحورها) ، و (حورها) جمع حوراء . وقوله (٣) :

عش بعيدًا عن كل حربٍ وكربٍ في سلامٍ ونعمةٍ مضمونه

فقد جانس بين كلمتي : (حرب) ، و (كرب) . وقوله (٤) :

دنسوا أرضنا وداسوا علانا وانكفأنا ورزقنا منهوب

دنسوا وداسوا . وقوله (٥) :

وسام أو شام لفظٌ واحدٌ وله يسمو الأعاريب من بدء المقادير

سام وشام .

---

(١) مكة في شعر حسين عرب ، للدكتور : محمود إسماعيل عمار ، ص (١٧٨) .

(٢) ديوان علي دمر ، ص (٤٧٧) .

(٣) المصدر السابق ، ص (٣١) .

(٤) المصدر السابق ، ص (٥٧) .

(٥) المصدر السابق ، ص (٨١) .

وقوله (١) :

نحن شعبٌ موحدٌ حده الله ... له لدنيا تذيب كل فضول

فنجد : (موحد) اسم مفعول ، و (وحد) فعلاً ماضيًا ، والمادة واحدة ، ومثله قوله (٢) :

كم من مؤامرةٍ حيكت وما نجحت ... مع أن حائكها في المكر شيطان

فحيكت فعل ماض مبني للمجهول ، وحائك اسم فاعل ، والمادة واحدة الحوك الحياكة ، ومثله قوله (٣) :

قسوت قسوة جبارٍ على كبدي ... لم يقسها أحدٌ قبلاً على أحد

نجد : الفعل الماضي (قسوت) ، واسم المرة (قسوة) ، والفعل المضارع (لم يقسها) . والتكرار في لفظة أحد .

ومن الظواهر التي برزت في لغته : ظاهرة الترادف ؛ ومن الأمثلة على ذلك قوله (٤) :

كل ندبٍ من المغاوير صلدٍ ... لا يبالي الأهوال والأخطارا

فنجد : كلمتي : (أهوال وأخطار) وهما مترادفتان متقاربتان في المعنى والوزن . وقوله (٥) :

بجحفلٍ ضخمٍ كيوم المحشر
من كل ليثٍ كاسرٍ غضنفر

(١) ديوان علي دمر ، ص (٤٦) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٧٦) .
(٣) المصدر السابق ، ص (١٣١) .
(٤) المصدر السابق ، ص (٩٥) .
(٥) المصدر السابق ، ص (٩٦) .

فنجد : أن كلمتي : (ليث وغضنفر) كلتيهما اسمان للأسد . وقوله [١] :

يا من يحاول سلب الناس حقهم العسف والظلم يأتي بعده الهون

الترادف بين (العسف) ، و (الظلم) . وقوله [٢] :

عشنا دهورًا ولا شيئًا يفرقنا بلا حدودٍ بلا قيود أصفاد

الكلمتان المترادفتان : (قيود) ، و (أصفاد) . وقوله [٣] :

وما بسمة الآمال إلا خديعةٌ أخف إليها ثم أكبو وأعثر

(أكبو وأعثر) كلمتان مترادفتان . وقوله [٤] :

وحدي ووحدك لا خلفٌ ومشكلةٌ ولا اختلاطٌ أتى بالشك والريب

الترادف بين : (الشك) ، (الريب) .

ومما قوى به معانيه وحقق به موسيقاه وبنى به جمله : المطابقة بين الألفاظ ؛ ومن الأمثلة على ذلك قوله [٥] :

أرجعوني إلى صراعٍ وفقرٍ وخذوا هدأة الغنى وسكونه

فقد طابق بين : (الفقر) ، و (الغنى) ، والترادف بين (هدأة) ، و (سكون) . وقوله [٦] :

---

(١) ديوان علي دمر ، ص (٩٨) .
(٢) المصدر السابق ، ص (١١٢) .
(٣) المصدر السابق ، ص (٣٧٤) .
(٤) ديوان عالم الأسرة ، ص (٤٠) .
(٥) ديوان علي دمر ، (٣٢) .
(٦) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

حركـــوني مـــع النـــضال اقتحامًـــا وارتـــــدادًا ولينـــــةً وخـــــشونه

الطباق بين : (اللينة) ، و (الخشونة) . ومثله قوله [1] :

كم ركزنا في الـــشرق منـــا بنـــودًا وحـــشدنا في الغـــرب منـــا جنـــودا
وأمـــــام القـــضاة بالعـــدل منـــا وقـــف الظلـــم خاشـــعًا رعديـــدا

الطباق بين : (الشرق) ، و (الغـــرب) ، وبـــين (العـــدل) ، و (الظلـــم) . وقوله [2] :

أقـــام عكرمـــة الهيجـــا وأقعـــدها بـــأبيضٍ مـــن دم الفجـــار مختـــضب

الطباق بين : (أقام) ، و (أقعد) . وقوله [3] :

فـــلا فخـــر في غـــزوٍ ولا بتـــسلط ولكن بنفع الخلق في الـــسر والجهـــر

فقد طابق بين : (السر) ، و (الجهر) . وقوله [4] :

وليس لنـــا في زحفنـــا غـــير غايـــةٍ نبلغ أمـــر الله في الـــسهل والـــوعر

المطابقة بين : (السهل) ، و (الوعر) .

ومما توافر في لغته : الترصيع والموازنة ، فقد حاول توظيفه توظيفًا فنيًا جيدًا ، وقد نجح في ذلك ؛ حيث خدم به المعنى ؛ ومن الأمثلة على ذلك قوله [5] :

هـــذا يطـــير وذا يـــسير وذا علـــى نغماتـــــه تتبـــــدد الأشـــــجان

---

(١) ديوان علي دمر ، ص (٣٥) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٣٨) .
(٣) المصدر السابق ، ص (٣٩) .
(٤) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .
(٥) المصدر السابق ، ص (١٤٢) .

وقوله (١) :

وطـــني المحبـــب ســـوريا وعـــشيرتي أهـــواه مهمـــا عقـــني وقـــلاني

وقوله (٢) :

إن كنـــــت تبغـــــي وأبغـــــي أن نلتقـــــي كـــــل يـــــوم
ففـــــي شـــــعورك شـــــعري وبـــــين كفيـــــك رسمـــــي

وقوله (٣) :

دللـــت رفهـــت أولادي وأمهـــم بكل وسعي وما في العمر من نـــصب
بنيت أسكنت في عـــزي وفي دعـــتي أنشأت أبناءنـــا ســـامين كالـــشهب

وألفاظ دمر سهلة لا تحتاج إلى استشارة القواميس ، وما وجدته في شعره من الغريب لا يتكاثر في مواضع معينة ، وإنما جاء موزعًا بين القصائد ، مفرقًا في العبـــارات ؛ بحيـــث يكشف السياق والقرائن التي تحيط به معناه في الغالب ؛ من مثل : (كـــلال ، والطغـــام ، والجمام) .

ومن المآخذ التي تؤخذ عليه : استعماله بعض الكلمات النثرية العادية البعيـــدة عـــن الشعر ؛ مثل (عكس ، ومقياس ، وقشر ، ومباشرة ، واقتضاب ، وظروف ، وانـــدمجنا ، واستقرار . . .) .

وإذا نظرنا إلى ألفاظه من حيث الفصاحة ؛ وجدناها فصيحة – في مجملـــها – إلا أن الممعن في النظر يجد بعض الألفاظ الأعجمية ، وغالبها أسماء أشخاص ، أو بلدان ؛ مثـــل : (فرنسة ، ونيويورك ، وهوليود ، وأسبانيا ، وكوهين ، وجلوب ، وجوسيكا ، وجـــويم ، وفينوس ، وهومير ، وفرعون . . .) .

---

(١) ديوان حنين الليالي ، ص (٦٧) .
(٢) المصدر السابق ، ص (١٢٣) .
(٣) ديوان عالم الأسرة ، ص (٣٢) .

ومن المآخذ – أيضًا – : تساهله في اللغة ، ومخالفته لقواعد النحو والصرف ؛ مثل قوله (١) :

صنفان بعضٌ في الحضيض مسخرٌ والبعض في الترف اللذيذ الهاني

وقوله (٢) :

ألم تبصري رعشتي كلما نظرت إلى الغير يا قاسيه

وقوله (٣) :

وحاشاك من هذا ومن كل خسةٍ فأنت إله الكل والعدل واحد

فالشاعر في هذه الشواهد قد عرف كلاً من (بعض ، وغير ، وكل) بالألف واللام ، والصحيح أن يستعاض عن ذلك بالإضافة لاسم ظاهر أو ضمير .

ومن الأمثلة على تساهله ومخالفته القواعد النحوية قوله (٤) :

سائرًا للخلود رغم العوادي رغم حساد فنه ولبابه

فقد استخدم كلمة : (رغم) في البيت دون أن يدخل عليها حرفًا من حرفي الجر اللذين لا بد من دخول أحدهما عليها ، وهما : الباء وعلى .

ولأن الأفعال والمشتقات لها أهمية بالغة في بناء النصوص الأدبية عامة ، والشعرية خاصة بوصفهما المنشط الرئيس للمعاني والصور ، ارتأيت أن أتتبع استعمالات الشاعر للأفعال والمشتقات في ديوان : حنين الليالي ، الذي نال شهرة ؛ بسبب أن رابطة الأدب الحديث قامت بطبعه ونشره ، وفيما يلي جدول يوضح استخدامات دمر للأفعال والمشتقات .

---

(١) ديوان علي دمر ، ص (٣٦٧) .

(٢) المصدر السابق ، ص (١١٨) .

(٣) ديوان عالم الأسرة ، ص (٤٤) .

(٤) ديوان رعشات ، ص (١٣) .

م	الأفعال	العدد	النسبة	م	المشتقات	العدد	النسبة
١-	الماضـــي	٧٢٨	٥١٪	١-	صيغ المبالغـــة	٨٠	١٦,٥٪
٢-	المضارع	٦٦٣	٤٧٪	٢-	الصفة المشبهة	٢٥	٥,٥٪
٣-	الأمـــــر	٣٨	٢٪	٣-	اسم الفاعل	٣٠٥	٦٢,٥٪
				٤-	اسم المفعول	٧٨	١٥,٥٪
الأفعال		النسبة		المشتقات		النسبة	
١٤٢٩		٧٥٪		٤٨٨		٢٥٪	

ويجدر بي أن أنبه إلى أن استخدامها اقتضتها الظروف التي عاشها الشاعر ، ومما يجب الإقرار به أن دمرًا قد وُفِّق إلى حد كبير في استعمال تلك الأفعال والمشتقات ، فقد كـــان لكل منها أثر فعال في نصوصه الشعرية سواء على المستوى الفني أم المعنـــوي أم النفـــسي . ولقد اختار منها أوسعها وأشهرها استعمالاً في العربية ، وأعمقها تأثيرًا في المعاني والصور ، و لم يقتصر اختياره على الألفاظ ، بل تجاوز إلى اختيار المواضع والحالات .

ومن الظواهر التي برزت في شعره ظاهرة تتابع الأفعال :

إن الشاعر مولع بنقل الحدث ، ومتابع له خطوة خطوة ؛ ومن ذلك قوله (١) :

فهرولت أستعطي سلاحًا فلـــم أجـــد فـــسرت وروحـــي ثـــورةٌ تتـــضرم

لقد تتبع الشاعر الحدث من خلال تتابع الأفعال ، واســتطاع أن يطــور الحــدث ، ويسهم في بث الحركة فيه عن طريق ذلك التتابع التدريجي الذي عمق المعنى .

والشاعر توسل الأفعال في شعره الغزلي ، لتمتح من عمق تجربته ، وترصـــد حالاتـــه النفسية كقوله (٢) :

جلـــــست أحملـــــق في ظلمـــــتي وأرنـــــو بغـــــيظٍ إلى أشـــــطري
وهـــــاج انتقـــــامي في عـــــزتي وصـــــاح جننـــــت ولم أصـــــبري

(١) ديوان علي دمر ، ص (٦٨) .

(٢) المصدر السابق ، ص (١١٩) .

إن هذا الاحتشاد للأفعال في خاتمة قصيدته (انتقام) متوافق مع التجربة ، وكاشف للمشاعر الباطنية الخفية ، وبكون هذا الاحتشاد آخر ما يتلقاه المتلقي من الشاعر ، فيستمر التواصل بينهما حتى بعد انتهاء النص الشعري ؛ حيث إن المتلقي لا يزال يتابع الحدث من خلال الانفعال الذي انتقل إليه من الشاعر عن طريق ذلك الحشد الرائع الذي رسم لنا أكثر من مشهد ولوحة .

والشاعر حينما يكون في موضع المفاخرة يميل إلى الصفة المشبه واسم الفاعل ، وحينما يبالغ يستخدم صيغ المبالغة ، وحينما يكون في موضع اليأس والحسرة والعتاب يستعمل اسم المفعول ، وكذلك اختار المواقع الملائمة لتلك الأفعال والمشتقات ، فمن ذلك استعماله لفظة (الكذوب) ، وهي صيغة مقترنة بالألف واللام ؛ للمبالغة في قوله [1] :

إنما الشعر كالنبوة لا يز داد فيها الكذوب إلا افتضاحا

فما دام الشاعر في موقف التقريع والفضح ، فقد لجأ إلى المبالغة في وصف الدخلاء على الشعر ، ومنه – أيضًا – قوله [2] :

شعرٌ كحظي أو كليلٍ دامسٍ والثغر كالبرق اللموع الساري

الشاعر في مقام وصف ؛ لذلك كان لا بد من توظيف صيغة (فعول) للمبالغة ، وإخراج الصورة إخراجًا يتلاءم مع حالته النفسية التي عبر عنها في قوله : (شعر كحظي) ، ومنه قوله [3] :

لم يبق من دنياك في خاطري إلا خيال الزمن الغابر
ونفحةٌ للذكر لهابةٌ في قلبي المستسلم الفاتر
أصبحت عندى منيةٌ تختفي في طي عمري الذاهب الداثر
صرت بقايا الوهم تبدو على ضوء حباب القدح الزاهر

(١) ديوان علي دمر ، ص (٤٤٥) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٤٧٣) .
(٣) المصدر السابق ، ص (٤٨٩ – ٤٩٠) .

قد كنت من دنياك في روضةٍ مزدانةٍ في وردها العاطر
أشم منها كل ما أبتغي من فلها أو زهرها الباهر

فالشاعر قد استخدم في هذه الأبيات اسم الفاعل بكثرة حتى طغى عليها . وأسماء الفاعلين كالآتي : (خاطر ، وغابر ، ومستسلم ، وفاتر ، وذاهب ، وداثر ، وزاهر ، ومزدانة ، وعاطر ، وباهر) . (عاطر) وهي دالة على التجدد والحدوث ، فالصيغة تدل على التجدد ، فالورد إذا اعتني به عناية جيدة تجددت رائحته يومًا بعد يوم . ومن استخدام هذا البناء كذلك في قصيدة (إلى الله) (١) :

خفيت فلم تبصرك مني النواظر وفي كل ما أرنو له أنت ظاهر
أنا الطين لا يسري ضياك بمعدني فلا غرو أني في الدياجير حائر
تحجبت حتى خلت أني بمفردي فرحت غريرًا لاهيًا لا أحاذر
إذا كنت من ماءٍ مهينٍ فكيف لي بفهم الذي فوق البرية قاهر
تقاذفني موج الحياة كأنني قذاةٌ بسطح البحر والبحر زاخر
كأني فرخٌ في ليالٍ مواطر بقفرٍ مخيفٍ والرعود هوادر

نلاحظ : في هذه الأبيات أسماء الفاعلين : (ظاهر ، وحائر ، ولاهٍ ، وقاهر ، وزاخر ، ومواطر ، وهوادر) دلت على معنى حادث وعلى فاعله ، وهي تدل كذلك على وصف من قام بالفعل ، فصيغة : (حائر) صفة في الشاعر ، وهي متجددة فيه ، كلما أظلمت الأشياء أمامه ، واختفى نور الحقائق من عينيه .

❖ ❖ ❖ ❖

(١) ديوان حنين الليالي ، ص (١١٨) .

المبحث الثاني

التركيب

هو عملية ضم الألفاظ بعضها إلى بعض ؛ لتعبر بعد ضمها عن دلالات ، وتفصح عن حالات ، وترسم صورة فنية .

وكما أن دمرًا قد وُفِّق في الدقة في استخدام الألفاظ فكذلك نجد في تراكيبه الدقة والإحكام ، والقوة والوضوح ، والسهولة والبساطة ، والبعد عن التعقيد والاضطراب ، وسأورد هذا النموذج ؛ لأدلل على أن روح الشاعر ونفسيته الصادقة ترسم صورًا تعبر عن تجربة شعرية نسيجها الحياة والفن (١) :

(أنسٌ) جاء و (هاني) فاصنعي لهما يا نفس ما قد وجبا
جاء طور الجد والكسب ومن أجل أولادي عشقت النصبا
وصحوت اليوم من خمر الصبا فوجدت الكون قفرًا مجدبا
تكمن الذؤبان في أرجائه تمضغ الغدر لتؤذي الكوكبا

(عشقت النصب) تعبير شائع التقطه الشاعر من أفواه الطبقة الكادحة والمرهقة بأعباء الحياة ؛ ليدلل به على مدى فرحه بمجيء طفليه (أنس) ، و (هاني) ، وأنه لأجلهما عشق الكد والكدح ، أما تعبير (خمر الصبا) ، و (قفر مجدب) ، و (تكمن الذؤبان) ، و (تمضغ الغدر) ، فالشاعر ينتقل بنا إلى مرسم الحياة ؛ ليطلعنا على بعض اللوحات التي رسمتها ريشة الشعر ، ولونها الشاعر بمشاعره وأحاسيسه ، فـ (قفر مجدب) تعبير يدل على الوحشة والقسوة والخوف والمشقة ، استخدمه الشاعر وأضفى عليه بعضًا من نفسه الشاكية القلقة ، و (تكمن الذؤبان) تعبير يدل على الترصد والافتراس ، ويتسق مع الحالة التي كان عليها ، فقد كان يشعر بالخوف ، و (تمضغ الغدر) تعبير يتسق مع نفسه التي تمزقت بين أنياب الغدر ، فقد تلوى على جمر الجحود والنكران .

---

(١) ديوان عالم الأسرة ، ص (١٩) .

وقد بنى دمر تراكيبه من ألفاظ متجانسة – في الأعم الأغلب – ؛ من مثل قوله (١) :

سر بقيت علـــى الأزمـــان مكنونـــا يسمو الخيـــال لـــه بـــالوهم مفتونـــا

وقوله (٢) :

ســـأحمل أحـــزاني بيـــأسٍ مـــضرجٍ يغـــور بأعمـــاقي لنيلـــك مطمـــح

وقوله (٣) :

قيـــودي لم تـــبرح تـــشد مطـــامحي عن الشدو والتحليق في العالم النـــضر

– النداء :

لقد برز في كلمات وصيغ متعددة المضامين ، فنراه يتحدث عن نفـــسه باســـتعمال النداء ؛ ليصور ضعفه وعجزه أمام الأحداث والمآسي ، وأنه واحد من الذين عجزوا عـــن تحقيق آمالهم كقوله (٤) :

مـــا أظـــن الوعـــود يـــابن الليـــالي ســـوف تـــدنو إليـــك بالآمـــال
إيه يـــابن الـــدموع يـــابن المآســـي يـــا شـــريد الغـــدو والآصـــال

إنه في رؤيته لا يتصور فكرة تحقق آماله ؛ فهو ابن الليالي ، وابن الـــدموع ، وابـــن المآسي ، والشريد في الغدو والآصال . ويتكرر ذلك النداء في قوله (٥) :

أيا بـــن الكهـــوف ويـــابن القبـــور أتطمـــع في غانيـــات القـــصور

ينادي نفسه بأوصاف أسبغها عليه صراعه مع الشقاء ؛ علَّ ذلك النداء يوقظه من نومه

(١) ديوان علي دمر ، ص (١٦٧) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٢١٠) .
(٣) المصدر السابق ، ص (١٥٦) .
(٤) المصدر السابق ، ص (٢٥٢ – ٢٥٣) .
(٥) المصدر السابق ، ص (١٩٧) .

ويطرد أحلامه ، ويعيده إلى واقعه .

أيهـــا القلـــب تـــصبر حـــين يكويـــك الغـــرام
ما قلوب الغيد صيغت من دمٍ بل من عظـــام (١)

دائمًا ما يناجي إحساسه ، ويجري نهرًا من الأمل منبعه تفاؤله وزورقه صبره .

يا فـــؤادي حلـــق ولا تـــك يومًـــا كطعينٍ تحـــت الـــسيوف طـــريح (٢)

يستحث قلبه أن يحلق بعيدًا ، وألا يظل مستسلمًا أو طريحًا تنفذ سيوف الغدر فيه .

وأكثر مقامات النداء في شعره : نداء الحبيبة ؛ حيث ناداها بأحب الأوصاف إليـــه ، وبثها شوقه ، وطلب منها العون ، وكثيرًا ما خيل إليه أنها تسمع نداءه ؛ لذلك أرسل إليها شكواه ، واستفسر عن سبب البعد والهجر ؛ ومن ذلك قوله (٣) :

يا زهرة الأنس ذكـــرى في جوانحنـــا تكاد تقـــضي علـــى أكبادنـــا لهبـــا
يا زهرةً طالمـــا أصـــبحت مبتـــسمًا لها صـــباحًا وروتـــني شـــذًا عجبـــا
يا غالبًا طالمـــا أشـــعلت في كبـــدي نار الأسى وأثرت الـــشعر بي غـــضبا
يا منية الشاعر الغريـــد حـــين بـــدا في أفق دنيـــاه نجـــم الحـــب ملتـــهبا
يا غائبًا وفـــؤادي في هـــواك كمـــا خلفته ودمـــوعي أصـــبحت صـــببا

إن الإلحاح في قوله : (يا روضة الأنس) ، و (يـــا زهـــرة) ، و (يـــا نجمـــة) ، و (يا غالبًا) ، و (يا منية الشاعر) ، و (يا غائبًا) ، هذه إلحاحات كـــثيرة في النـــداء ، يريد الشاعر أن يستعرض بها أنس ماضيه ؛ عله يسلو ، ويلحظ أن تلـــك النـــداءات قـــد أحدثت دلالات موسيقية .

---

(١) ديوان علي دمر ، ص (١٢٨) .

(٢) المصدر السابق ، ص (١٣٣) .

(٣) المصدر السابق ، ص (١٢١ - ١٢٢) .

أو يتفق له أن يناديها بأخت روحه ، أو شقيقتها ؛ ومن ذلك قوله (١) :

يا أخت روحي تعالي وابـرزي فلقـد تكاد أختك يـدمي القلـب بلواهـا

وربما نادى طيفها ؛ مثل قوله (٢) :

يا طيفها يا لظى الحرمـان في كبـدي صهرت روحي وحملت الأسى كبـدي

إنه نداء للحبيبة التي تحسن دائمًا البعد والهجر عن مملكة من أحبها . ومنه قوله (٣) :

أيهـا الطيـف إن ظننـت بـأني في الهوى قد ذللـت لا تـرج ذاكـا

ينادي طيف حبيبته ؛ ليعلن أنه لا يرضى الهوان والذل حتى وإن كان في محبس الحب والعشق .

وربما خرج من هذا إلى مناداة الجمادات أو المعنويات بعد أن يبث فيهـا حركـة ، ويتقاسم معها بعض ألوان غُرَبه ؛ فينادي الليل ، والبحر ، واليوم ، والهوى ، والأفق ، . . . ؛ ومن ذلك قوله (٤) :

يا سـكون البحـر آنـاء الـدجى هل سكون البحـر أوهـامي الخفيـه
يـا سـواد الأفـق لا أعلـم هـل أنـا معـنىً فيـك أم معنـاك في ؟
أيهـا البحـر أراني خائفًـا منـك إذ مـا تـدفع المـوج إلي
يا زفيـف الـريح في الغـاب وقـد يرهـب الحيتـان في القعـر دويـه
أنـا يـا ليـل كطـيرٍ هـائمٍ في مهـب الـريح لا يلقـى مطيـه
إيـه يـا ليـل وروحـي كلـها فيك تـسري مثـل أنـسامٍ نديـه
آه يـا ليـل وإني ذاكـرٌ كـل أيـامي وسـاعاتي الهنيـه

(١) ديوان علي دمر ، ص (١٨٦) .
(٢) المصدر السابق ، ص (١٣١) .
(٣) المصدر السابق ، ص (٢٠٥) .
(٤) المصدر السابق ، ص (٣٦٣ - ٣٦٤) .

الشاعر يخاطب الكون من كل جانب فيه ، سكون البحر ، وسواد الأفق ، وزفيف الريح ، والليل .

وتلذذ الشاعر بمناداة وأفراد أسرته ؛ والدته ، أولاده ، أحفاده ومن ذلك قوله (١) :

حنانك يا أماه رفقًا بوحدتي فما لي في ذا الكون بعدك صاحب

وقوله (٢) :

أيا أم أولادي متى ألتقي بكم لقاكم به أغدو وأمسي وأحلم

وقوله (٣) :

فيا (كهلان) لا تعتب فجرحي كما تركته ألفاظ النواعي

وقوله (٤) :

يا بني قلبي إذا ما عصف الـ ـبغي كونوا في دجاه شهبا

وقد ينفعل الشاعر ، فينادي القائمين على شئون البلاد ؛ ليعالج قضية اجتماعية (٥) :

فيا من قبضتم عنان البلاد ويا ساهرين على أمرنا
أينتحر الناس من فاقةٍ وأنتم تصيحون من مثلنا

ولأنه شاعر يعتز بدينه وعروبته ، فقد نادى أبناء العرب ، ونادى أمجادهم ، وتحسر على ضياع ممالكهم (٦) :

---

(١) ديوان عالم الأسرة ، ص (٥) .
(٢) المصدر السابق ، ص (١٢) .
(٣) المصدر السابق ، ص (١٤) .
(٤) المصدر السابق ، ص (١٩) .
(٥) ديوان حنين الليالي ، ص (٧٢) .
(٦) ديوان علي دمر ، ص (٦١) .

يابن العروبة هـــل شـــجتك منـــازلٌ لجـــدودنا ليـــت الزمـــان يعيـــدها

وقوله (١) :

يـــا بـــني العـــم في الجزائـــر صـــبرًا أسمعونـــا عـــن زحفكـــم أخبـــارا

وقد يحمل النداء – أحيانًا – انفعالات عميقة ، فينادي المعنويات ، وتحيط به أمنيـــة علها تتحقق ؛ من ذلك قوله (٢) :

مـــتى قـــدومك يـــا مـــوتي لتنقـــذني من ورطةٍ في حيـــاتي لـــيس تحتمـــل

وقوله (٣) :

أيا مـــوتي الـــصغير فـــدتك نفـــسي مـــتى يـــأتي لي المـــوت الكـــبير

يلحظ : أن الانفعال يظهر في البيت الأول في الاستفهام الذي سبق النداء ، وفي البيت الثاني في الاستفهام الذي أتى بعد النداء .

وقد يكون النداء للتبكيت ؛ مثل قوله (٤) :

فيا بؤس مـــن تغـــري الدعايـــة لبـــه يقـــاد لـــساح المـــوت وهـــو يـــرنم

وقوله (٥) :

يا ويح من يـــشتري خـــصمًا ليقتلـــه بالمال مهما يكـــن في شـــك إقـــلال

(١) ديوان علي دمر ، ص (٦٢) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٤٤٢) .
(٣) المصدر السابق ، ص (٤٤٤) .
(٤) المصدر السابق ، ص (٦٩) .
(٥) المصدر السابق ، ص (١٥٨) .

وقد يكون للتحسر والتفجع ؛ على غرار قوله (١) :

فيا ضيعة الآمـــال في كـــل مـــشرقٍ ويا خيبة الأحـــلام في كـــل مغـــرب

وقد يكون للتهويل ؛ مثل قوله (٢) :

يـــــا هـــــول مـــــوت الأمـــــاني يـــــا رعـــــب ذاك الـــــصدام

وقد يأتي للدعاء ؛ مثل قوله (٣) :

يا رب رحماك قد أحييـــت لي أملـــي من بعد ما مزقت أيدي الجوى عمري

– الاستفهام :

إن من أسباب أهمية التركيب الاستفهامي في شعره أنه كان يوظفه خـــارج إطـــاره الوضعي ، ومن مظاهره أنه يأتي في مطلع القصيدة ؛ ليحمله شحنة عاطفية شديدة ، وأحيانًا يأتي به ؛ ليستقصي معنى معينا . وقد مرت أمثلة كثيرة لهذه الصور في الباب الأول ، كمـــا يظهر الاستفهام في مواضع متفرقة من شعره ، كما في تمثيله للكبرياء بقوله (٤) :

لا أريـــد الفتـــاة بعـــد خـــضوعي هـــل شـــعوري مـــسخرٌ وعميـــل ؟

والتعجب في قوله (٥) :

ضاعت حدود الزمان ضاعت حـــدود المكـــان
هل تعجبين إذا مـــا أضـــعت فيهـــا كيـــاني ؟!

---

(١) ديوان علي دمر ، ص (١٨٥) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٣٢٦) .
(٣) المصدر السابق ، ص (١٧٠) .
(٤) المصدر السابق ، ص (١٤١) .
(٥) المصدر السابق ، ص (٢٣٥) .

والتعظيم في قوله [١] :

أي شـــعبٍ أنـــتم وأي رجـــالٍ قـــوة الغـــرب كلـــها تتـــوارى ؟

والتهويل في قوله [٢] :

من لي بـــبعض النـــوم طـــار كـــأنني أصحو وأرقد فـــوق شـــوك قتـــاد ؟

والتحقير في قوله [٣] :

أيـــن التـــشرد والهـــوان تركتـــه أولم تكـــن مـــن أحقـــر العبـــاد ؟

والتقرير في قوله [٤] :

أتصمتين لـــدى جرحـــي وأكـــشفه لو كنـــت حانيـــةً كنـــا كـــشفناه ؟

وكذلك قوله [٥] :

أيحيـــا رضـــيعٌ بـــلا أمـــه يجـــوع ويظمـــا بغـــير دثـــار ؟

والإعجاب في قوله [٦] :

كخميلـــة فيهـــا الفواكـــه جمـــة والزهـــر ألـــوان بمـــا نـــستمتع ؟

والتمني في قوله [٧] :

---

(١) ديوان علي دمر ، ص (٦٢) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٧٠) .
(٣) المصدر السابق ، ص (٧١) .
(٤) المصدر السابق ، ص (٢٨٧) .
(٥) المصدر السابق ، ص (٣٢٧) .
(٦) المصدر السابق ، ص (٤٦١) .
(٧) المصدر السابق ، ص (٦٩) .

متى يمحق الله الحروب وأهلها وتحيا البرايا بالسلام وتنعم

ومن أمثلة الاستفهام ذي الدلالة البلاغية قوله (١) :

متى استطاع (جوازٌ) أن يفرقنا وفوق كل (جوازٍ) وحدة الضاد ؟

فإن الشاعر في هذا البيت يستخدم أسلوب الاستفهام خارج دلالاته الوضعية ، فالشاعر لا ينتظر الإجابة عن السؤال ، وإنما كان ينكر ويرفض أن يكون هناك شيء يفرق بين أبناء العرب .

وقوله (٢) :

ألم تنظري دمعتي حينما أراك تحار بأجفانيه ؟
ألم تبصري رعشتي كلما نظرت إلى الغير يا قاسيه ؟

يعاتب الشاعر حبيبته عتابًا ؛ ليستفرغ شحنة عاطفية شديدة ، كانت حبيسة شعوره ، فما إن قدح زناد عتابه حتى أنتج تلك التساؤلات التي لا تنتظر الإجابة ، وإنما تدل على حدة الانفعال ، وتوتر الإحساس .

وأما قوله (٣) :

أأغرق دهرًا ثم ألقاك في ظما أهذا مآل الفيض ينضب في وعر ؟

تلف البيت حسرة كانت حبيسة شعوره لم تطلق من الأسر إلا حينما أطلق سراحها ذلك الاستفهام الحارق .

وقد يستخدم الاستفهام للتهكم والسخرية ؛ على غرار قوله (٤) :

---

(١) ديوان علي دمر ، ص (١١٣) .
(٢) المصدر السابق ، ص (١١٨) .
(٣) المصدر السابق ، ص (١٥٧) .
(٤) المصدر السابق ، ص (٢٢٠) .

أيظـــل شـــيخٌ في الغـــرام معربـــدٌ ؟ أفـــلا يعـــود لرشـــده المعقـــول ؟
أيقول هذا الشيخ ما يهذي الفـــتى ؟ فيه فبـــئس الـــشيخ مـــن مـــرذول

– التمني :

لقد أدى التمني وظيفة بلاغية ونفسية ومعنوية ، إذ حمله الشاعر عناء البحث عن حل لأزماته ، فقد ذاق طعم الحرمان ، وركب مطية الغربة ، وتلفع الأسى ، وصارع الـــصد ، وعارك الهجر ؛ لهذا ظل يبحث عن الاستقرار والحب ، فلم يجدهما ؛ وإنما وجد نفسه مرتهنًا بأمانيه القاتمة ؛ ومن ذلك قوله (١) :

ليتني قد خلقت في غير هـــذي الـــــ أرض علـــي في أهلـــها لـــن أضـــيعا

ظل الشاعر حبيس النسيان والإهمال ، فدفعه هذا الإهمال إلى أن يتمنى أن يكـــون في أرض غير أرضه ، ومع أهل غير أهله .

ومن ذلك قوله (٢) :

يـــا ليـــت روحـــي قبـــل صـــحوتها قـــــد لفهـــــا بـــــصابه أجلـــــي

أيعقل أن يفضل الشاعر موت روحه على صحوتها ؟ لا شك أن هذه الأمنية تخرج من شرنقة اليأس .

ومنه – أيضًا – قوله (٣) :

يا ليت يأسًـــا بـــه أرتـــاح يهـــدمني يخبو لهيب طمـــوحي يخمـــد الأمـــل

إن المتأمل للألفاظ المنتخبة في البيت يدرك أن الشاعر يستفرغ بها شـــحنة عاطفيـــة شديدة كانت حبيسة مشاعره ، ولقد أسهم النداء المقرون بالتمني عن تلك الأزمة التي كان

(١) ديوان علي دمر ، ص (٢٠١) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٢٤٩) .
(٣) المصدر السابق ، ص (٤٤٢) .

يعيشها الشاعر ، بل قل تلك الغربة التي لا ينفك عنها .

– التعجب :

لا شك أن التعجب من الأساليب الإنشائية التي تقتضي التأمل العميق ، والمعايشة الحقيقية التي ربما لا تتوافر لدى دمر ؛ إذ إن معظم خبراته الشعرية متلقاة من وحي إلهامه .

واستخدام دمر لأسلوب التعجب قليل في شعره ، واقتصر على صيغة : (ما أفعل) ، واستغرقت صيغة (ما أحلى) ثلثي استخداماته لأسلوب التعجب في شعره . ومن الأمثلة على ذلك قوله (١) :

ما أجمل الليل وأهنا نومه لما يوافي بالخيال المرتجى !

وقوله (٢) :

وإما رمت نومًا عانقيني فما أحلى بضمتك الهجوعا !

– كم الخبرية :

لقد شاع هذا الأسلوب في شعره ؛ ومن الأمثلة على ذلك قوله (٣) :

كم من أمانٍ لي تموت بمهدها كالطفل يولد نعشه إذ يولد

وقوله (٤) :

كم توسلت للصباح المندى بنسيم الأشجار والأوراد
كم تغلغلت في الرياض شرودًا وتلفعت بالضيا والسواد

(١) ديوان علي دمر ، ص (٢٠٢) .
(٢) ديوان عالم الأسرة ، ص (٢٣) .
(٣) ديوان علي دمر ، ص (١٧٦) .
(٤) المصدر السابق ، ص (١٧٩) .

– أسلوب الحوار :

أدرك دمر أن الشعر يحتاج إلى التجديد والحيوية ، فبعث فيه الحركة عن طريق استخدامه لأسلوب الحوار ، وتنوعت لديه صور الحوار ، ما بين الحوار الداخلي (المنولوج) ، والحوار مع الحبيبة ، والحوار مع الأشخاص .

١– المنولوج الداخلي : يلجأ الشاعر إلى هذا الأسلوب عندما لا يجد في واقعه شخصية تحتضن انفعالاته وتوتره ، وهناك شواهد كثيرة تبرز هذه الظاهرة في شعره ، ولكني سأكتفي بإيراد نصين يدلان على أنه يحدث نفسه ، ففي النص الأول تلك الشخصية تلومه وتعنفه في تتابع لا ينقضي إلا وقد أدرك القارئ أنه أمام نفس محزونة ، وقد بدأ القصيدة باستفهام حارق ؛ يقول (١) :

إلام هذا الأرق الدائم ... حتام هذا السأم الجاثم
ينام كل الكون يا شاعري ... وأنت لا صاحٍ ولا نائم
كأن جوف الليل بحرٌ به ... أنت شراعٌ تائهٌ هائم
كأن جن الليل شعبٌ به ... أنت زعيمٌ ساهرٌ فاهم
بين زوايا البيت في عتمةٍ ... تمشي كما يمشي الردى الحاتم
تخافك الأشباح في سيرها ... ويختفي منك الفنا الداهم
أليس من طينٍ كأترابه ... فالطين غافٍ كله ناعم

وفي النص الثاني تتنوع فيه الأصوات الداخلية ما بين تحسر وأسى وإقناع ، وتلك الأصوات تدل على كثافة الصراع النفسي ، الذي يعتمل في نفسه من نوازع القهر والكبت والصبر والجلد (٢) :

قال اغترابي يا تعيس الحظ يا صنو الخطوب
اقنع بما قسم القضا ... ء وما تقرره الغيوب

(١) ديوان علي دمر ، ص (٣٥٨) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٤٣١ – ٤٣٢) .

أنـــت الغريـــب مـــن الطفـــو ... لـــة للـــشباب وللمـــشيب
مـــا حـــيلتي حكـــم القـــضا ... ء فـــلا مفـــر ولا هـــروب
هـــذا نـــصيبي غربـــةٌ ... كيـــف الخـــلاص مـــن النـــصيب ؟

٢- الحوار مع الحبيبة : يلجأ الشاعر إلى مثل هذا الحوار حينما توصد أمامه سبل اللقاء والاجتماع مع من أحب ، فيعمد إلى إيجاد ذلك اللقاء والاجتماع في مملكة الشعر ، ثم يدير حوارًا جادًا بينه وبينها . وربما لجأ إليه ؛ لينقل حوارًا حقيقيًا دار بينهما . ومن الأمثلة على ذلك قوله (١) :

قولي إلى أيـــن نمـــشي مـــا نهايتنـــا ؟ ... ما آخر الدرب ماذا في ضمير غـــد ؟
ما غاية الشوط هل تدنو ســـعادتنا ؟ ... أم أننا سوف نقضي العمـــر في البعـــد
أرجوك لا تغضبي مـــن ثـــورتي فأنـــا ... غريـــق حبـــك مـــا لي أي معتمـــد
. . . .
وحينمـــا رمـــت تحقيقًـــا لمأملنـــا ... كتبت لي لا تحـــاول قـــف ولا تـــزد
عاداتنـــا عثـــراتٌ فـــوق طاقتنـــا ... ما باختياري أمري ليس طوع يـــدي
فانهار بي كل مـــا أبغيـــه مـــن أمـــلٍ ... شوامخي تهدمت مـــن تحتـــها عمـــدي
وقلت ما ذاك حـــب صـــادقٌ أبـــدًا ... الحـــب فـــوق تقاليـــدٍ بـــلا رشـــد

يتضح في النص أن الشاعر استطاع أن ينقل الموقف بكل انفعالاته النفسية .

٣- الحوار مع الأشخاص : يستعين دمر بهذا النمط من الحوار حينما يريد أن يبدي آراءه ؛ ومن الأمثلة على ذلك قوله (٢) :

قالوا ادخل الأحزاب فهـــي مفيـــدةٌ ... قلـــت انفـــرادي في حيـــاتي أفيـــد
أنا ذلك العصفور في الـــدنيا ســـرى ... في كـــل روضٍ للجمـــال يغـــرد

(١) ديوان علي دمر ، ص (٣١١) .
(٢) المصدر السابق ، ص (١٧٥) .

نار الهوى المـــذبوح تـــصهر شـــرتي فأنـــا ســـعيرٌ في الهـــوى يتوقـــد
ما لي وللـــضوضاء تـــزعج راحـــتي أبغي الهـــدوء وفي الـــسكينة أســـعد

إن الشاعر اتخذ من هذا الحوار مدخلاً لإبداء رأيه ، وهدفًا لعرض أفكاره الخاصة .

وكانت أغلب حواراته ناجحة ، تنقل الموقف بكل انفعالاته النفسية ، وكان يحاول أن يبتعد فيها عن الخطابة التي تلازم الضعف ، فيعمد إلى العنصر القصصي من أجل الإيحـــاء ، وإكساب نصوصه ملامح جمالية .

– التقديم والتأخير :

" من طبيعة الشعر أن يكثر في تركيبه التقديم والتأخير ؛ بسبب الـــوزن والقافيـــة . ولكن ما يحسن الالتفات إليه منه : هو ما ينطوي على خدمة المعنى ، وله – مـــع ذلـــك – دلالة نفسية " (١) ؛ كما في قوله (٢) :

فهـــل أملـــي يحقـــق في حيـــاتي أم الأحـــــلام تتـــــرى بـــــاطراد

قدم نائب الفاعل (أملي) على الفعل ؛ ولعل ذلك بدافع نفسي وهو استعجال تحقق ذلك الأمل .

وأما قوله (٣) :

بعينيـــك دنيـــا لا تحـــد وتلمـــح بها يسبح الـــروح الحـــزين ويمـــرح

فقد قدم الخبر (بعينيك) على المبتدأ (دنيا) ؛ بدافع نفسي ، وتعبير عمـــا يـــراه ، فالشاعر يرى أن عيني حبيبته ينجلي بهما الحزن ؛ لهذا آثر أن يبدأ بلفظة : (بعينيك) .

---

(١) البناء الفني في شعر الأميري ، للدكتور : خالد الحليبـــي ، ص (٢٦٩) .
(٢) ديوان علي دمر ، ص (١٩٢) .
(٣) المصدر السابق ، ص (٢١٠) .

وقوله (١) :

حبـــها كـــان روض فجـــر الأمـــاني تتنـــــاغى أطيـــــاره البيـــــضاء

إن تقديم اسم كان (حبها) يلتقط حالة من حالات الشاعر الشعورية ، وهو يـــدل على توتره .

وقوله (٢) :

ونفـــسي تـــأبى خـــضوع الهـــوى ولو كـــان نـــارًا تـــذيب الحديـــدا

فتقديم الشاعر للفاعل : (نفسي) على الفعل ؛ بدافع نفسي ، فكأنه أراد أن يثبت ألا تلاقي بينه وبين الخضوع .

وهكذا رأينا ما للتقديم والتأخير من وظيفة نفسية ومعنوية وصوتية في شعر دمر .

– حشد الإضافات والنعوت :

الشاعر مولع بالتراكيب الإضافية والنعوت ، فهي تتكاثر في شعره ، وقد يقوده ذلك إلى مشتقات غير مألوفة تركب بالإضافة ، ولعل الباعث على بروز هذه الظاهرة في شـــعره طغيان الانفعال في نفسه ؛ ومن الأمثلة على ذلك : (ليل الهموم ، وسخين الدموع ، وأثيث الشعر ، وبدر الدجى ، وطريد البشر ، وصروف الليالي ، وحكم القضاء ، وبروج السماء ، وشعاع الصباح ، وبهيج الصور ، ولحون السحر ، وكنز الدرر ، ودنيا الـــرؤى ، وبـــرق الدجى ، وجمال السناء ، وبحر التنائي ، وبرعم الورد ، وسالف عهدي ، وخمرة وجـــدي ، وخضوع الهوى ، ومجلى الشمس ، ورمضة الزهري ، وهالة البدر ، وصـــوت العـــصافير ، وسويعات الهناء ، وروضة الأنس ، وزمان الهوى ، وصريع الهوى ، وشعاع المغيب ، ونفح الورد ، وروح الضياء ، ولطيف الأثر ، وحلو السمر ، ورواء الصغر ، . . .) .

---

(١) ديوان علي دمر ، ص (٣٤٨) .

(٢) المصدر السابق ، ص (١١٩) .

ومن طريف تراكيب الإضافة لديه : (عروس الفكر ، وطيوف الأماني ، وصدود العجب ، وألفاظ النواعي ، وذيول العفاء ، وقصير الهجر ، ومهدهدة الأصداء ، ومشبوبة العطر ، وأشباح الضباب ، وخفي التأنيب ، ومثير اللمس ، وكوب الجمال ، ومخزون الحداد ، وشوك الأسى ، وطيف المخاوف ، . . .) .

وقد يوقعه هذا الاحتشاد في الركاكة ، إذ إنه يعتمد عليها في إقامة الوزن كقوله (١) :

أراك بمجلى الشمس في بهجة الضحى وفي رمضة الزهر وفي هالة البدر

وقوله (٢) :

(مأواي) يا عطر نفسي وبهجتي وافتناني
(مأواي) يا خمر شعري ويا رحيق بياني

وقوله (٣) :

وبينا أهيم بليل الهموم سخين الدموع أثيث الشعر
بزغت بفكري على غرةٍ كبدر الدياجي عروس الفكر

كل هذه الأبيات كانت غايتها الوصول إلى الوزن ، ولا شك أن هذا الاحتشاد قد أدى إلى ذلك النغم ، ولكن هل أسهم في الكشف والإبداع أو قصر في ذلك ؟ في ظني أن الأبيات السابقة لا تعين على الإيصال والإثارة إذا ما استثنينا البيتين الأخيرين ، فإني ألمح فيهما حركة وإثارة .

ومن الأساليب التي يستخدمها – أيضًا – إكثاره من النعوت في شعره ، ومن ذلك : (بروج السماء الوضاء ، وشعاع الصباح الأغر ، والصباح النضير ، وشقائي الزمين ، والربوة الغناء ، والقمر الزمين ، والشاعر الغريد ، والليل البهيم ، والدير الرميم ، والبرد

(١) ديوان علي دمر ، ص (١٢٠) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٢٣٥) .
(٣) المصدر السابق ، ص (١١٤) .

الأليم ، والضفاف الخضر ، الظلام الكثيف ، والقتيل الذبيح ، والحبيب الشحيح ، والهيام الجلل ، والكوكب البسام ، والليالي الحالكات ، والعروق النابضات ، والشفاه الهامسات ، وحلم جميل ، ومخبأ مقفول ، وحظ وفير ، وصعب خطير ، وقلمي الحر ، وصيت عريض ، وخطيب ناعق ، وعارض ناعم ، . . .) .

وقد تشكل النعوت – أحيانًا – فاصلاً بين الألفاظ المحتشدة ، وفي ذلك ما يخفف من وقع الرتابة في البيت ؛ من ذلك قوله (١) :

ونسترق ابتساماتٍ عذابًا كأزهار الربيع الناديات
رنوت إلي في شغفٍ حزينٍ بأعينك الظماء الذابلات

أو يتفق له أن يقدم النعت ، فيجعله موصوفًا مضافًا ؛ على غرار قوله (٢) :

فعذبت حتى سئمت الشعور ودنيا الغرام مزيج الأسى

وقوله (٣) :

وكان حنيني يملأ الأفق نغمةً مهدهدة الأصداء مشبوبة العطر

لقد استعمل دمر الإضافات والنعوت ؛ لأجل توكيد المعنى وتوضيحه .

ومن الأساليب التي أفاد منها الشاعر ، وإن لم تشكل ظاهرة في شعره : الحذف للدلالة على المحذوف : مثل قوله (٤) :

أين أمي ؟ كيف ألقاها ؟ متى أنا من أمي لم أسمع وصيه ؟

حذف الشاعر المستفهم عنه لدلالة ما قبله عليه .

---

(١) ديوان علي دمر ، ص (١٥٤) .
(٢) المصدر السابق ، ص (١١٦) .
(٣) المصدر السابق ، ص (١٥٦) .
(٤) المصدر السابق ، ص (٣٦٥) .

يتضح مما سبق أن الشاعر استطاع أن يطوع لغته وأسلوبه ؛ ليحملا عـــبء تحولاتـــه النفسية وأزماته الاجتماعية والغزلية .

الفصل الثالث

الصورة الشعرية

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : مصادر الصورة .

المبحث الثاني : أنواع الصورة .

المبحث الثالث : وظائف الصورة ودلالتها .

الفصل الثالث

الصورة الشعرية

لقد أدرك النقاد والأدباء مكانة الصورة في الإبداع الأدبي ، فاهتموا بها ، وأفردوا لها أبوابًا في بحوثهم ودراساتهم ؛ حيث إن العمل الأدبي الإبداعي يعتمد الصورة أساسًا في تقديم المعاني المنتخبة من مستودع الذاكرة ، والتحول بها من المضامير المألوفة إلى مضمار التأثير الذي يراهن على الجمال في توظيف اللغة .

ومما لا شك فيه أن الصورة هي مرتكز البناء الشعري ، وعماده الذي يعتمد عليه ، والخيال هو النهر الجاري الذي يغترف منه الشاعر صوره بكل أبعادها ، وهو – أيضًا – الآلة التي يعتمدها الشاعر في الانزياح من تصوير المألوف إلى تصوير فني مرتكز على طول التأمل ، وتقليب الفكر ، وهذا دال على أن المجال التصويري نتاج المخيلة ، وهو الذي يهيئ للقصيدة أن تكون موحية ودالة ، ولا تكتفي بما فيها من دلالة مباشرة ، فالشعر إيحاء ، ولا يكون إيحاءً إلا عن طريق الصورة التي تعتبر أداة الإيحاء الشعري ؛ " لأن الشعر كله يستعمل الصورة ؛ ليعبر عن حالات غامضة لا يستطاع بلوغها مباشرة ، أو من أجل أن تنقل الدلالة الحقة لما يجده الشاعر " (١) .

وإذا كانت اللغة الشعرية تعد إحدى مقومات العمل الأدبي ، فإن الصورة لا تقل أهمية ولا شأنًا عنها ، فهي بمثابة اللبنة الأساس والدعامة لأي عمل فني ؛ حيث إن " الشعر قائم على التصوير منذ أن وجد حتى [هذا] اليوم " (٢) .

والصورة تعبر عن أفكار الشاعر الفلسفية ، وتأملاته الشخصية ، وتجاربه الخاصة ، وربما مكنته عن التعبير عن أفكاره بطريقة لا يمكنه أن يعتمد فيها على غيرها للتعبير عن تلك الأفكار .

---

(١) الصورة الأدبية ، للدكتور : مصطفى ناصف ، دار الأندلس للطباعة والنشر ببيروت ، ١٩٨٣/٣م ، ص (٢١٧) .

(٢) فن الشعر ، لإحسان عباس ، ص (١٩٣) .

وبقي أن أشير إلى أن بعض الدراسات النقدية الحديثة للصورة الشعرية ، لا تعير التقسيم البلاغي للصورة البيانية أي اهتمام ، بل تتعامل مباشرة مع الصورة الكاملة ، ولا تقبل تفكيكها وتقطيعها إلى أجزاء ؛ حيث إن التفكيك من – وجهة نظرهم – يأذن بموتها (١) ، و " البحث عن روح الصورة ، والمحافظة أثناء ذلك على هذه الروح ؛ هما هدف الدارس اليوم " (٢) .

والصورة الشعرية في شعر دمر " نمط بلاغي جاهز يجنح للكلاسيكية بمحوريها القديم والجديد ، وهي في جوانب أخرى نمط بلاغي آخر يجنح للرومانسية بمحوريها – أيضًا – الوجداني . . . والمعرفي . . . " (٣) .

والشاعر ظل أسيرًا للخيال الكلاسيكي في كثير من نصوصه الشعرية ، فلم يحاول أن ينخرط في " ميثولوجيا البلاغة الجديدة التي تنفتح على المعجم البلاغي الفني ، فيترك لعنانه أن يركب الصورة ، ويبتكرها بحرية ، خالعًا نفسه من ربقة الإيديولوجيا البلاغية التي تتأطر في نمط جامد من المعايير ، والتمثيل لهذه القراءة التأويلية يغص بها ديوان الشاعر الذي ضم بين دفتيه خمسمائة صفحة تعج . . . بالاستعارات المكرورة التي آلت في هذا الزمن إلى جسد محنط " (٤) .

ومع أن الشاعر عمد إلى إعادة الصورة المطروقة ، والمعاني الموروثة ، إلا أنه جلبها بأساليب جديدة تؤآخي الفكرة التي يوردها ، والمعاني التي يسوقها ، لكنها ظلت خالية من الفلسفة ، ووجهة النظر ، والغلو ، والبعد المعنوي ، وفي أحيان يضيف إليها تعابير وتراكيب جديدة .

---

(١) انظر : الصورة الشعرية في النقد الحديث ، للدكتور : بسام نوفل ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، ٢٠٠٤/١م ، ص (٢١) .

(٢) الصورة بين البلاغة والنقد ، للدكتور : أحمد بسام ساعي ، المنارة للطباعة والنشر بدمشق ، ١٩٨٤م ، ص (٣٢) .

(٣) قراءة هرمنيوطيقية للصورة الفنية في شعر علي دمر ، مقال ، للدكتور : نبيل قصاب باشي ، جريدة الفداء ، العدد (١٤٧٠٥) ، ٢٠٠٩/٧/٥م ، ص (٦) .

(٤) المصدر السابق ، ص (٦) .

والحديث عن الصورة عند دمر يشمل مصادر الصورة ، وأنواع الصورة ، ووظائف الصورة ودلالتها .

المبحث الأول

مصادر الصورة

" مما لا شك فيه أن مصدر الصورة الشعرية لدى الشاعر بشكل عام لا يأتي من طرف واحد ، بل هو حصيلة تفاعل بين الشاعر بوصفه فنانًا مبدعًا موهوبًا ، وبين بيئته بكل جزئياتها ذات الدور الأكبر في تشكيل شخصية الشاعر ، وفي التأثير على شعره وصوره ، سواء أكانت حالة نفسية مرت بمراحل عديدة من يأس وحزن أم تصورات يحلم بها ، ورغبات يرجو تحققها " (١) .

ولقد استقى دمر صوره من مصادر شتى كان أبرزها : الإنسان ، ومشاهد الطبيعة ، وتكوينه الثقافي .

١- الإنسان :

يلجأ الشاعر إلى استخدام الماديات في تعبيره عن المعنويات ، وأكثر الماديات قربًا منه واتصالاً به هو جسده : أعضاؤه وجوارحه ، وقد برزت عند الشاعر المجازات التي تظهر فيها أعضاء الإنسان مركبة لغيره ، لا سيما المعنويات ، وهي كثيرة جدًا ، ومن ذلك قوله (٢) :

أنا أبغي عواصف العمر تدوي ... توقظ الكون سهله وحزونه
أنا أهوى الشتاء يعول بالريح ... وتبكي به الليالي الحزينه

الشاعر – هنا – أبرز الجمادات في صورة الإنسان ؛ مستعيرًا صفاته ، ومشاعره ،

(١) شعر سعدي يوسف دراسة تحليلية ، للدكتورة : امتنان عثمان الصمادي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت ، ١/٢٠٠١م ، ص (١١٤) .

(٢) ديوان علي دمر ، ص (٣٢) .

وأظهر المعنويات في صورة الإنسان – أيضًا – مستعيرًا قدراته وسماته عن طريق التشخيص والتجسيم .

وكثر هذا المنحنى في شعره ، وهو دال على رهافة حسه ، وعمق شعوره ، ومدى الارتباط بين الطبيعة الخارجية والطبيعة الإنسانية ، ومن ذلك قوله (١) :

سلوا القفر عن (فوزي) أكانت بطاحه ... تهلل لما يستقل به القفر
سلوا الليل عن (فوزي) أكانت نجومه ... تزغرد لما يستضيء به الفجر
سلوا البحر عن (فوزي) أكانت مياهه ... تئن إذا ما كل عن حمله البحر
تنوح (فلسطين) الجريحة باسمةً ... ويهفو إليه القاع والرمل والصخر

فكل عنصر من عناصر الطبيعة في هذه الأبيات أصبح له روح وإرادة ، وبدت العادات البشرية هي التي تحكم تصرفاته ، فالقفر أصبحت بطاحه تهلل ، والنجوم بدت تزغرد ، وأما مياه البحر فقد أنَّت ، وبلاد فلسطين تنوح باسمه ، والقاع والرمل والصخر قد هفت إليه .

ومن ذلك – أيضًا – قوله (٢) :

أيها الليل إذا البدر تجلى وسفر
رقصت فوق مياه النهر أضواء القمر
فرح الكون بعرس النور مرتاح الوطر
وصحت بالأمل المرجو أحلام الحجر
وأنا ما زلت في يأسي وبؤسي في كدر
فارعني ياليل واخلق لي أفانين الصور
وأثر في نفسي الثكلى أليمات الذكر

فالشاعر – هنا – نسب الانفعالات الإنسانية إلى الجوامد ، وأخضعها إلى القوانين

(١) ديوان علي دمر ، ص (٩١) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٤٥٦ – ٤٥٧) .

البشرية ، فالليل والبدر وأضواء القمر والكون والحجر أصبحت كائنات حية ، تظهر ، وترقص ، وتفرح ، صور مرسومة بالكلمات تعبر عن مشاعر الحزن الذي سيطر على الشاعر بسبب يأسه واكتئابه .

وقد يتفق له أن يخلع الحياة ، والحياة الإنسانية على المعنويات ، يقول (١) :

ضجت الذكرى بأسراري لهيبًا مستعر
وبآمالي ناح الحزن وانساب الضجر
وبأعماقي غنى الشعر ألحان الفكر
وجرى الشوق بذراتي نزيفًا مستمر

صورة كبيرة تضم في داخلها عدة صور ، تجسم جميعها حالة نفسية عانى منها الشاعر ، هذه الصورة هي أن الذكرى ضجت بأسراره ، وبآماله ناح الحزن ، والشعر غنى بألحان فكره ، والشوق جرى بذراته ، فالذكرى أصبحت ذات ضجيج ، والآمال تنوح ، والشعر يغني ، والشوق يجري . ضجيج ونوح وغناء ينسب إلى تلك المعاني المجردة ، فيضفي عليها التجسيم الذي يرسم أبعاد رؤيته ، ويصور مشاعره ، وهذه صورة حسنة تسهم في تصوير العاطفة المتقدة لدى الشاعر ، وتبرز تجربته .

٢- مشاهد الطبيعة :

الطبيعة هي الملهمة التي يملأ جمالها قلب الشاعر فرحًا ، فيناجيها ؛ لذلك نجد مظاهرها المختلفة من أمكنة متباينة ، فالأرض وما تحتويه من أشجار ورياض وأنهار وجبال ووديان وخلجان ، وما يقابلها من أجرام علوية من النجوم والكواكب والشمس والقمر ، وتعاقب الليل والنهار والجو بشتائه وربيعه وخريفه وصيفه ، وما خلق الله من الطيور المغردة أو المتوفزة لاقتناص فريستها ، وغيرها مبثوثة في دواوين الشاعر .

والشاعر ابن بيئته ، فقد توافرت لدمر الطبيعة المحسوسة في بلاده الشام ، وكذلك

(١) ديوان علي دمر ، ص (٤٥٦) .

الطبيعة في المملكة العربية السعودية ذات التقدم العمراني ، فكان من الطبعي أن يتأثر بهـذه الطبيعة ، ويعمد إلى وصف ما فيها من رياض ، وأنهار ، ونخيل ، ووديان .

ومن أبرز عناصر الطبيعة التي احتلت قسمًا كبيرًا بين صوره : البحر بمفرداته وتقلباته وتحولاته ، من ذلك قوله (١) :

وبحـار عيونـك تـرعبني فيهـا أسـرارٌ لا تحـصر
أمـواجٌ تهـدأ أحيانًـا وتثـور محيطـاتٌ تزخـر
وأنـا في الـزورق لا أنجـو وبـشط أمـانٍ لا أظفـر

ومن ذلك قوله (٢) :

في موجةٍ مـن حنـانٍ طافـت بحـار المعـاني
نقلـتني يـا حيـاتي إلى شـواطي الأمـاني
وكنـت قبلـك أغفـو في زورق الحرمـان
يهـيم بي في الليـالي في أبحـر النـسيان

وأما قوله (٣) :

كزورقٍ في جبال المـوج مـضطربٌ بـلا منـارٍ ولا نجـمٍ وميناء

فالصورة مستمدة من البحر ، وإن كان قد برز فيها عنصرا الجبال والـنجم ، فـإن الشاعر قد وظفهما لخدمة الصورة ، وهي صورة بالغة التأثير ، تدل على إمكانـات عاليـة التصوير في أدراج مخيلة الشاعر .

واستمد الشاعر عددًا كبيرًا من صوره من عناصر متعلقة بالبحر ، مثل قوله (٤) :

---

(١) ديوان علي دمر ، ص (٤٩٥) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٢٣٥) .
(٣) المصدر السابق ، ص (٣٥٧) .
(٤) المصدر السابق ، ص (١٣٥) .

طفقت أسبح في الـــدنيا بـــلا أمـــلٍ ودعت لما هجـــرت القلـــب آمـــالي

وكان الكون وما احتواه من أجرام علوية مصدر إلهام للشاعر ، وشـــتلات خياليـــة خصبة ، متح منها كثيرًا من صوره ، وتشكلت بحسب الحالات النفسية التي تعتريـــه أثنـــاء كتابته لقصائده ، فطورًا تراه يعانق السحب ، وتبتسم له الأنجم ، ويسخر من فعله القمر ، والشمس تدفئه ، وطورًا يرعبه صوت الريح ، وتخيفه نظرات القمر ، مثل قوله (١) :

وانـــزوى مفـــردًا كئيبًـــا بليـــلٍ خبـــأ الـــنجم في دجـــى طيلـــسانه
ثم لمـــا نـــام الظـــلام علـــى الكـــو ن وألقـــى الـــسكون في وديانـــه
أسنـــد الـــرأس في أمانٍ على الكفـــ ـــف وأغـــفى مستـــسلمًا في مكانـــه

إن دلالات هذه الصورة المستمدة من الطبيعة الصامتة تكشف الغطاء عن شخـــصية الشاعر النفسية جراء البيئة الزمانية التي أودعت فيه هاجسًا نفسيًا لا ينفك عـــن تكوينـــه الاجتماعي النفسي ، الذي طالعناه في معظم نصوصه التي وردت في هذه الدراسة . ففـــي سكون الظلام ، وهدوء الوديان الصامتة الموحشة جدلية التكوين النفسي للـــشاعر ، فهـــو مستسلم كالظلام الغافي في الوديان المخيفة ، يسند رأسه على كفه ، وينـــام بعيـــدًا عـــن ضوضاء البشر ، فالتشكيل الخيالي – هنا – يعانق بين نوم الظلام واسترخائه وبـــين نـــوم الشاعر واستسلامه .

وربما أعاد تشكيلاً قديمًا كانت مادته الطبيعة الصامتة بحلة جديدة بهية ؛ ومن ذلـــك قوله (٢) :

يهفو السؤال على عينيك مـــن ظمـــأ ليرتـــوي مـــن إجابـــاتي وأنـــوائي
فأســـتقي منـــه أحلامًـــا ملونـــةً في روضةٍ من جنان الـــوهم خـــضراء

فسؤال العينين الظامئ الذي يرتوي من إجابات الشاعر صورة مستمدة من متعلقـــات

(١) ديوان علي دمر ، ص (٣٦٩ – ٣٧٠) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٢٧٦) .

الماء .

واستمد الشاعر عددًا كثيرًا من صوره من النار ، وأكتفي بإيراد مثالاً دون تعليق ؛ يقول (١) :

يا ملاكي لا تلعبي بشعوري فشعوري جهنمٌ حمراء
كم شواني اللهيب ثم خبا بي فرمادي من بعده أشلاء

وأظهر الصور التي يستعيرها من الطبيعة الحية ؛ (عالم الحيوان ، والطيور المختلفة) كالأسد ، والظبي ، والثعبان ، والنسر ، والغراب ، والعصافير ، والفراشات ، والجراد ؛ مثل قوله (٢) :

وتذكر أيامًا له ووقائعًا تغنت بمعناها الظبا والقنا السمر
له عصبةٌ آساد هيجاء في الوغى تكر الجبال الشاهقات إذا كروا

الشاعر في موضع تمجيد للقائد فوزي القاوقجي وجنوده ، فحاول أن يعبر عن ملامح الإقدام والشجاعة لديهم ، فيصورهم بصورة الآساد في أرض المعركة التي من صفاتهم الهجوم .

وحين يفخر الشاعر بقومه يمدحهم بالقوة والجسارة ، فقوله (٣) :

أيام قومي في المشارق أنسر يغدون في أفق المغارب حوما

فيصور هذا المعنى المجرد بصورة النسر المحلق في أجواء الفضاء المرتفعة .

وأما قوله (٤) :

---

(١) ديوان علي دمر ، ص (٢٨٣) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٩١) .
(٣) المصدر السابق ، ص (١٠١) .
(٤) المصدر السابق ، ص (١٠٢) .

مـــا أنـــتم إلا فـــراشٌ أحمـــق لاقـــى ســـراجًا فـــارتمى متهـــشما
وترى جيـــوش العـــرب زاحفـــةً إلى قلـــب العروبـــة كـــالجراد إذا نمـــا

فقد صور كثرة اليهود في أرض المعركة بصورة فراش من صفته الحمق ؛ حيث لاقـــى سراجًا فارتمى فيه فاحترق . وحينما أراد التعبير عن كثرة جنود العرب في المعركة صورهم بصورة الجراد وقت نموه .

ومن الأمثلة التي استدعى فيها الطبيعة الحية عرفت عنها سابقًا قوله [1] :

فـــصرت كقـــبرةٍ قـــد بـــدا عليهـــا شـــعاع الـــصباح الأغـــر
فهبـــت ترفـــرف مـــن غفـــوةٍ وطـــارت تغـــني لحـــون الـــسحر
وأمـــت بـــروج الـــسماء الوضـــاء إلى حيـــث تبغـــي بهـــا مـــستقر

وقوله [2] :

ولمـــا تمـــادى هـــواك اللطيـــف وصـــال بقلـــبي كـــذئبٍ عنيـــف
يمـــزق ما شـــاء فـــي داخـــلي وينـــهش روحـــي بغـــدرٍ مخيـــف

مما يلحظ في استخداماته المثالين السابقين أنهما كانا عاديين مـــن جهـــة ، وأســـيرين للتشكيل التراثي من جهة أخرى ، وإذا ما حاولنا البحث عن العمق الفني ، فعبثًا حاولنـــا ، لكننا سنشاهد مهرجانًا تتراقص فيه ألفاظ أحسن اختيارها ، وقذفها في بحر راقص ذي نغم مطرب .

٣- تكوينه الثقافي :

يعد اتساع ثقافة دمر واتصافها بالشمولية مصدرًا لاتساع مجال رؤيتـــه الـــشعرية ، فبرزت تضمينات لا بأس بها ، وظهرت لمحات حسنة من هذه الثقافة الواسعة في شعره ، وقد

(١) ديوان علي دمر ، ص (١١٥) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٣١٥) .

تفاعل مع هذه الثقافة ، وتباينت مواقفه بين الرفض والقبول فيما طرحه من قضايا [1] ؛ لذلك تنوعت المصادر التي وجد فيها دمر منهلاً عذبًا يغترف منه ؛ ليؤسس ملامح تشهد على ظفره أو إخفاقه ، فغرف من ينبوع الماضي ، ومن التراث بمختلف أنماطه التاريخية والشعبية والدينية والأدبية الكثير من صوره ؛ ومن ذلك قوله [2] :

صرت أضحوكة الأماني دعيني فحياتي قناعةٌ وانطواء
مزقتني السهام من كل صوبٍ وطوتني ضراعةٌ بلهاء

فصورة السهام التي مزقته تشكيل قديم أضاف إليه الشاعر من تصوره الخاص : (أضحوكة الأماني) ، وتألق أكثر حينما قال : (ضراعة بلهاء) ، وهي صورة لا تخلو من تعدد الدلالات التي تميط اللثام عن غور نفسي لا تتخلى عنه إشاراته التخييلية المتوفزة .

ومن الصور التقليدية التي بث فيها روحًا جديدة قوله [3] :

أنا لحن الوتر الغافي إذا حركتني ريشةٌ ضجت شكاتي

فتشبيه النفس بلحن الوتر صورة تقليدية مكرورة ، لكن الشاعر بصورتين استعاريتين تدفعان المتلقي للبحث عن المعنى ، حين جعل الشاعر من نفسه وترًا غافيًا ، أي إحساسًا صامتًا يهتز ألمًا ووجعًا ؛ إذا ما ريشة حبيبته حركته بوجدانها انبعثت منه موسيقا أحزانه ، فيضج وجدانه الخبيء بين ضلوعه وزفراته ، ولعمري إنها صورة فنية تكشف عن جمال المعنى الذي ينفذ من جمال الإيحاء والتلويح .

وتنوعت المصادر الثقافية لصور الشاعر ؛ ومن ذلك قوله [4] :

---

(١) انظر : الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، لعبد القادر الرباعي ، جامعة اليرموك عمان ، ١٩٩٩/٢م ، ص (٢٩) .

(٢) ديوان علي دمر ، ص (٢٨٤) .

(٣) المصدر السابق ، ص (٣٤٤) .

(٤) المصدر السابق ، ص (٤١٠) .

ســـــوريا يـــــا أبي لمـــــاذا نواهـــــا إن عيش الغريب كـــبش الأضـــاحي

أراد الشاعر في البيت السابق أن يحذر من مخاطر الغربة ، والعيش بمنأى عن الـــوطن ، فاستدعى كـــ (بش الأضاحي) من مستودع ذاكرته الدينية ، أو الشعبية .

ويقول (١) :

المـــاء والحـــور في الجنـــات راتعـــةٌ تـــصبي فـــؤادي بلقياهـــا وأصـــبيها

صورة يلتقطها الشاعر من وعاء ثقافته الدينية .

وصوره الشعرية التي يستفيدها من الشعراء السابقين – دائمًا – ما يغمرهـــا بذاتـــه ، ويحاول أن يعيد تشكيلها من جديد .

ولكني أجد له مثل قوله (٢) :

أكـــــافح مـــــا أكـــــافح ثم آوي إلى قـــــدرٍ إرادتـــــه حديـــــد

فهذا يذكرنا بقول الحطيئة (٣) :

أطـــــوف مـــــا أطـــــوف ثم آوي إلى بيـــــت قعيدتـــــه لكـــــاع

وأما قوله (٤) :

كلمـــا ســـددت قنـــاة مـــصابٍ لفـــــؤادي تحطمـــــت بقنـــــاتي

فيذكرنا بقول المتنبي (٥) :

---

(١) ديوان علي دمر ، ص (٧٥) .

(٢) المصدر السابق ، ص (٣٩٨) .

(٣) ديوان الحطيئة ، اعتنى به وشرحه : حمدو طماس ، دار المعارف ببيروت ، ٢/٢٠٠٥م ، ص (٩٣) .

(٤) ديوان حنين الليالي ، ص (٢٠) .

(٥) ديوان المتنبي ، ص (٢٢١) .

وكنـــــت إذا أصـــــابتني ســـــهامٌ تكـــسرت النـــصال علـــى النـــصال

❖ ❖ ❖ ❖

المبحث الثاني

أنواع الصورة

لا بد أن أشير إلى أن دمرًا لم يكن من شعراء الصورة ، بل كان يتعامل معها كتعامله مع باقي وسائل التعبير الشعري ، وإذا وجد عدد يسير من الصور المتقدمة في نصوصه ، فهذا لا يعني خرط الشاعر في صفوف شعراء الصورة ؛ حيث إن النص الشعري من طبيعته ألا يخلو من الصورة في الغالب .

أولاً : الصورة البسيطة (المفردة) :

وهي تبنى من أصغر وحدة تعبيرية ؛ إذ إنها لا تتجاوز في تشكيلها الجملة ، وهي كثيرة في الشعر ، وتعد من أصغر أنماط الصورة الجزئية ، التي يمكن أن تدخل في تكوين الصورة المركبة ، وهذا لا يدل على انعزاليتها عن القصيدة أو عن بقية الصور – إن وجدت – فهي ترتبط بها ارتباط الجزء بالكل (١) .

ولقد اعتمد دمر أساليب عدة في بناء أنماط من الصور ، منها :

أ– تراسل الحواس :

يتم بناء الصورة المفردة عن طريق تراسل الحواس إذا تداخلت العناصر الحسية بما تشتمل عليه من : ألوان ، وأشكال ، وملمس ، ورائحة ، وطعم . فالشاعر قد يخلع صفة حاسة البصر على حاسة السمع ، فما يدرك بالبصر يصبح مسموعًا ، والمسموع يصبح مرئيًا (٢) ، وهكذا وفقًا لمقتضيات الانفعالات الداخلية لدى الشاعر ، " وتحول صفات الحواس وصورها بعضها إلى بعض يجعل العالم الواقعي مثاليًا صوريًا مختلطًا تتجاوز فيه

(١) انظر : الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث ، للدكتورة : بشرى موسى صالح ، المركز الثقافي ببيروت ، ١٩٩٤/١م ، ص (١٣٤) .

(٢) عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، للدكتور : علي عشري زايد ، دار الفصحى للطباعة والنشر ، ١٩٧٧/١م ، ص (٨١) .

الحقائق مع الخيالات والأحلام " [1] ، ومن ذلك تصويره للرجل المسن المضرج بدمائه وقد سقط باب الخان على جسده [2] :

فزحزحت باب الخان عنه فلـم أجـد سـوى صـوته في ظلمـةٍ يتلعـثم

فالشاعر حول المدرك السمعي (الصوت) إلى مدرك بصري ، فاستعار مـن العـين وظيفتها ، وهي الرؤية ، وجعلها تدرك صوت الشيخ المضرج في دمائه .

ومن ذلك قوله [3] :

والنـسيمات هفـت للحـديث العطـر
كلمـا قـد حـدثت بـصنوف الخـبر
غـير أني خلتـها لمعـانٍ أخـر

ومنه – أيضًا – قوله [4] :

إذا ما طرقت الباب لم ألمـس الخطـا لتفـتح لي والثغـر جـذلان يبـسم

فيما سبق تنهار الحواجز النفسية والمعنوية بين المدركات ، فأصبح يـسمع بعينـه ، ويلمس بسمعه ، وهكذا .

ب– التشبيه والوصف المباشر :

لقد اعتمد دمر على الوصف والتشبيه في رسم صوره الشعرية ، فقد انتزع صوره من المنظر الواقعي مطليًا بانفعالاته التي – دائمًا – ما يعبر عنها عن طريق الإيحاء والـضرب في فضاء المعنى ، ومن ذلك قوله [5] :

(١) النقد الأدبي الحديث ، للدكتور : محمد غنيمي هلال ، ص (٤١٩) .
(٢) ديوان علي دمر ، ص (٦٨) .
(٣) المصدر السابق ، ص (١٨٨) .
(٤) ديوان الأسرة ، ص (١١) .
(٥) ديوان علي دمر ، ص (٣٥٧) .

مـــسافرٌ دائمًـــا لم أســـترح أبـــدًا ضاعت دروبي وغامت كل أرجـــائي
كزورقٍ في جبال المـــوج مـــضطربٌ بـــــلا منـــــارٍ ولا نجـــمٍ ومينـــــاء

لقد جاءت الصورة موحية بالألم الذي تجرعه في غربته ، نتيجة بعده عن وطنه .

وقد أسهم الوصف بابتكار صور جديدة ، فوصلت عباراته إلى الإيحاء ؛ مثل قولـــه : (أضحوكة الأماني ، وضراعة بلهاء) (١) ، و (حلم الجياع ، وأطياف الإنـــصاف) (٢) ، و (عروس الفكر ، وطيوف الأماني ، وصدود العجب ، وذيول العفاء ، وأشـــباح شـــوق الأمل ، وشوك السى ، وطيف المخاوف) (٣) .

وهذا لا يعني أن كل ما ورد عند دمر من وصف يحمل تلك الدلالـــة ، بـــل يمكـــن الوقوف على كثير منها لم يتجاوز الوصف المباشر ، وبخاصة في المراحل الأولى .

ولا بد أن أشير إلى أنه قد ورد التشبيه عند الشاعر بأشكاله المعروفة : المفرد والبليـــغ والتمثيلي والمقلوب ، ومن الأمثلة على ما ورد بكل أدواته ، قوله (٤) :

ويـــح اليهـــود إذا مـــشينا نحـــوهم كالليـــل يزحـــف في المـــساء مخيمـــا

وأما قوله (٥) :

عمـــري يـــذوب علـــى الـــدرو ب أنـــــــا كأيـــــــامي أذوب

فقد ورد التشبيه بكل أدواته عدا وجه الشبه .

ويلحظ أن دمرًا – مما سبق – كان يهتم بأن يكون المشبه به مستمدًا مـــن الأشـــياء

---

(١) راجع : حنين الليالي ، ص (١٢) .
(٢) راجع على الترتيب في ديوان علي دمر : (١١٤ ، ١١٦ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٤٤ ، ١٩٣ ، ١٩٤) .
(٣)
(٤) ديوان علي دمر ، ص (١٠٢) .
(٥) المصدر السابق ، ص (٤٣٢) .

المألوفة للناس .

وقد وجدت بعض صوره قد تحولت إلى مجرد قوالب جاهزة لم تخرج عن حدود التشبيه التقليدي المألوف ، فجاءت الصور شارحة أو زخرفة للتزيين ؛ مثل قوله (١) :

يومٌ عصيبٌ عاصفٌ نروي به عطش الضمائر
يومٌ كأيام الجزا ئر كاشر الأنياب فاغر

وقوله (٢) :

كأن بروق القاذفات عشية سماء غدت بالنجم والنار ترجم

إن هذه الاستعمالات التشبيهية والاستعارية أصبحت باهتة جامدة ؛ لطول تكريرها ، ولكثرة استعمالاتها ، فلا تستقر في شعور المتلقي ، ولا تنضح بالجمال ، ولا تحفز خياله أو تنشط ذهنه .

ج- تبادل المدركات :

وظف الشاعر تبادل المدركات في بناء الصورة المفردة ؛ من خلال إضفاء الصفات المادية على المعنوية ، وبالعكس ؛ مما دفع إلى سقوط الفوارق بين طرفي الصورة ، وتحقق له ذلك عن طريق :

١- التجسيم :

ويعني نقل المجرد إلى مرتبة الإنسان ، فالشاعر يتعامل فيها مع المعاني المجردة ؛ ليمنحها صفات إنسان أو درجة تقترب منه . من ذلك قوله مخاطبًا صاحبته (٣) :

خيالك ما ينفك يرتاد خاطري غضوبًا أراه تارةً ثم باسما

---

(١) ديوان علي دمر ، ص (٦٦) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٦٨) .
(٣) المصدر السابق ، ص (٢٠٣) .

فالشاعر يجسم (الخيال) ، وذلك بإيصاله مرتبة الإنسان في قدرته على الغضب والتبسم .

٢- التجسيد :

ويتم من خلال إكساب المعنويات صفات المحسوسات ، مثل قوله (١) :

إنها رؤيا أتت من بعد يأسٍ وغياب
أيقظت عمري وأحيت لي أماني شبابي
نشوةٌ روحية النفحة أودت بعذابي
وسقتني من حميا الصفو أحلام رغابي

فالشاعر يجسد في الصورة السابقة (الرؤيا والنشوة) ، وذلك بنقلهما من نطاق المعنويات المجردة إلى نطاق الأشياء المحسوسة .

٣- التشخيص :

ويتم بخلع الصفات الإنسانية على كل من المحسوسات والماديات ، فتبدو المحسوسات والماديات كالبشر تحس وتنبض وتتحرك بالحياة ؛ مثل قوله (٢) :

كم نزهةٍ فيهم والبدر يضحك إذ جرس الجداول سكران الأناشيد

فقد جعل من (البدر) كالإنسان يضحك .

٤- التجريد :

وهو إكساب المحسوسات صفات معنوية مجردة ، ومن ذلك قوله (٣) :

---

(١) ديوان علي دمر ، ص (٢٦١) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٤٥٩) .
(٣) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

وللنـــواعير آهـــاتٌ كمـــا انتـــشرت أنـــات منـــصهرٍ بالعـــشق مفـــؤود

فـــ (النواعير) مادة محسوسة ، أسبغ الشاعر عليها صفة معنويـــة وهـــي (الحـــزن والألم) على سبيل التجريد بالإشارة إلى الأنات والآهات ، وهذا يعكس شعوره الـــداخلي المخلوع على الظواهر الطبيعية من حوله .

ثانيًا : الصورة المركبة (الكلية) :

وهي مجموعة من الصور المفردة التي يأتلف بعضها مع بعض بوحدة منطقية أو نفسية أو معنوية ؛ لتقديم موقف انفعالي يلفه قدر التعقيد ، ولا تستوعبه الصورة المفرد ؛ لهذا فـــإن تقويم هذه الصورة يكون عن طريق تلاحمها العضوي ، ولا يتحقق هذا التلاحم ما لم تكـــن الإيحاءات الصادرة من المشاهد العديدة التي نسجت منها اللوحة العامة متقاربة (١) .

واعتمد دمر أساليب عدة في بناء هذا النمط من الصور ، ومن أظهرها :

أ- التوليد :

استخدم فن توليد التشبيهات والصور بوفرة بالغة من خلال استقصائه أبعاد الـــصورة الأولى ؛ ليكون صورة مركبة من الأصل المفرد ، الذي تولدت منه ؛ لتعبر عن جانب مـــن جوانب التجربة التي من أجلها نظم القصيدة (٢) ، ومن ذلك قوله (٣) :

أيهـــا الليـــل إذا البـــدر تجلـــى وســـفر
رقصت فـــوق ميـــاه النـــهر أضـــواء القمـــر
فرح الكون بعـــرس النـــور مرتـــاح الـــوطر
وصـــحت بالأمـــل المرجـــو أحـــلام الحجـــر

---

(١) انظر : الصورة بين البلاغة والنقد ، للدكتور : أحمد بسام ساعي ص (٣٧) .

(٢) انظر : شعر غازي القصيبـــي " دراسة فنية " ، للدكتور : محمد الصفراني ، مؤســـسة اليمامـــة الـــصحفية ، ١٤٢٣/١هـــ ، ص (١٩٦) .

(٣) ديوان علي دمر ، ص (٤٥٦ - ٤٥٧) .

فـــارعني ياليـــل واخلـــق لي أفـــانين الـــصور
وأثـــر في نفـــسي الثكلـــى أليمـــات الـــذكر

في النص السابق تقوم الصورة المركبة على حشد من الصور المفردة عن طريق توليـــد تشبيه من آخر ، فتبدأ الصورة بالتنامي حتى تكتمل الصورة العامة ، يقدم الشاعر من خلال الأبيات السابقة وصفًا لما انتابه في تلك الليلة ، فأضواء القمر سترقص فوق مياه النهر حينما يتجلى البدر ويسفر ، توليد التشبيه من قلب التشبيه الآخر دون الخروج عن الفكرة العامـــة للنص ، (فرح الكون ، عرس النور ، أحلام الحجر . . .) كلها متصلة بوحدة عـــضوية ونفسية أسهمت جميعها في توضيح ما انتابه تلك الليلة .

وتعد قصيدة (لقاء) أنموذجًا لتراكم الصور المفردة التي تلح علـــى فكـــرة اللقـــاء ، فيجلوها الشاعر حتى تبدو أشبه بتقليب الفكرة الواحدة بعدة معان ؛ لذلك نجـــده يرســـم لوحة حسية تؤطرها الحركة (١) :

يا سنا النجمة هل تـــذكر لـــيلات الحبيـــب ؟
حـــين كنـــا لـــك نرنـــو وبقلبينـــا وجيـــب
سكرت تلك الجواء السود مـــن نـــد وطيـــب
في أمان الليل لا نخشى مـــع الليـــل الرقيـــب
يا صدى الهوى وادكاريه
أنت خمـــرتي وانتعـــاشيه
رقص الطـــير وغـــنى وهـــو غريـــدٌ طـــروب
يوقظ الوجـــد غنـــاءٌ مثلمـــا نـــاح الغريـــب
كم قطفنـــا ونثرنـــا الزهـــر إبـــان الغـــروب
وابتسمنا وشـــعاع البـــدر في النـــهر يـــذوب

مما سبق نلاحظ كيف تشترك الصورة الحسية والاستعارات داخل البناء الكلي للصورة

(١) ديوان علي دمر ، ص (١٢٨ - ١٢٩) .

المركبة ؛ بحيث أسهمت جميعها في تقديم الصورة الكلية المتمثلة في اللقاء .

ب- التراكم :

تقوم فكرة التراكم على حشد مجموعة من الصور المفردة المتتابعة التي تقدم بدورها مجموعة من الصور المتتالية ، والمترابطة بموضوع واحد ؛ بحيث تحدث في مجموعها تأثيرًا واحدًا يسهم في تشكيل رؤية الشاعر العامة ؛ من ذلك قوله (١) :

هتف الغيم بالسهول إلاما ... نحن نبكي فلول هذي الطيوف ؟
همس النجم للجبال لماذا ... لم تآويهم ببعض الكهوف ؟
تمتم الرمل ليتني كنت قمحًا ... لأسوي لهم دقيق الرغيف
صرخ الرعد بالسحاب لماذا ... لم تظللهم ببعض السقوف ؟
قالت الأرض : إن عندي قبورًا ... دافئاتٍ فمرحبًا بضيوفي

نلاحظ أن تشكيل الصورة المركبة يتكون من أقطاب عدة متمثلة في (الغيم ، والنجم ، والرمل ، والرعد ، والأرض) ، وهنا يراكم الشاعر الصور ؛ ليعمد من خلالها إلى إيجاد علاقة داخلية بين الإنسان ، ومظاهر الحياة الخارجية .

ج- الصورة المشهد :

وهي التي يعرض الشاعر فيها الواقع بكل تفاصيله ، فتكون صادقة . من ذلك : قصيدة : (قصة) ، فقد نقل صورة من واقعه المعيش ضمن إطار سردي ؛ يقول (٢) :

إذا غرقت ببحر الشجو والسهر ... وزجت النفس في ليلٍ من الفكر
وزارني جحفل الأوهام مصطخبًا ... وأغمدت بفؤادي أسهم القدر
وحرت تحت الدياجي لا أرى قبسًا ... كأنني بفلاةٍ مغلق البصر
رجعت في الليل للقرآن منغمسًا ... في جنةٍ من رياض الآي والسور

(١) ديوان علي دمر ، ص (١٠٩ - ١١٠) .
(٢) المصدر السابق ، ص (١٧٠) .

كأنه الـــشمس في الظلمـــاء طالعـــةٌ وأين منه ضـــياء الـــشمس والقمـــر
يغـــدو فـــؤادي كطـــيرٍ في خميلتـــه يرتل الـــشدو بـــين الظـــل والزهـــر

تعتمد الصورة على مبدأ حركة الكاميرا المتنقلة من مشهد إلى آخر ، مشهد في جـــو اختلطت فيه المشاعر ينتهي بتصوير مشهد إحساس الشاعر باللحظات الإيمانية ؛ إذ يفتـــتح النص من خلال تثبيت الكاميرا على حالة التيه التي شعر بها تلك الليلة ، ثم يبدأ بـــذكر أدق تفاصيل ذلك الشعور إلى أن يصل إلى المشهد الأخير الذي حمله تحولاته الشعورية .

د- الصورة الكونية :

يعتبر الكون أحد مقومات الصورة الشعرية كما هو الحال في الحركـــة والـــصوت ، وتشكل الصورة الكونية مظهرًا حسيًا يحدث توترًا في المتلقي ، ومـــن النمـــاذج الممثلـــة : قصيدة : (شعرها الأسود) التي يقول في أحد مقاطعها [1] :

يا ليالي الشتاء والعـــصف والظلـــ ـــمة أيـــن الفـــؤاد ضـــاعت منـــاه
الـــسواد الحـــزين يـــوقظ فيـــه شـــاحبات الأحـــلام مـــن ذكـــراه
شعرها وحشتي لـــدى البحـــر يغفـــو مرهبًـــا في الـــدجى وطـــال كـــراه
في الليـــالي المولـــولات الثكـــالى وفـــؤادي كـــالطير ضـــل خبـــاه
غمغم البحـــر والأواذي [2] نـــشوى بحـــديثٍ لم أدر مـــا فحـــواه
والنـــسيمات تـــستثير حفيفًـــا في لفيـــف الغابـــات يخـــشى صـــداه
سرت أبغـــي لقـــاء طيفـــك لكـــن غـــشيته الأشـــباح كـــي لا أراه

وبقي أن أشير إلى أن الشاعر في بعض قصائده نجح في خلق صورة شاملة غير قابلـــة للتجزئة ، فجعلت من القصيدة لوحة فنية واحدة ، ومن هذه القصائد : (رعـــشة) [3] ، وقصيدة : (لقاء) ، وقصيدة : (الغراب) ، وقصيدة : (قصة) ، وقصيدة : (المسلـــسلة

(١) ديوان علي دمر ، ص (٤٩٣) .
(٢) الأواذي : الأمواج .
(٣) ديوان رعشات ، ص (٢٦) .

الأبدية) ، وقصيدة : (أحلى لقاء) ، وقصيدة : (الهزيمة) ، وقصيدة : (المفاجأة) ، وقصيدة : (الأفعى) ، وقصيدة : (قلق) [1] .

❖ ❖ ❖ ❖

(١) راجع القصائد على الترتيب في : ديوان علي دمر ، ص (١٢٧ ، ١٤٢ ، ١٤٥ ، ٢٧١ ، ٣٠١ ، ٣٢١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٨ ، ٣٩٨) .

المبحث الثالث

وظائف الصورة ودلالتها

تنحصر وظيفة الصورة عند أكثر النقاد القدماء في تجلية المعنى والإبانة عن المـــراد ، أو في الغلو والمبالغة عند تصوير الشيء بما هو أحسن (١) ، أو في تجسيم المعنى اللطيف ، الذي هو من خبايا العقول (٢) .

والشاعر القديم في أغلب صوره كان يسعى للصنعة والترتيـــب ، والمحافظـــة علـــى النظام (٣) .

" أما الصورة الحديثة فإنها وهي تؤدي تلك الوظائف الطبيعية ، والتي تؤديهـــا معهـــا وسائل تعبيرية أخرى كالألفاظ والبديع والموسيقا ، فإنها تتميز بأدائها دورًا نفسيًا خاصًـــا ؛ حيث تسهم في نقل التجربة الشعرية التي عاناها الشاعر إلى المتلقي ، وتحاول أن تكشف عن حقائق مجهولة ، يعجز التعبير العادي عن . . . [الإفصاح عنها] " (٤) . ولا بـــد لكـــي تؤدي الصورة هذا الدور من أن تذوب في الانفعال ، وتتواءم مع الفكـــرة وإلا تثلمـــت ، وأبرزت انفعالاً خاويًا ، وفكرة جوفاء (٥) .

ولا يعني – مما سبق – أن الشاعر ينصب اهتمامه في تحقيق الهـــدف النفـــسي مـــن الصورة ، ويواري جمالية الصورة ، ويطفئ إشعاعها ، بـــل يـــوائم بـــين ذلـــك كلـــه ، فـــ " الجمال صفة نفسية ، تصدر عن خيال الأديب وذوقه ؛ فالخيال المصور يدرك مـــا في

---

(١) انظر : سر الفصاحة ، لابن سنان الخفاجي ، تحقيق : علي فوده ، مكتبة الخـــانجي بالقـــاهرة ، ١٩٩٤/٢م ، ص (٢٣٥) .

(٢) انظر : أسرار البلاغة في علم البيان ، لعبد القاهر الجرجاني ، بتعليق : محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ببيروت ، ١٩٧٨م ، ص (٣٣) .

(٣) انظر : قضايا النقد الأدبي المعاصر ، للدكتور : محمد زكي العشماوي ، ص (٥٢) .

(٤) البناء الفني في شعر الأميري ، للدكتور : خالد الحليبـــي ، ص (٣٠٦) .

(٥) انظر : الأدب في التراث الصوفي ، للدكتور : محمد عبد المنعم خفاجي ، مكتبة غريب بالقـــاهرة ، ١٩٧٧م ، ص (٢٢٤) .

المعاني من عمق وما يتصل بها من أسرار جميلة ، إدراكًا حادًا رائعًا ، والذوق يختار أصفى العبارات بهذا الخيال الجميل " (١) .

ومن خلال دراستي لصور دمر تبين لي أن الصورة عنده تنهض بالدور المناط بها ، والمتمثل في نقل تجربته الشعرية ، والكشف عن حالاته النفسية وانفعالاته ، ومن ذلك قوله (٢) :

إذا ما سجى ليلي وهاجت خواطري ... وجالت دموعي في الجفون السواهر
وطار خيالي في التأمل هائمًا ... ورف على وهج السنا والزواهر
ولم أر في قلبي بصيصًا لمأملٍ ... كأن فؤادي في ظلام المقابر
خلي من الدنيا شقي بذكرها ... وقد هدمته بالجدود العواثر
إذا استوحشت روحي وملت سرائري ... ولم أر في الدنيا هناءٌ لعابر
وفتشت عن أنسي وراحة هاجسي ... ومورد آمالي وهدأة ثائر
وجدتك بالآثار يا مبدع الورى ... تلوح جليا خلف كل المناظر

إنها مجموعة من الصور التي كشفت عن مشاعر متناقضة اكتنفت نفس الشاعر الباحثة عن اللحظات الإيمانية في تلك اللحظات الشعرية ، فالشاعر يدير عدسته ليلتقط مجموعة من الأحاسيس والمشاعر التي اعترته في تلك الليلة ، التي كان فارسها الهم والتيه ، ثم ما إن تتحول تلك المشاعر إلى مشاعر حب ودفء وهدوء جراء تلك اللحظات الإيمانية تغمر فؤاده سكينة ، تلتقطها عدسته التي كشفت عن ملكة تصويرية لدى الشاعر .

ومن أهم الدلالات النفسية التي تكشفها الصورة الشعرية عنده هي : أنها تسلط الضوء على طفولته ، وتكوينه النفسي والاجتماعي في بوازغ شبابه ، فقد شاب تفكيره شيء من التشاؤم والتبرم كقوله (٣) :

---

(١) الأسلوب ، للدكتور : أحمد الشايب ، ص (١٩٩) .
(٢) ديوان علي دمر ، ص (١٦٨) .
(٣) المصدر السابق ، ص (١٣٤) .

خلقت في هذه الدنيا كلؤلؤةٍ مكانها الصدر من حسناء كالقمر
لكنها أصبحت في غير موضعها تضيع مغمورةً في الوحل كالحجر

الشاعر – هنا – يصور نفسه بين الناس كلؤلؤة مندسة بين الأوحال بدلاً من أن تتربع فوق صدر فتاة حسناء ، وهذه الصورة تكشف مشاعر الشاعر الغاضبة ، فقد وجد نفسه يعيش بين أناس لا يقدرون ما تتسم به نفسه من سمو .

ويقول (١) :

يكره الناس لطمة الحق إن كا نوا غفاةً فالنوم حلمٌ جميل
يصلب الناس قائل الحق إن كا نوا غواةً فالغي سكرٌ قتول

يصور الشاعر كراهية الناس لقول الحق ، وما يتخذون من مواقف عدائية من دعاته والمنافحين عنه ، وهذه الصورة تشي بصدق الشاعر ، واحترامه للمبادء والتزامه بها .

ونجده – أحيانًا – يهرب من واقعه مستسلمًا ، فاقدًا للأمل ، يجر خلفه أذيال هزيمته (٢) :

وانزوى مفردًا كئيبًا بليلٍ خبأ النجم في دجى طيلسانه
صيرته الآلام نضوًا هزيلاً فهو يكوى بالجمر من أحزانه
أوحشته الأيام فاستنكر النا س وعاثت يدا الأسى بجنانه
ساء بالكون ظنه فسلاه هازئًا ساخطًا على إنسانه
في دجى الليل جاثمٌ بانفرادٍ يرسل الآه في نواحي كمانه
حلقت روحه على الأفق خوفًا من لظى جوفه ومن أشجانه
واعتلت تقصد السماء لتحيا بين أفلاكه وضمن أمانه
سئمت عيشها على الأرض تحسو من يد البؤس خمرةً في دنانه

(١) ديوان علي دمر ، ص (١٣٩) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٣٦٩) .

وينظر في فترة من فترات شبابه إلى نفسه نظرة اعتزاز وكبرياء ، ففي قصيدة لم يضع لها عنوانًا نظمها عام ١٩٥٣م نجده يفخر بنفسه فخرًا فيه كثير من الاعتداد بالنفس والكبرياء (١) :

أنا في وحدتي لدى ذكرياتي ... شمعة الليل آذنت بانطفاء
أنا لحن الظلماء طاف مع الفجـ ... ـر فجن الهزار للأصداء
أنا خفق الأكباد من لفحة الهجـ ... ـر ونفح الخميلة الغناء
أنا عصف اللهيب في حومة الهو ... ل ولمع الصواعق الحمراء

ويقول في قصيدة أخرى (٢) :

أنا ليل الخطوب لم يبد فيه ... غير نجمٍ يشع بالبسمات
عشت في الطهر والخيال وعند الـ ... ـناس لاحت كثيرةٌ هفواتي
رشقتني سهامهم وتمنوا ... أن أسجى بهوة العثرات
غير أني أراهم تحت سفحي ... من صغارٍ كالنمل في الفلوات

ومن الدلالات النفسية التي تكشفها الصورة عنده هي : بروز العنصر النفسي فيها ، ومرَّ معنا في تضاعيف هذا الفصل كثير من الصور التي كانت صدى لتحولاته النفسية .

ويزخر ديوان الشاعر بتصوير (تراجيدي) يكشف الغطاء عن شخصية دمر النفسية جراء البيئة الزمانية والمكانية التي أودعت فيه هاجسًا نفسيًا لا ينفك عن تكوينه الاجتماعي والنفسي ، ومن ذلك قوله (٣) :

يا ربما ناغمت لاهيةً ... شعري وقلبي فيك يحترق
وتقول نفسك شاعرٌ وله ... سحري لدى أوتاره ألق

(١) ديوان حنين الليالي ، ص (١٢) .
(٢) ديوان علي دمر ، ص (٣٦١ - ٣٦٢) .
(٣) المصدر السابق ، ص (٢٤٧) .

ألهـــو بـــه أختـــار أدمعـــه حبـــات عقـــدٍ في تـــأتلق
وأنينـــه عـــزفٌ أســـر بـــه بـــدماه لا بـــالخمر أغتبـــق

وقوله (١) :

تقول عيوننا : " يـا ليـت " لكـن تقول ظروفنـا : " يـا مـستحيل "
نغـض عيوننـا إمـا تلاقـت ونخـشى النظـرة العجلـى تطـول

وتناول دمر شعر (الحبيبة) تناولاً نفسيًا فيه جدة وأصالة ، فشعر الحبيبة استعمل للدلالة على جمال الحبيبة ، ولكن دمرًا يقول (٢) :

شـعرها كهفـي الـسحيق بغـورٍ لـيس تبـدو لخـائفٍ كفـاه
شـعرها حظـي المطلـسم يهـوي في سـراديب صـدها ودعـاه
شـعرها يغمـر البرايـا بحـارًا تحـت ليـلٍ ضـبابه يخـشاه
شـعرها نفـسي المليئـة رعبًـا مـن مجاهيـل شـعرها وازدهـاه

من خلال نفسيته القلقة الظامئة أحس بأن شعر فاتنته يجسد عالمه اللاهث ، فبدأ يغزل صوره من خصلات شعرها . ويلحظ أن مشاعره الحزينة تتقاذف في زورق صوره ؛ مخافة أن يطبق عليها يأسه ويلتهمها استسلامه .

وتوسل دمر الصورة الشعرية لتحتضن معاناته في حبه ، وفي إبراز أفكاره ورؤيته ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، لكني سأكتفي بإيراد بعض النماذج المختلفة (٣) :

وتـسري نـسمة الحـسرات فيـه فتـسقط منـه أعـذب أمنيـاتي
خريفـي لا يـزال بـه ربيعًـا بـرغم عواصـفٍ مـن كارثـاتي

(١) ديوان علي دمر ، ص (٢٢٧) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٤٩٤) .
(٣) المصدر السابق ، ص (١٥٤) .

يصور الشاعر تعلقه بالأمل في تحقيق أمنياته برغم فشله الذريع ، تصوير لما لا يمكن إدراكه بالحواس .

ويقول (١) :

أتيت ولكن بعد أن غاض مأملي وخلفني دهري رمادًا بلا جمر
أتيت ولكن بعدما جف مشتلي وعاد يبابًا موحش القر والحر

لوحة تنضح كل صورة فيها بمشاعر الخيبة التي اكتنفت نفس الشاعر لحظة عودة حبيبته في خريف عمره ، وهذه صورة من صور صراعه مع الزمن .

وما أجمل تصويره لحياته دون حبيبته قوله (٢) :

كأن حياتي دون ضوتك قفرةٌ أتيه بها حيران في جوف غيهب

فهو يصور حياته دون ضوء حبيبته قفرة يتيه بها حيران في ظلام حالك ، صورة تتجلى حينما تحتضنها نفس المتلقي ، وتتصور عناصرها ، وتتفاعل معها ، وتعيشها كأنها وقعت لها .

وتؤدي الصورة وظيفة أخرى ، حين تصبح وسيلة للتحسين أو التقبيح ، وعندما تصبح الصورة وسيلة للتحسين والتقبيح فإنها تؤدي إلى ترغيب المتلقي في أمر من الأمور أو تنفيره منه ، وهذه الغاية تتحقق عندما يربط الشاعر المعاني التي يعالجها بمعانٍ أخرى مماثلة لها ، لكنها أشد حسنًا أو قبحًا ، فتنتقل صفات الحسن أو القبح من المعاني المماثلة إلى المعاني المطروحة ، فيميل المتلقي إليها أو ينفر منها ، كما في قوله (٣) :

كأنما الشجر المياس من طربٍ حفيفه زفراتٌ باح شكواها
كأن كل الصبايا في حدائقنا ثمار روضة حسنٍ طاب مجناها
من كل مائسةٍ في حسنها ألقٌ بلادنا وحدها تنشي مزاياها

(١) ديوان علي دمر ، ص (١٥٦) .
(٢) المصدر السابق ، ص (١٨٤) .
(٣) المصدر السابق ، ص (٤٦٤) .

نزلــت كــل بــلاد النــاس قاطبــةً فلــم أجــد كــصباياها ومعناهــا
الحسن في أرضــنا الــرحمن أودعــه فأشرقت كــالربيع النــضر أرجاهــا

فهذا الحشد من الصور الفنية أراد الشاعر تحسين وتزيين الفتاة السورية ، وأنها لا تقل عن غيرها في محاولة لإقناع المتلقي بجمال الفتاة السورية .

أما الصور التي أدت وظيفة التقبيح فمنها قوله (١) :

رأيــت أناسًــا يــسكرون بــزحفهم على غيرهم كي يشربو من دم الورى
وفــوق الــضحايا يرقــصون شماتــةً وعربــدةٌ في خــان لــؤمٍ تفجــرا

إن هذه الصورة التي سورها الشاعر بسور الدناءة على ما تكتنفه من وقاحــة وقــبح تستثير إحساس المتلقي ؛ لتشعره بالنفور والفرار من جــرائم القتــل والعبــث في مــصاير الآخرين ، فمشهد أولئك الجمع من السكارى الشاربين دماء الورى بزحفهم ، والراقــصين فوق جثث الضحايا شماتة في حان اللؤم . مشهد قبيح يدعو إلى الرفض والكره لهذا الفعل . وهذا ما كان يصبو إليه الشاعر من ذلك التصوير .

وينطبق ما سبق على الصورة التي رسمها الشاعر في قصيدة : (الدخان) (٢) ؛ للتنفير من ربقة تعاطي التدخين .

ويرسم صورة منفرة وقبيحة لمساكن أهل الريف بغية أن يتنبه المــسئولون ؛ ليهتمــوا بالريف وأهله (٣) :

مــساكنهم قبحًــا ثقــوب خنــافسٍ من الروث فيها كــل طــودٍ مخــيم

وقد يلجأ إلى الخيال التفسيري في بعض صوره ؛ ليؤدي وظيفة معنوية ، ومن ذلــك

---

(١) رباعيات علي دمر ، ص (٨٥) .
(٢) راجع : ديوان علي دمر ، ص (١٥٨) .
(٣) ديوان حنين الليالي ، ص (١٠٣) .

مناجاته في قصيدة : (إلى الله) [1] :

تقـــاذفني مـــوج الحيـــاة كـــأنني ... قذاةٌ بسطح البحـــر والبحـــر زاخـــر
كـــأني فـــرخٌ في ليـــالٍ مـــواطر ... بقفـــرٍ مخيـــفٍ والرعـــود هـــوادر
كأني طفـــلٌ يأكـــل الـــوحش أمـــه ... بوادٍ رهيب الليـــل والـــثلج غـــامر
كـــأني هـــزارٌ أدخلتـــه بوكرهـــا ... من الرقش رقطاء بهـــا الـــسم وافـــر
كأني ظـــبيٌ ضـــل في الليـــل ســـربه ... فألقي بجـــوف البئـــر والبئـــر غـــائر
أؤمـــل لكـــن حـــين يولـــد مـــأملي ... يموت فأبغي اليـــأس واليـــأس نـــافر

مجموعة من الصور تنضح بشعور الحيرة وتأزم النفس ، تنطلق في فضاء الخوف مـــن المستقبل ، ونبذ الحاضر ، والبحث عن الأمن الذي يجده الـــشاعر في الإيمـــان بقـــضاء الله – ﷻ – وقدره .

ومنه – أيضًا – قوله [2] :

إن كنت بين رعاع النـــاس لا عجبًـــا ... فـــالورد منبـــت مـــا بـــين أشـــواك

فالشاعر – هنا – ينفي التعجب من كون حبيبته تعيش بين رعاع الناس ، ويتخذ من صورة الورد النابت بين الأشواك وسيلة لتفسير عدم التعجب وتبديده .

ومن وظائف الصورة عنده : الإقناع .

ومن الصور التي أدت وظيفة الإقناع في شعره ، تصويره للوحدة بين مصر وسورية في قوله [3] :

أشعة الوحدة الكبرى قـــد انطلقـــت ... تزج كـــل المـــنى في نفـــس رائيهـــا
تهفو إليها جـــراح العـــرب صـــاديةً ... وتفـــرح الـــضاد ماضـــيها وآتيهـــا

(١) ديوان علي دمر ، ص (٤٤٥) .
(٢) المصدر السابق ، ص (١٤٦) .
(٣) المصدر السابق ، ص (٧٣ – ٧٤) .

ووحدة العرب يرنو الكــون منتعــشًا ليجزع النــور في أنخــاب ماضــيها
ووحدة العرب تنشي الدهر شــرعتها كم غنت الأرض نشوى من مباديهــا

الشاعر – فيما سبق من أبيات وغيرها في القصيدة – راح يغني للوحدة ، ويزهو بها ، وراح – أيضًا – يسوق حججًا لفظية وصورًا فنية تدل على أن الوحدة هي النصر الحقيقي للأمة العربية ، فجراح العرب تهفو لها ، واللغة العربية جذلى بها ، والكون قد رنا وانتــشى وبدا يطعم النور في كأس الأمجاد الغابرة ، وأما الدهر فقد أفرحته هذه الوحدة التي دفعــت الأرض للغناء ؛ طربة بما تحقق .

ويؤطر الشاعر صوره العاطفية بألفاظ رقيقة تنأى عن الطنين والرنين ، وتخلــو مــن الضوضاء ، وتبعد عن الجلبة والشنة ؛ لتؤدي وظيفتها باقتدار ؛ حيث تنقل تجربتــه بكــل مميزاتها من القوة والصدق والدقة ، يقول (١) :

أشــــعة البــــدر نامــــت بالــــضفة الوســــنانه
والليــــل يهــــدي إلينــــا أنغامــــه النــــشوانه

❖ ❖ ❖ ❖

هنــــا ســــنجلس فاصــــغي إلى غنــــاء الــــسكون
الــــصمت يهــــزج لــــيلاً بنغمــــات اللحــــون

الشاعر – هنا – يصور جزءًا من الليل يكون فيه السكون مكتنفًا الكون ، فــشعاع القمر بدأ يخفت ، والليل يهزج على أنغام السكون . إنها صورة هادئة نسجت بألفاظ رقيقة عذبة ، تتواءم مع عواطفه التي تشاطر البدر في النوم ، واســتمعت إلى غنــاء الــسكون ، ورقصت على أنغام الليل . ولا شك أن الحروف الهامسة قد اتسقت مع هــذا المــشهد ، فآزرت الصورة ؛ لتنقل للمتلقي تجربة الشاعر العاطفية .

وتكشف الصورة – أيضًا – عن دلالات لغوية ، فنلحظ أنه لجأ إلى متجر اللغة فاختار الألفاظ الحسنة ؛ ليزين بها عرائسه (صوره) ، فلجأ إلى الألفاظ الــسهلة ذات الــدلالات

(١) ديوان علي دمر ، ص (٤٥٨) .

الصوتية التي ترتبط بمحتوياتها المعنوية ارتباطًا وثيقًا وواضحًا ، ومن النماذج الدالة على تلك الاستخدامات قوله (١) :

كم من أمانٍ لي تموت بمهدها كالطفل يولد نعشه إذ يولد
لهفي على يأسٍ يطيح بمأملي في نهره جمر الأسى يتبرد

استخدم الشاعر لهذه الصور ألفاظًا سهلة خفيفة في نطقها ذات موسيقا داخلية ناشئة من تكرار لفظة : (يولد) ، والمقابلة بين : (الموت والولادة) ، وبين (المهد والنعش) ، والابتداء بلفظة (لهفي) في الشطر الأول من البيت الثاني ، وتكرار حرف الراء في الشطر الثاني من نفسه .

وتسلط الصورة ضوءًا مشعًا على ذوق الشاعر في اختيار الألفاظ الواضحة السهلة الخفيفة في نطقها ؛ لكي تؤدي الصورة وظيفتها وتقوم بدورها (٢) :

جمرة الأفق لهيبٌ شب في قلبي وثارا
مأتم الشمس رهيبٌ يملأ النفس ادكارا

فالشاعر – هنا – اختار أصفى الألفاظ وأبعدها عن الغرابة ، وليس من دواعي الوزن والقافية ، ولكن دفعه حرصه على انتقاء الألفاظ المناسبة للمشهد الذي رسمه .

وأخيرًا فإن تقانة الصورة الفنية في شعر علي دمر كانت : " أسيرة صوته الغنائي من جهة ، وأنها أسيرة الدلالة التراثية من جهة ثانية . إنها دائبة الوصل مع النمطية التراثية ، لا تكاد تنفصل عنها إلا في لمحات خاطفة عاجلة في قليل من نصوصه الشعرية ، فهي لا تنفصل عن نمطيتها التراثية بقدر ما تتصل بها ، وطالما حبست في إطار المباشرة الواضحة والغنائية المكرورة . . . والرتوب والملل " (٣) .

---

(١) ديوان علي دمر ، ص (١٧٦) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٢١٤) .
(٣) قراءة هرمنيوطيقية للصورة الفنية في شعر علي دمر ، مقال ، للدكتور : نبيل قصاب باشي ، ص (٦) .

ولا بد أن أشير إلى أنه مع أهمية الصورة في النص الشعري إلا أنها تعد " وسيلة من وسائل متعددة للغة الشعرية " (١) ؛ لذلك لا يشترط لجودة النص أن يبنى على الصورة وحدها ، " كما لا تعني هيمنتها على اللغة التعبيرية حتمية جودة النص " (٢) . وقد حلَّق الشاعر في سماء الشعر بأجنحة أخرى غير الصورة ، فنجح في كثير من تجاربه ، و لم يقلل من أهميتها عدم اعتمادها على الصورة .

❖ ❖ ❖ ❖

(١) مفاهيم الشعرية (دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم) ، لحسن ناظم ، المركز الثقافي العربي ببيروت ، ١٩٩٤م ، ص (٥) .

(٢) البناء الفني في شعر الأميري ، للدكتور : خالد الحليبي ، ص (٣٢٨) .

الفصل الرابع

الموسيقا الشعرية

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : الموسيقا الخارجية .

المبحث الثاني : الموسيقا الداخلية .

الفصل الرابع

الموسيقا الشعرية

الموسيقا الشعرية : هي مجموعة أصوات متناغمة تتفاعل في نسق منتظم ؛ لتنقل الانفعالات الداخلية للشاعر ، وتسهم في استثارة أحاسيس المتلقي من خلال نقله إلى أجواء النص الشعري عن طريق التخاطب العقلي والوجداني .

وهي قادرة على تفجير الطاقات الدلالية والإيحائية للغة ، ولها القدرة – أيضًا – على أن تكشف طبيعة المشاعر والأحاسيس التي تعتمل في وجدان الشاعر . فالشعر " في صياغته الفنية يتكون من عدة تفعيلات ، تمثل وحدات موسيقية تكسب القصيدة نغمًا آسرًا مؤثرًا ، وحين تفقد القصيدة سحر هذا النغم ينقطع ذلك الخيط الفني الدقيق الذي يشد المتلقي إلى سماع الشعر " (١) .

والموسيقا من أهم عناصر الشعر ؛ لأن " جزءًا كبيرًا من قيمة الشعر الجمالية يعزى إلى صورته الموسيقية " (٢) . ويعول الشاعر عليها كثيرًا في التأثير في نفس المتلقي ؛ حيث إن من أهم الغايات التي يرمي إليها الأدب التأثير (٣) .

وفي نصوص دمر تواكب الموسيقا حالاته النفسية ، ومن ثم تشعر في شعره بمطابقة النغم لهذه الحالات ، ففي غضبه وتمرده يرتفع التعبير الموسيقي ، وفي حزنه وألمه وبثه الوجداني ينخفض النغم ، وربما يؤول إلى السكون حتى يتلاشى .

---

(١) انظر : نظرات في أصول الأدب والنقد ، للدكتور : بدوي طبانة ، ص (٤١) .

(٢) التفسير النفسي للأدب ، للدكتور : عز الدين إسماعيل ، مكتبة غريب بمصر ، ٤/؟ ، ص (٥٦) .

(٣) انظر : نظرات في أصول الأدب والنقد ، للدكتور : بدوي طبانة ، ص (٤١) .

المبحث الأول

الموسيقا الخارجية (الوزن والقافية)

١- الوزن :

لقد تمسك دمر بأوزان الشعر العربي القديم ، وعزف ألحانه الشعرية على أحد عشر وزنًا من أوزان الشعر العربي ، وظل محافظًا على التفعيلة والشطر والقافية ، مع التنوع فيها جميعًا . ويستوقفني استعمال هذه البحور صفاؤها ، ووضوح إيقاعها ، وقلة لجوئه إلى رخص الزحافات والعلل ؛ مما جعل بحورها واضحة الإيقاع ، وجاءت موسيقاه ملائمة لأغراضه الشعرية .

ومن خلال دراستي لشعر دمر ، تبين لي أنه نظم في غالب البحور الشعرية ، ولكنه أكثر من خمسة منها ، فجاء توزيع النصوص على البحور حسب النسبة الآتية :

١- **الخفيف** : (٤٥) نصًا من التام ، و (٦) نصوص من المجزوء ؛ مجموعها (٥١) نصًا ، و (٤) مقطوعات ، وتمثل (١٧٪) .

٢- **البسيط** : (٢٧) نصًا من التام ، و (٨) مقطوعات ، و (١١) رباعية ، وتمثل (١٤٪) .

٣- **الطويل** : (٢٣) نصًا ، و (٩) مقطوعات ، و (١٢) رباعية ، وتمثل (١٤٪) .

٤- **الكامل** : (٢٠) نصًا من التام ، و (١٦) نصًا من المجزوء ، مجموعها : (٣٦) نصًا ، و (٤) مقطوعات ، ورباعية ، وتمثل (١٣٪) .

٥- **المتقارب** : (١٥) نصًا من التام ، و (٧) مقطوعات ، وتمثل (٧٪) .

٦- **الرمل** : (٩) نصوص من التام ، و (١٥) نصًا من المجزوء ، ومقطوعتان ، وتمثل (٨٪) .

٧- **الوافر** : (١١) نصًا من التام ، و (٣٩) رباعية ، وتمثل (١٦٪) .

٨- **المجتث** : (٩) نصوص ، و (٣) مقطوعات ، و (٥) رباعيات ، وتمثل : (٥٪) .

٩- **المتدارك** : نص واحد من التام ، ونص آخر من المجزوء ، ويمثل (٠,٦٤٪) .

١٠- **الرجز** : (٥) نصوص من التام ، وتمثل (١٪) .

١١- **السريع** : نص واحد ويمثل (٠,٣٢٪) .

ولم أجد للشاعر ما نظمه في قوالب : المديد ، والهزج ، والمنسرح ، والمضارع ، والمقتضب ، كما تجنب استخدام المشطور والمنهوك من البحور .

وهذا دليل على أنه كان يمتلك أذنًا موسيقية مرهفة ، وذوقًا سليمًا ؛ حيث لديه المقدرة للتمييز بين البحور ذات الموسيقا المقبولة ، وبين البحور المهجورة ، أو التي شاب موسيقاها شيء من الاضطراب ، فأدى ذلك إلى قلة استخدامها في الشعر العربي ، ويدل - أيضًا - على بعده عن التكلف وانطلاقه من طبعه الشعري المستقيم .

حظيت تفعيلة بحر الخفيف بالنصيب الأكبر من موسيقاه ؛ حيث تصدرت بقية البحور . والخفيف من أشجى البحور الشعرية وقعًا ، وأطوعها خطوًا ، وأعذبها نغمًا ، وهو صالح لمختلف الدواعي والتجارب .

وتلا تفعيلة بحر الخفيف تفعيلات البسيط ، والطويل ، والكامل ، والوافر .

وتحظى تفعيلة بحر الرمل بالمرتبة السادسة عند الشاعر ، وتوزعت على مساحات دواوينه الشعرية . ولا شك أن استخدامه لهذه التفعيلة يعد رغبة منه في مواكبة التطور الموسيقي للشعر العربي في العصر الحديث ، فالرمل الذي ظل خامل الذكر في أشعار القدماء قد نهض به شعراء العصر الحديث نهضة كبيرة أوشكت أن تنزله المنزلة الثانية في أوزان

الشعر [١] ، وربما كثر استعماله لمجزوء الرمل ؛ لكونه يجود في التعبير عن حالات : الفرح ، والحزن [٢] . بينما حظيت تفعيلة بحر المتقارب بالمرتبة السابعة في موسيقا الشاعر ، وقد جاءت هذه التفعيلة في كثير من مواطنها تعكس قلقه وتوتره ، والاضطراب الذي مرَّ به الشاعر . وبحر المتقارب " بحر فيه رنة ونغمة مطربة " [٣] ، كما أنه قالب صالح للتعبير عن ازدحام الأفكار ؛ فتفعيلة (فعولن) تصل إلى مستوى الأحداث وتطورها .

ثم جاءت بحور : المجتث ، والمتدارك ، والرجز ، والسريع .

وبلوغ نسبة الأوزان القصيرة من المجزوء ، من مجموع البحور عنده نسبة تدل على تأثره بالشعر الحديث ، الذي شاعت فيه هذه الأوزان شيوعًا واسعًا .

ويلحظ من خلال الإحصائية السابقة أن مجزوء الكامل هو أكثر البحور القصيرة استخدامًا عنده ، وهو في الواقع بحر مستساغ ؛ متوافق مع ذوق العصر ؛ لما فيه من الخفة .

وأكثر من مجزوء الرمل ؛ حيث بلغت نسبته (١٦٪) من شعره ، وهو بحر ذو شجى دافق ، وخفة مطواع ، ثم يليه مجزوء الخفيف ، ويليهما مجزوء الكامل وهو بحر مستساغ ؛ متوافق مع روح العصر وذائقته ؛ لما فيه من الخفة ، والملامح الموسيقية الواضحة ؛ لهذا كان من أكثر البحور القصيرة شيوعًا في الشعر العربي ، وبخاصة في العصر الحديث [٤] .

وقد طبقت البحور الشعرية التي استخدمها الشاعر أغراضًا شعرية متنوعة ، وأهمها : الغزل ، والوصف ، والشكوى ، والعتاب ، والرسائل الإخوانية ، والعلاقات الأسرية ، وربما تداخلت هذه الأغراض في قصيدة واحدة ؛ لأن الشاعر سجين حالته النفسية التي لا تعرف الاستقرار ، وعالمه المليء بالمتناقضات والمفاجئات . فالوزن الواحد صالح لتجارب متعددة ؛ حيث إنه " يتشكل داخل كل تجربة تشكلاً متفردًا يميز الوزن نفسه في القصيدة عن غيرها ،

---

(١) انظر : موسيقا الشعر ، للدكتور : إبراهيم أنيس ، ؟ ، ٥/١٩٨١م ، ص (٢٢٩) .

(٢) انظر : علم العروض التطبيقي ، للدكتور : نايف معروف ، والدكتور : عمر الأسعد ، دار النفائس ببيروت ، ٣/١٤١٨هـ ، ص (١١٧) .

(٣) أصول النقد ، لأحمد الشايب ، ص (٣٢٠) .

(٤) انظر : موسيقا الشعر ، للدكتور : إبراهيم أنيس ، ص (١٠٧) .

ويميز إيقاع مقطع من مقاطع القصيدة عن بقية المقاطع في آن واحد (١) . ولعل ما يلفت النظر في طريقة استعمال دمر للبحور الشعرية حسن استغلاله لها ، فقد أضفى على كلماته تطريبًا ، وحقق بها جذبًا ، أو تأثيرًا ، وكل ذلك مرده لغزارة تدفقه اللغوي والعاطفي ؛ مما ينبئ بقوة الطبع والكسب الشعري ، وساعده في ذلك محيطه الاجتماعي الذي عاش فيه بكل تناقضاته ، وظروفه النفسية البائسة .

ويرد في شعره – أيضًا – التدوير بشكل واضح ، وهو اشتراك شطري البيت في كلمة واحدة (٢) ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، ومنها قوله (٣) :

في ظلال الواحات يا قمر الصحـ ـــراء يسري في ربعك المأهول

وقوله (٤) :

زهرةٌ أنت طيبها ينعش القلـ ـــب فأهدى إلي فؤادي طيبا

ومما يلفت النظر – أيضًا – في موسيقاه بروز التوتر الموسيقي في بعض نصوصه . ويؤدي المستوى النحوي دورًا هامًا في تشكيل النظام الإيقاعي للقصيدة ، ويشترك في تشكيل ظاهرة التوتر الموسيقي ، وهي ظاهرة شائعة في الشعر الحديث ، وهو ما يعرف على المستوى التراثي بالتضمين ، ومن الأمثلة على ذلك قوله (٥) :

وبينا أخوض الدجى مفردًا على شط نهرٍ خلال الشجر
أطل الهلال على ملكه فغادر ظلاً لطيف الأثر

فالبيت الأول انتهى عروضيًا ، ولكنه لم ينتهِ نحويًا ودلاليًا ، فيفرض العروض التوقف ،

(١) مفهوم الشعر ، للدكتور : جابر عصفور ، دار الثقافة للطباعة والنشر بالقاهرة ، ١٩٧٨م ، ص (٤١٤) .
(٢) انظر : المعجم المفصل في اللغة والأدب ، للدكتور : إميل بديع يعقوب ، والدكتور : ميشال عاصي ، دار العلم للملايين ببيروت ، ١٩٨٧/١م ، (٣٦٩/١) .
(٣) ديوان علي دمر ، ص (٤٢) .
(٤) المصدر السابق ، ص (١٢٦) .
(٥) المصدر السابق ، ص (١٢٥) .

في حين أن تركيب الجملة النحوية الممتد إلى البيت الثاني يدعو إلى الاستمرار .

ومن ذلك قوله (١) :

لـــئن غيبتـــك الحادثـــات بحنـــدسٍ من الذل والتضييع والجهـــد والـــصد
فما غيبت في القلـــب حبًـــا مـــسعرًا يزيـــد لهيبًـــا كلمـــا زدت في البعـــد

وكتب (الرباعيات) ومن أمثلتها : (خمرة الحـــب) ، و (الـــزمن الرهيـــب) ، و (خمرتي وخمرة الخيام) ، و (رسالة الشعر) ، و (الإنسان وحش) (٢) .

وعلى الرغم من أن الشاعر لم يقبل على شعر التفعيلة إلا أنه قد لجأ إلى استخدامه في رسالتين من رسائله الثلاث التي أرســـلها إلى نـــزار قبـــاني . الرســـالة الأولى : (جمـــال عبد الناصر) ، وهي قصيدة من بحر الرجز (٣) :

إلى أخي نزار

تحية الإعجاب والوقار

لشاعر الجمال

والحب والقتال

مفجرًا من كل حرفٍ طاقة انفعال

في الروح والخيال

يتكون هذا المقطع من ستة أسطر شعرية تتفاوت طولاً من حيث عدد التفعـــيلات في كل سطر ، وقد أسهم هذا التوزيع للتفعيلات في التأكيد على حرية الـــشاعر في توظيـــف

(١) ديوان علي دمر ، ص (٢٠٨) .
(٢) راجع : رباعيات علي دمر (مخطوط) ، ل (٥٨ ، ٦٠ ، ٧٠ ، ٩٠ ، ١١٠) .
(٣) ديوان رسائل محرجة إلى نزار قباني ، المطبعة الحديثة بحماة ، ١٩٨١/١م ، ص (١١) .

التفعيلة وفق ما تقتضيه الدفقة الشعرية .

يفتتح المقطع بلفظة (أخي) ؛ هكذا بياء المتكلم التي تفيد التملك ، وتشعر بشدة الصلة ، ويلحظ أن الشاعر حمل السطر الثاني والخامس تعبيرًا يكشف إعجابه بنزار وشاعريته .

أما الرسالة الثانية : قصيدة (ميراث العرب) ، بناها الشاعر على وزن الرجز – أيضًا – (١) :

وبعد هذا الرفض يا نزار

تستلهم الآثار

تشحذ من معاوية

مجدًا ونصرًا من بني أمية

ومن بني حمدان من خيولهم

ومن سيوف خالد

تشحذ نصل سيف

فكل أسياف العرب

في عصرنا من الخشب

لقد أسهم التركيب اللغوي في التشكيل الدلالي والنفسي ؛ حيث إن افتتاح النص بشبه جملة ظرفية يعمل على إشاعة الحركة من خلال الحدث ، وتوالي حركة الأفعال المضارعة أشاع إيقاعًا متسارعًا متصاعدًا ، فالشاعر يريد أن يدلل على تناقض نزار الرافض لتاريخ العرب وحضارتهم ؛ إذ إنه يستلهم في قصائد أخرى آثار معاوية ، وأمجاد بني أمية

(١) راجع : ديوان رسائل محرجة إلى نزار قباني ، ص (٤٠ – ٤١) .

وبني حمدان .

٢- القافية :

تعد القافية الركن الثاني من أركان إيقاع الشعر العربي الخارجي ، وتساهم مع الوزن في ضبط الإيقاع المتكرر . وهي تكرار منتظم لصوت معين ، ونسق وزني معين . ويرى بعض الدارسين أن القافية عبارة عن صوت يمكن انتهاء الدفقة الانفعالية عنده والانتقال إلى دفقة أخرى (١) .

وللقافية أثر كبير في نقل الانفعال من الشاعر إلى المتلقي ؛ ولا أدل على ذلك من أنك تستمع إلى قصيدتين قد تكونان في موضوع واحد ، ومن بحر واحد ، ولكنهما مختلفتان في القافية ، فتجدهما مختلفتين في درجة التأثير (٢) .

ومن وظائفها : أنه من خلالها يدرك المتلقي خاتمة البيت الشعري (٣) .

والقافية الناجحة : هي التي تكون " ركنًا ركينًا من معنى البيت الإجمالي ، وإضافة حقيقية لمعناه وموسيقاه ، وإلا فهي حشو لا قيمة لها ، أراد الشاعر أن يسد بها خلل الوزن ، فأثقله وشوهه " (٤) . ويكمن جمال القافية ورونقها " في تشابه الصوت ، واختلاف المعنى ، وليست القافية سوى نموذج مركز ومكثف للغة الشعر كلها التي تعتمد أساسًا على التوازي في بنيتها العميقة " (٥) .

والقافية في شعر دمر تقع ضمن الأطر التالية :

---

(١) انظر : لغة الشعر العربي الحديث ، لسعيد الورقي ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٨/١م ، ص (٢٦٩ - ٢٧٠) .

(٢) انظر : النقد الأدبي ، لأحمد أمين ، ص (٨٩) .

(٣) انظر : نظرية الأدب ، لرينيه ويليك واوستن دارين ، ترجمة : محيي الدين صبحي ، مراجعة : د. حسام الخطيب ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت ، ١٩٨٧م ، ص (١٦٧) .

(٤) البناء الفني في شعر الأميري ، للدكتور : خالد الحليبي ، ص (٣٤٤) .

(٥) انظر : البنائية في النقد الأدبي ، للدكتور : صلاح فضل ، دار الآفاق الجديدة ببيروت ، ١٩٨٥/٣م ، ص (٣٩١) .

أ- القافية الموحدة :

وهي توحيد القافية في القصائد ، بمعنى التزام روي واحد في القصيدة كلها . ولمعرفة أكثر الحروف استخدامًا في روي قصائده عمدت إلى حصر حرف الروي في قصائده ذات القوافي الموحدة :

حرف الروي	عدد القصائد	عدد الأبيات	النسبة	حرف الروي	عدد القصائد	عدد الأبيات	النسبة
الراء	٤٦	٣٦٥	١١٪	الحاء	١١	١٨٩	٥,٨٪
الدال	٣٠	٢٧٠	٨٪	القاف	٩	١٧٠	٥,٨٪
الباء	٢٧	٢٠٣	٦,٣٪	العين	٨	١٧٧	٥,٤٪
النون	٢٧	٢٥٠	٧٪	الكاف	٧	١٧٠	٥,٨٪
اللام	٢٣	٢٠٧	٦,٤٪	الياء	٦	١٤٠	٤,٣٪
الميم	١٨	٢٠٠	٦,٢٪	الهاء	٥	١٢٠	٣,٧٪
الهمزة	١٦	١٩٩	٦,١٪	الفاء	٤	١٨٠	٥,٥٪
التاء	١٢	٢٠١	٦,٢٪	الألف	٢	١٧٨	٥,٥٪

يتضح مما سبق :

١- أن الشاعر كتب على الأحرف المألوفة ، والشائع ورودها في قوافي الشعر العربي عامة .

٢- ترك الشاعر عددًا من حروف الهجاء وهي : (ث ، خ ، ذ ، ز ، ش ، ص ، ض ، غ ، و) . ولم يكن الشاعر بدعًا من الشعراء ، بل إن الغالبية من الشعراء من ترك تلك الحروف في قصائدهم ، ولعل مردّ ذلك إلى قلة الكلمات التي تنتهي بهذه الحروف بالنسبة لغيرها .

٣- نلحظ : أن الشاعر يميل إلى استخدام الحروف : (ر ، د ، ب ، ن ، ل ، م) وهي حروف جاءت رويًا في عدد كبير من قصائده ، وناسب جرسها موضوع القصائد ، وطبيعة الشاعر النفسية ، فهو يميل إلى التكرار ؛ لذا فحرف : (الراء) الذي يحمل جرس التكرار يناسب طبيعته . واهتمامه بحرف :

(النون) يناسب حالات التنهد التي تعتريه أثناء أحزانه ، فـ (النون) أنفي ؛ وبذلك قد أعان الشاعر على تفريغ آهاته . أما حرفا : (الباء والميم) فهما شفويان ، وكانا أداة الحديث المستمر بينه وبين نفسه .

٤- استخدم في قصائده ذات القوافي الموحدة المطلق منها والمقيد :

أ- القافية المطلقة : وهي ما كان حرف الروي فيها متحركًا .

ب- القافية المقيدة : وهي ما كان حرف الروي فيها ساكنًا .

٥- أدى الوصل والخروج والردف والتأسيس دورًا رئيسًا في نقل حالاته النفسية ، وقد أحسن التعامل معهما ، ومن ذلك قوله [١] :

أسائل الكون عن نبعٍ بلا هدفٍ ظمآن يا ري أحلامي وتحناني
حتى غدوت ضياعًا مهملاً وخبا لهيب فني في أعماق نيراني
وأخمدت جذوة الآمال وانطفأت مشاعل الفكر في صحراء نسياني

فحرف : (النون) الأنفي الذي تناسب مع أحزانه وآلامه وشكواه نراه يردفه بحرف : (الألف) وهو حرف انفتاح وتوجع ، ثم يوصله بحرف : (الياء) ؛ لينقل معاني الوجع والألم المستمر للمتلقي عن طريق التسريب ؛ عله يشاطره بعضًا من تلك الأوجاع والآلام .

ويقول - أيضًا - [٢] :

إذا كان شعري جر هذا فإنني سأحرق قرطاسي وأكسر أقلامي

فحرف : (الميم) هو الروي ، وحرف : (الياء) بعده وصل ، و (الميم) صالح لمبادلة الأحاديث الوجدانية ، ومن طبيعة الأحاديث ترديد الكلام ، وحرف : (الياء) صالح

(١) ديوان علي دمر ، ص (٢٣٠) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٣٧١) .

للترديد .

٦- إلى جانب استيلاء الحروف السهلة على معظم قصائده ، فإنه أكثر من حركة : (الكسر) حيث نالت (٥٥٪) من النصوص ، ثم (الضمة) وهي تساعد على ختم البيت الشعري ، ونالت (٢٠٪) من النصوص ، ثم (الفتحة) حيث نالت (٢٠٪) من النصوص ، وهي تناسب الشجون والأحزان ، ثم (السكون) ؛ حيث نالت (١٥٪) من النصوص . وربما لجأ إليها الشاعر ؛ لتخفف بها من مراعاة الموقع الإعرابي للكلمة التي يختم بها بيته الشعري ، وهي ما يطلق عليها بالقافية المقيدة .

٧- يضع الشاعر لكلمة القافية اهتمامًا خاصًا من حيث حسن اختيارها اللغوي ، وموقعها الإعرابي ، كما أن لها تأثيرها على باقي عبارات البيت الشعري ، ويظهر اتصال وثيق بين حرف الروي والحروف الشائعة في النص ، فإذا كان حرف الروي (الراء) مثلاً ، تكرر في النص حرف (الراء) ، وربما سبب ذلك أن الشاعر من فرط اهتمامه بالقافية يركز عند النظم على كل كلمة بحرف يشبه حرف الروي ، فتتكرر دون وعي منه مثل تلك العبارات [١] . من ذلك قوله [٢] :

ولم تأتني حتى غدا الروض بلقعًا ... وجاء خريفي باعث الحزن في عمري
ولم تأتني حتى تضرجت بالأسى ... وصوح غصني فاقد الزهر والنشر
ولم تأتني حتى تعرت قصائدي ... من الحب وارتاح الذي دق في صدري

فقد تكرر حرف : (الراء) وهو الروي في القصيدة في أثناء ثنايا الأبيات السابقة (٩) مرات ، بمعدل (٣) مرات في البيت الواحد .

---

(١) انظر : في الأدب السعودي – رؤية داخلية – ، للدكتور : يوسف نوفل ، دار الأصالة الرياض ، ١٤٠٤/١هـ ، ص (١٨٣) .

(٢) ديوان علي دمر ، ص (١٥٦) .

ب- القافية المتعددة :

يعمد الشاعر إلى تنوع (الروي) داخل القصيدة الواحدة ، مما يساعده على التعبير إلى حد كبير عن ما يموج في داخله من معان متنوعة .

وقد تتبعت صور خروج دمر عن القافية الموحدة فظهرت بما يأتي :

١- أن يتفق البيت مع البيت الذي يليه في (القافية) ، ثم تتغير بشكل ثنائي في الأبيات التالية ، وهذا النظام يعرف بالدوبيت . ومن نماذج ذلك قوله [١] :

إلى نسائم حب ... حركن دوحة روحي
فغمغمت بحفيفٍ ... باكي الحنين جريح
إلى اشتعالٍ أضاءت ... فيه مجامر نفسي
فزغردت في لهيبي ... أحطاب غفلة حسي
إلى صباحٍ أعاد الـ ... ـصبا إلي جديدا
براعمي في نداه ... تفتحت بي ورودا

ومن ذلك : قصائد : قصيدة : (سراب) [٢] ، وقصيدة : (ضوء القمر) [٣] ، وقصيدة : (أنس يبتلع السم) [٤] ، وقصيدة : (زوجتي المثالية) [٥] .

٢- استخدام الشاعر نظام المربع ؛ مثل [٦] :

خجلت فلم أبد من لوعتي ... إليك ولم أشك حر الغرام
إذا ما ذكرتك في خلوتي ... تسيل دموعي ويذكو الضرام

---

(١) ديوان علي دمر ، ص (٢٧٠) .
(٢) راجع : المصدر السابق ، ص (١٩٣) .
(٣) راجع : المصدر السابق ، ص (٤٥٨) .
(٤) راجع : ديوان عالم الأسرة ، ص (١٧) .
(٥) راجع : المصدر السابق ، ص (٣٩) .
(٦) ديوان علي دمر ، ص (١١٨) .

ومن النماذج : النصوص الآتية : (انتقام ، وحدتي ، ورحلة حب) [١] .

وكتب (مسبعًا) ؛ مثل : قصيدة : (كحلم خطر) [٢] ، و (مثمنًا) ؛ مثل : قصيدة : (صراخ الرميم) [٣] .

٣- قصيدة : (لقاء) [٤] بناها على نظام المخمس ؛ إذ قسمها إلى عدة مقاطع ، وجعل لكل مقطع قافية خاصة ، لكنه بناها على بحر الرمل ، وبنى البيت الخامس من كل مقطع على بحر المتدارك ، والتزم فيه رويًّا موحدًا في جميع المقاطع ، وأشبه بهذا ما فعله الشاعر عمر بهاء الدين الأميري [٥] في قصيدة : (رحى) [٦] ؛ حيث بناها على بحر المتقارب ، وصدرها بلازمة من بحر الرمل .

٤- قصيدة : (الفشل والطموح) [٧] قسمها الشاعر إلى ثلاثة مقاطع مختلفة في الطول ، فكان نصيب المقطع الأول سبعة أبيات ، ونصيب المقطع الثاني تسعة أبيات ، وأربعة أبيات كانت من نصيب المقطع الثالث .

٥- قصيدة : (غمغمات) [٨] بناها الشاعر من ثلاثة مقاطع مختلفة في الطول ، وجاء الروي موحدًا في الأول والثالث ، وخالفهما في المقطع الثاني .

---

(١) راجعها في : ديوان علي دمر ، على الترتيب : (١١٨ ، ١٩٨ ، ٢٢١) .

(٢) راجع : المصدر السابق ، ص (١٢٥) .

(٣) راجع : المصدر السابق ، ص (٢٥٨) .

(٤) راجع : المصدر السابق ، ص (١٢٧) .

(٥) **هو** : عمر بهاء الدين الأميري (١٣٣٤ - ١٤١١هـ ، ولد وتعلم في حلب ، ثم اتجه لدراسة الحقوق في (معهد الحقوق العربي بدمشق) ، وعمل في سلك التعليم والمحاماة والسلك السياسي ، له : ديوان (ألوان طيف) و (إشراق) و (أمي) و (مع الله) (دواوين شعرية) . انظر : عمر بهاء الدين الأميري ، للدكتور : خالد الحلبي ، ص (٣٦ - ١٧٧) .

(٦) راجع : ديوان : الزحف المقدس ، لعمر بهاء الدين الأميري ، دار الضياء بعمان ، ١٤٠٩هـ ، ص (٧٣ - ٨٠) .

(٧) راجع : ديوان علي دمر ، ص (٤٠٠) .

(٨) راجع : المصدر السابق ، ص (٤٥٥) .

ولا يفوتني أن أنبه إلى أن الشاعر قد أحكم أبياته ؛ لما كان يتمتع به من سعة معجمه اللغوي ، وصحة طبعه الشعري ، وقد أتت قافيته " مستقرة في قرارها ، متمكنة في موضعها " (١) في كثير من شعره . وجاءت مواتية طبيعية لم يستكرهها ، ولا " يسد مسدها غيرها " (٢) ، وسلمت من (الإيطاء) وهو : " أن تتفق القافيتان في قصيدة واحدة " (٣) أي أنْ تكرر الكلمة ذات الدلالة الواحدة في أقل من سبعة أبيات (٤) .

ولعل مما يؤخذ عليه ضعف شعره حين يضطر إلى تكملة البيت بكلمة من أجل القافية ، ومن الأمثلة على ذلك قوله (٥) :

في ثلث قرنٍ مضى قد عشت هانئةً ... في ظل روضي ومن كدي ومن تعبي
سفحت عمري شبابي كله هدرًا ... لديك ضحيت كل المال والنشب

فكلمات القافية لم تضف للمعنى جديدًا ، ولم تساهم في رفع القيمة الفنية فيهما ، وإنما جاءتا لتسدا الخلل .

(١) كتاب الصناعتين ، لأبي هلال العسكري ، ص (٥٠٨) .

(٢) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

(٣) نقد الشعر ، لقدامة بن جعفر ، تحقيق : كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ١٩٧٩/٣م ، ص (١٨٧) .

(٤) انظر : أهدى سبيل إلى علم الخليل ، لمحمود مصطفى ، تحقيق : د . محمد أحمد قاسم ، المكتبة العصرية بيروت ، ١٤٢٢/١هـ ، ص (١٢٢) .

(٥) ديوان : عالم الأسرة ، ص (٣٢) .

المبحث الثاني

الموسيقا الداخلية

لم يعرف الناقد القديم " الموسيقا الداخلية " باسمها ومفهومها الحديث ، لكن هناك إشارات في كتب علم اللغة والأصوات وكتب البلاغة والنقد ، تؤكد وجود هذا الحس الموسيقي عندهم ، " وإن لم يأخذ شكلاً نقديًا خاصًا ؛ كما في العصر الحديث ؛ الذي كان لعناية الغرب به أثر في تطويره . . . .

ومن المؤكد أن شعراء العربية المعاصرين لم يفيدوا من أسلافهم . . . ، وإنما كان . . . تأثرهم بالشعر الغربي ، والحركة الرومانسية على وجه التحديد [في العناية بالموسيقا الداخلية] " (١) .

والموسيقا الداخلية ناتجة عن اختيار الكلمات ، وترتيبها وبناء الجملة ، وكيفية التعبير ، كما أنها تنتج عن " التنغيم الذي تفرضه بعض الكلمات تبعًا للإيحاءات النفسية التي تلف اللفظ عبر الزمن " (٢) ، وهذا التنغيم يؤدي دورًا في إثراء النص بإيقاع موسيقي خاص .

إنه نوع من الانسجام الصوتي الداخلي يظهر في توافق بين الكلمات ودلالاتها من جهة ، والكلمات وأصواتها من جهة ثانية ، ولا شك أن هذا مرهون بالتأثيرات الشعورية المتولدة من التجربة الشعرية وطبيعتها المتصلة بالانفعالات في المجال الشعري .

وإذا حاولنا أن نتلمس الموسيقا الداخلية في شعر دمر تستوقفنا قصائده الحماسية التي كشفت مدى الاستقلال الواعي للشاعر للطاقات الفنية لهذه الموسيقا ، فقد كان يختار ألفاظًا ذات جرس يوائم تلك التجارب ، وقد لازمت صفة الجهرية كثيرًا من تلك القصائد ، فقد كان النغم الشعري يقرع الأسماع بإيقاعه الخارجي والداخلي ، ومن ذلك قصيدة :

---

(١) البناء الفني في شعر الأميري ، للدكتور : خالد الحليبي ، ص (٣٧٠ - ٣٧١) .

(٢) الإطار الموسيقي للشعر - ملامحه وقضاياه - ، للدكتور : عبد العزيز نبوي ، دار الصدر بمصر ، ١٩٨٧/١م ، ص (٣٤٤) .

(العاصفة) [1] :

يا رياح الإعصار لا تتركي في الـــ ـــكون شيئًا يعارض الإعصارا
واغمري الظالمين بالحق رعبًا يتهاوون يملأون القفارا
فأزيز الرصاص زمزم حتى أرجع الليل بالبرق نهارا
جلجلت ثورة العروبة تدوي تغمر الكون ضجةً وانفجارا

يتأدى العنف الخطابي في هذه الأبيات من خلال ألفاظ لها رنة مشحونة بالتوتر النفسي ، وهي : (عمري – رعب – يعارض – يتهاوون – يملأون) . ثم إنه يتعرض للقتال والمجد والبطولة باستعماله ألفاظًا : (أزيز – الرصاص – زمزم – جلجلت ثورة – ضجة – انفجار) . وتظهر الموسيقا – أيضًا – في اعتماده حرف المد (الألف) في ألفاظ : (رياح – إعصار – يعارض – الظالمين – يتهاوون – القفار – الرصاص – نهار – انفجار) .

ومما أسهم – أيضًا – في إبراز الموسيقا اعتماده على بعض الحروف التي تكررت في الأبيات أو في البيت الواحد ، وهي : (العين – الزاي – الجيم – الباء) .

فالموسيقا الداخلية في مثل هذا الشعر " لا تتحدث إلى النفس ، إنما تتحدث إلى الأذن برناتها ، وترادفها ، وتقاطيعها الصوتية " [2] . وقس على ذلك بقية النصوص الحماسية ؛ حيث إنها تتطلب مثل هذه الموسيقا .

فإذا انتقلنا إلى قصائده الغزلية ، وجدنا أن الموسيقا تتنوع بحسب تجاربه ومعاناته ، بمعنى أنها تواكب المحنة الشعورية ، فتستمد منها قوتها وضعفها . ففي قصيدة : (لحظة الوداع) يظهر نغم حزين يتلاءم مع آلام الشاعر وجراحه [3] :

---

(١) ديوان علي دمر ، ص (٩٤) .
(٢) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ، للسحرتي ، ص (١٠٧) .
(٣) ديوان علي دمر ، ص (٢٩٩) .

كيف أنسى وقت الوداع وقد صا ... فحت روحي بنظرةٍ من خشوع
وتلاقى الكفان في نبضات الـ ... ـخوف والحزن للفراق المريع
ووجمنا والعين بالعين غابت ... في بحار الأسى وراء الدموع

إن الأبيات ذات إيقاع عذب ، يتمثل في اختياره ألفاظًا تعبر عن حالة شعورية هي حزن الشاعر لحظة وداعه لحبيبته ، فالألفاظ هي : (أنسى – الوداع – نبضات – الخوف – الفراق – وجمنا – غابت – الأسى – الدموع) .

وتظهر الموسيقا – أيضًا – في استعماله قافية العين ، وما لهذا الصوت من جرس حلقي يوحي بالفجيعة ، كما أن الشاعر يستخدم الفعل الماضي ويحمله تلك النبرة الحزينة ، ويبدو ذلك في : (أنسى – صافحت – وجمنا ، غابت) .

وفي قصيدة : (دنياعيون) ينبعث إيقاع خافت مهموس محبب للنفس [1] :

بعينيك دنيا لا تحد وتلمح ... بها يسبح الروح الحزين ويمرح
ملونة الأضواء كالخلد جوها ... أروح بها كالطير هيمان أصدح

إن استخدام حرف (الحاء) قافية للقصيدة يوحي بحزن الشاعر ، ويضفي نوعًا من النغم الحزين ، بالإضافة إلى استعماله للكلمات المشددة التي كشفت سعي الشاعر وراء الكلمات التي تحرك الوجدان .

والشاعر يبذل جهده في المواءمة بين صوت اللفظ والمعنى ، وهو ما يسمى التمثيل الصوتي للمعاني [2] ، ومن ذلك قوله [3] :

وزججت في قبر الحياة بميتةٍ ... سوداء قبل توارد الأجيال

فبمجرد أن يسمع المتلقي هذا البيت يصل إلى سمعه ذلك الزج عنوة الناشئ عن تكرار

(١) ديوان علي دمر ، ص (٢١٠) .
(٢) انظر : الخصائص ، لعثمان بن جني ، بتحقيق : محمد علي النجار ، دار الهدى ، بيروت ، (١٦٨/٢) .
(٣) ديوان علي دمر ، ص (٣٧٦) .

حرف : (الجيم) الذي يتمتع بالجهر والشدة ، وقد أسهم حرف : (الزاي) في رسم ذلك الشعور ، فهو حرف جهوري احتكاكي لثوي .

ومن ذلك قوله (١) :

سل (الشرفة) الحمراء تنبيك عنهم إذا ضجت الآفاق واستفحل الأمر

فحرف : (الضاد) الذي من صفاته الجهر والاستعلاء والإطباق يلعب دورًا في نقل صورة الضجيج . وكذلك يسهم حرف : (الجيم) – أيضًا – في نقل تلك الصورة .

ولأن الشاعر كان حريصًا على توفير قدرٌ كبير من الموسيقا لنصوصه الشعرية عمد إلى التكرار الصوتي ، ولا شك أن تكرار صوت من الأصوات في نص بعينه يثري الإيقاع الداخلي بلون موسيقي خاص ، ومن ذلك قوله (٢) :

حبها كان روض فجر الأماني تتناغى أطياره البيضاء
ذهبت كالندى تبخر في الشمـ ـس وغابت كما يغيب المساء

إذا ما تأملنا البيتين السابقين وجدنا الشاعر ركز على صوت (الباء) ؛ إذ نراه موزعًا في ثناياهما . وحرف : (الباء) صوت انفجاري جهوري ، يتميز بإطباق الشفتين عند النطق به ، ثم انفجار الصوت ؛ حيث يحدث النطق به دويًا انفجاريًا ، وقد أحسن الشاعر حينما وظف هذا الصوت ، فإلى جانب ما أوجده من موسيقا وإيقاع ، فقد أسهم في إيضاح حالته النفسية التي اتسمت بالتوتر والضيق ؛ لذلك قد أتى استخدامه لحرف : (الباء) متفقًا مع هذه الحالة بما حمله من شدة ؛ حيث أشاع في النص لونًا من الموسيقا الثائرة المتوترة .

ومن ذلك قوله (٣) :

إن هذا السعير يصهر رجسي وسيجلو للكون طلعة شمسي

---

(١) ديوان علي دمر ، ص (٩٣) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٣٤٨) .
(٣) المصدر السابق ، ص (٣٧٣) .

بالتأمل الدقيق سنلاحظ أن الشاعر قد ركز على حرف : (السين) ؛ إذ نراه في الروي ، وكذلك موزعًا في تضاعيف البيت . وحرف : (السين) لثوي مهموس احتكاكي ، وتكراره ضمن للبيت الانسجام الإيقاعي ، فشكل موسيقا خفية لا تكاد تسمعها حتى تتلقفها القلوب .

ومنه – أيضًا – قوله[1] :

تغربت أبغي السعد في كل بلدةٍ فلم أر في الأكوان للسعد موضعا
يفر أمامي كلما رمت صيده حثيثًا إلى الأنذال والبله مسرعا
وعاركت أيامي عراك مغامرٍ إلى أن نبا سيفي وجسمي تضعضعا

إن تكرار حرف : (العين) في هذه الأبيات حمل إيقاعًا حاد النبرة ، ثقيل النطق ، ويلفت نظري تكرار حرفي : (الميم والراء) الذي أضفى على الأبيات إيقاعًا متجانسًا ومطربًا ، وتكراره يدل على مدى توتر الشاعر وتأزمه ، وأما تكراره لكلمة (السعد) ، و (عاركت ، والعراك) يمثل الحال القلقة التي لم يزل فيها الشاعر .

وأما قوله [2] :

قولي بها لا تراعي واصهري كبدي بشعلةٍ من سعيرٍ من سعير الحب حمراء
فالحب أجمل ما في الكون قاطبةً سواه محض نفاياتٍ وأقذاء
لولاه نحن رمادٌ فالحياة به هي الحياة سواه رعب إفناء

فالشاعر يختم البيت بالألف الممدودة التي تدل على الانفتاح والبهجة والخفة ، وهو جرس يوحي بموسيقا داخلية تملأ نفس الشاعر ، وتعبر عن مدى سعادته وفرحته .

ونجد بعض النماذج التي تشتمل على نسبة لا بأس بها من الحروف العنيفة كـ (الخاء ، والقاف ، والجيم ، والضاد ، والصاد ، والطاء ، والظاء) ، وقد اجتمعت في نص واحد ،

(١) ديوان علي دمر ، ص (٣٧٥) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٢٧٥) .

وهذا يدل على أن الشاعر قد سخر الموسيقا القوية والعنيفة (١) :

عـــشت وحـــدي بـــلا أبٍ أرتجيـــه ... في ظـــلام الـــويلات والنكبـــات
أصـــرع اليـــأس في نـــضالٍ رهيـــبٍ ... وأدوس الحرمـــــان في خطـــــواتي
وبنفـــسي لـــو أنـــصفتني الليـــالي ... عـــالم النـــور مـــشرق الجنبـــات
تستفيق الأجيال فيـــه علـــى لحـــــ ... ـــــنٍ غريـــبٍ مخلـــد النغمـــات

لقد تكررت الأصوات العنيفة بحيث أسهم توظيفها في خدمة المعنى الشعري ، الـــذي يرمي إليه الشاعر المتمثل في الصراع مع الحياة ، وهذا يستدعي القوة والصلابة والتجلد .

والشاعر يسعى إلى إيجاد قيمة تعبيرية وتأثيرية في نصوصه من خلال الإيقاع الـــداخلي عن طريق تتبعه صيغًا معينة ، ويأتي هذا النسق نتيجة محاولته ربط الجزء بالكل (٢) ، فـــانظر إلى تتابع الأفعال في قوله (٣) :

يا ليت يأسًـــا بـــه أرتـــاح يهـــدمني ... يخبو لهيب طمـــوحي يخمـــد الأمـــل
ما زلـــت في وهـــم آمـــالٍ مخادعـــةٍ ... أسعى وأفـــشل منـــها شـــاربٌ ثمـــل
ولم أجـــد مـــن نهايـــاتٍ لمرتحلـــي ... كتـــائهين بـــصحراءٍ ومـــا وصـــلوا
المـــوت أعظـــم حـــلالٍ لمـــشكلتي ... أرتاح فيـــه وتـــشفى عنـــده العلـــل

فالنغم الإيقاعي في هذه الأبيات يتحقق من تلاحق الأفعال في صيغة المضارع . وصيغة النداء في بداية الأبيات ربطت بين الجمل الفعلية ، ونسجت منها إيقاعًا متماسكًا ، فإيقـــاع الأفعال في البيت الأول جاء مؤذنًا بتتابع خاص للأفعال في الأبيات الآتية بعده ؛ لـــذا نجـــد الأفعال : (أرتاح – يهدمني – يخبو – يخمد) وكأنها كانت تستلزم وراءها أفعالاً أخـــرى تفصل ما رسمته من صورة ، لذلك جاءت الأفعال في الأبيـــات اللاحقـــة تفـــسيرًا لتلـــك

(١) ديوان علي دمر ، ص (٣٦٢) .
(٢) انظر : الزمان والمكان وأثرهما في حياة الشاعر الجاهلي وشعره ، للدكتور : صلاح عبد الحافظ ، دار المعـــارف بالإسكندرية ، ١٩٨٣م ، (٢٤٧/٢ – ٢٤٨) .
(٣) ديوان علي دمر ، ص (٤٤٢ – ٤٤٣) .

الصورة ، وهذه الأفعال المتتابعة شكلت إيقاعًا ممتدًا أثرى الموسيقا الداخلية للأبيات . وإذا كانت وظيفة الموسيقا هي إثارة الانتباه وجذبه بقوة اتجاه التركيب ، فإن هذه الأفعال المتتابعة في صيغة واحدة جذبت انتباه المتلقي إلى الاستمرار في متابعتها عله يلتقي بصورة أخرى تخفي ما سبقها من صورة ، ومع هذا الاستمرار في المتابعة لا يشفع للمتلقي أن يلتقي الصورة التي كان ينتظرها ، لكنه يلتقي حلاً لتلك المعاناة التي رسمها الشاعر في الأبيات التي تسبق البيت الرابع ، وهذا الحل يخرجه الشاعر من وعاء يأسه ، وينزعه من حرز قلقه على أنني أجد في جملة : (أرتاح فيه) مؤشرًا لانتهاء البيت إلا إن جملة : (وتشفى عنده) جاءت لتؤكد تلك النظرة السوداوية التي رسمتها الجملة السابقة ، كذلك فإن بعض المحسنات البديعية قامت بتحقيق جزء هام من الإيقاع الداخلي للأبيات ، منها : الطباق في البيت الأول ، والترادف في البيت نفسه : (يخبو – يخمد) .

وهكذا نجد أن الدور الإيقاعي في الأبيات السابقة جاء في توزيع الجمل ، وهذا التوزيع يبرز إيقاعًا داخليًا ميزته الانتظام والتتابع ، وهذا الانتظام جاء عن طريق الالتزام بإيقاع تفعيلات محددة في كل بيت ، مع قافية موحدة ، وهذا النظام قد أقام بنية واحدة أسهمت على منح الأبيات قيمًا تعبيرية شاملة .

وتتعدد ألوان الإيقاع الداخلي في شعره عن طريق :

– **التصريع** : والأمثلة على ذلك كثيرة ، ومنها قوله [1] :

اطرب فقد طربت لك الأيام يا قلب هذا الكوكب البسام

وقوله [2] :

يظل شعري خفيًا غير منشورٍ لأنه لا يداجي أي مغرور

كما أنه – أيضًا – يصرع في غير البيت الأول ، إلا أن ذلك قليل في شعره ، ومن

(١) ديوان حنين الليالي ، ص (١٠١) .

(٢) ديوان علي دمر ، ص (١٣٧) .

ذلك قوله (١) :

تفـــاؤلي كـــان مـــشكاةً لأضـــوائي فعاد يأســـي يلغـــي كـــل أشـــيائي

فالبيت هو آخر بيت في النص .

– **رد العجز على الصدر** : والأمثلة على ذلك كثيرة منها قوله (٢) :

عمـــري يـــذوب علـــى الـــدرو ب أنـــــــا كأيـــــــامي أذوب

وقوله (٣) :

في دمـــائي يـــا نهـــر أنـــت تـــسير أينمـــا كنـــت في الحيـــاة أســـير

ومما ساعد على إنماء الموسيقا وزيادة الإيقاعات بين المقاطع والأوزان من ناحية ، وبين القافية ونوعها من ناحية أخرى ؛ ما كان يعمد إليه الشاعر من تزيين قصائده بـــألوان مـــن الإيقاعات الداخلية كما – مرَّ معنا في هذا المبحث ، أو ما مرَّ معنا في الفصل الثـــاني مـــن الباب الثاني – حينما تحدثت عن التراكيب في شعره .

(١) ديوان علي دمر ، ص (٣٥٧) .

(٢) المصدر السابق ، ص (٣٩٢) .

(٣) المصدر السابق ، ص (٤٦٩) .

الخاتمة

الخاتمة

أما بعد . .

فكان مرجوًا من هذا البحث – بعد هذه الرحلة الطويلة مع واحد من أعـــلام الأدب العربي المعاصر : الشاعر علي دمر – أن يحقق نتائج ذات قيمة علمية في مجال النقد الأدبي من خلال تقويم نتاجه .

ولعلي أحاول أن أرصد أهم النتائج التي توصلت إليها في النقاط التالية :

١- استطاع البحث أن يقدم صورة موثقة لحياة علي دمر ، بعد جهد في لَمِّ شـــتاتها من مصادر مختلفة .

٢- كشف البحث عن العوامل المؤثرة في شعر علي دمر .

٣- في الدراسة الموضوعية : رتبت الموضوعات حسب الكثـــرة ؛ فجـــاء الـــشعر الوجداني في مقدمتها ؛ وشمل شعر الحب والاغتـــراب والـــشكوى والوصـــف والرثاء ، ثم الشعر الاجتماعي المتمثل فيما قاله في أسرته ، وإخوانياته ، ثم الشعر السياسي ؛ وشمل ما قاله في معالجة القضايا الإسلامية والعربية والوطنية .

٤- كشف البحث عن عدد من التجارب التي مرَّ بها علي دمر مع المرأة والحـــب ؛ بدءًا بالحب الطفولي ، ثم البحث عن المرأة المجهولة ، فهو يتعامل مع المرأة تعاملاً عقليًا ووجدانيًا في آن واحد ؛ حيث يحمل عاطفة نقية مملوءة بالعفة ، بعيدة عن الإسفاف .

٥- اتضح في دراسة شعر الاغتراب والشكوى أن حزن الشاعر عميق ، فقد ألـــف الحزن منذ نعومة أظفاره ، ولم يبرح الألم منازله ، وظل ممتطيًا ظهـــر القلـــق ، يواصل الرحلة في صحراء الضياع ، ويلحظ أن جل قصائده تظهر فيها الـــروح التشاؤمية ، ويبدو فيها اليأس والإحباط اللذان لازماه طوال أيامه .

٦- تبين من خلال دراسة شعر الوصف أن الشاعر جعل منه مجالاً لخلع الهموم الذاتية على الكائنات ، تشاركه بعض تعبه ، وفرصة للتأمل ، وتوجيه النظر إلى قدرة الله - ﷻ - .

٧- تبين للباحث أن الرثاء كان قليلاً .

٨- ظهر - في دراسة القصيدة - أن الشاعر يميل إلى تمثل مطالع المحدثين ، وقد تنوعت خواتيمه ، وعني بالوحدة العضوية إلى حد كبير .

٩- تبين - في دراسة لغته - أن ألفاظه يغلب عليها صبغة الموروثات دون أن نصدر عليه حكماً بالتقليد أو الاتباع الكلي ، وإنما هي موروثات ثقافية ؛ حيث أشبع نفسه من الأدب العربي القديم ، مع ثبوت عدم معرفته باللغات الأجنبية الحديثة ، وألفاظه وتراكيبه موافقة لنظام النحو العربي ، وتجاوزاته اللغوية من الندرة بمكان .

١٠- أما صوره فهي معبرة عن نوع التجربة الشعرية ، فقد ركز على صورة الليل أكثر من صورة الصحراء ، كما أن البحر منه جد قريب ، وكثيرًا ما هرب إلى الموت .

١١- حافظ الشاعر على موروث أمته في موسيقا الشعر ، وقد أفاد من تجارب العصر الحديث لا سيما في الموسيقا الداخلية ؛ فقد كان بارعًا في بعض تجاربه .

هذا والله تعالى أسأل أن يبارك في هذا العمل وينفع به ، وأن يرحم الشاعر علي دمر .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الفهارس

وتشتمل على الفهارس الثالثة التالية :

١- فهرس الأعلام .

٢- فهرس المصادر والمراجع .

٣- فهرس المحتويات .

لـ فهرس الأعلام

العلـــــــم	الصفحة

حرف الألف

إبراهيم ناجي . . . . . ٤١ ، ٤٦

إبراهيم هاشم فلالي ٤١

أحمد آل حمراء . . . . . ١٠ ، ١١

أحمد الخاني . . . . . ٢٦ ، ٣٤

أحمد الديولي ٢٤

أحمد الغزاوي ١٥٧

أحمد بن صالح ١٠

حرف الباء

البارودي . . . . . ٢٣ ، ٤٦

البحتري . . . . . ١٢٠ ، ٢٠١

بدر الدين الحامد . . . . . ١٥ ، ١٦ ، ٢٠ ، ٢٩ ، ٤٠

بكري شيخ أمين . . . . . ٣١ ، ٣٢

حرف التاء

أبو تمام ٢٠١

حرف الجيم

جبران ٤٢

جرجي زيدان ٤٦

جماعة أبولو ٤٢

جمال عبد الناصر . . . . . ٣١ ، ٣١٠

حرف الحاء

الحاتمي ٢١٥

العلـــــم	الصفحة
الحطيئة	٢٨١
حرف الخاء	
خديجة الجندي	١١
خليل مطران	٢٠ ، ٤٢
حرف الراء	
رجا سمرين	٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ١٥٥
ابن رشيق القيرواني	٢١٥
رضا رجب	٣٥
رولان بارت	٢٠٤
حرف السين	
سعيد العاص	١٨٨
سعيد النعساني الوردي	١٦ ، ٢٠
سعيد قندقجي	١٥٥ ، ١٥٩
سليم بركات	١٥٧
سليمان المصري	١٥
حرف الشين	
شارلتون	٢٣٥
شفيق جبري	٢٠٧
شهاب الدين أحمد الاشبيهي	٤٦
شوقي	٢٠ ، ٤٦ ، ١٢٠
حرف الصاد	
صالح الكرو	١٧
حرف الطاء	
طرفة بن العبد	٤٦

العلـــــم	الصفحة
حرف العين	
ابن عبدربه	٤٦
عبد الرزاق الياسين	١٧
عبد الفتاح أبو مدين	٢٠ ، ٢١ ، ٣٢ ، ١٥٤ ، ١٥٥
عبده العساني	١١
عدنان قيطاز	١٤٩
العقاد	٤٢ ، ٢١٦
علي محمود طه	٤٢ ، ٤٦
عمر بهاء الدين الأميري	٣١٧
عمر بن يحيى	١٠
حرف الفاء	
أبو الفداء = إسماعيل بن علي بن محمود	١٧
فكتور هيجو	٤٦
فوزي القاوقجي = أبو مجدي	١٧٢ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠، ٢٢٧ ، ٢٧٤ ، ٢٧٨
حرف القاف	
أبو القاسم الشابي	٤٢ ، ٨٥
حرف الكاف	
كسرى	١٢٠
كمال نشأت	٤١
حرف الميم	
المازني	٤٢
مبارك بوبشيت	٢٤

العلـــــــم	الصفحة
محمد الحوماني	٤١
محمد عبد المنعم خفاجي	٢٠ ، ٢١ ، ٢٩
محمد عبد الوهاب	٣٠
محمد عدنان قيطاز	٢٣ ، ٣٤
محمد الفيتوري	٤١
محمد مندور	٢١٦
محمد منذر لطفي	٧١
محمد منير الجنباز	٣٤
محمود الشقفة	١٥ ، ٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٩
المنفلوطي	٤٢
حرف النون	
نزار قبَّاني	٣٠ ، ٣١ ، ٣١٠ ، ٣١١
حرف الياء	
ياسر فتوى	٢١ ، ٢٢ ، ٣٢
يوسف بن عبد اللطيف أبو سعد	٣٤

❖ ❖ ❖ ❖

٢ـ فهرس المصادر والمراجع

أولاً : المطبوعات العربية

حرف الألف

١- الإبداع في مضار الابتداع ، لعلي محفوظ ، طبع ونشر : دار المعرفة ، بيروت ، ؟/؟ .

٢- أبطال وأمجاد ، عدنان الداعوق ، سجل في تاريخ حمص الثوري ، عام ١٩٢٥م ، مطبعة الأندلس ، حمص ، ١/١٩٦٨م .

٣- الاتجاه الإنساني في الشعر المعاصر ، د. مفيد قميحة ، منشورات دار الآفاق الجديدة ببيروت ، ١٤٠١هـ .

٤- الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، د. عبد القادر القط ، دار النهضة العربية ببيروت ، ٢/١٤٠١هـ .

٥- الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث ، لأنيس المقدسي ، دار العلم للملايين ، ٧/١٩٨٢م .

٦- إتمام الأعلام (ذيل لكتاب الأعلام ، لخير الدين الزركلي) ، د. نزار أباظة ، ومحمد رياض المالح ، دار صادر ، بيروت ، ١/١٩٩٩م .

٧- الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد ، أ. د. إبراهيم الفوزان ، مكتبة الخانجي ، ١/١٤٠١هـ .

٨- الأدب الحديث تاريخ ودراسات ، د. محمد بن حسين ، دار عبد العزيز بن حسين للنشر والتوزيع ، ٦/١٤١٩هـ .

٩- الأدب العربي المعاصر في سورية ، لسامي كيَّال ، دار المعارف ، ٢/١٩٦٨م .

١٠- الأدب العربي المعاصر في مصر ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، ط (٩) .

١١- الأدب في التراث الصوفي ، د. محمد عبد المنعم خفاجي ، مكتبة غريب بالقاهرة ، ١٩٧٧م .

١٢- الأدب المقارن ، لحسن جاد حسن ، دار الطباعة المحمدية بالقاهرة ، ١٣٨٧/٢هـ .

١٣- الأدب ومذاهبه ، د. محمد مندور ، دار النهضة ، القاهرة ، مصر ، (د . ت) .

١٤- أسرار البلاغة في علم البيان ، لعبد القاهر الجرجاني ، بتعليق : محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ببيروت ، ١٩٧٨م .

١٥- الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة ، د. مصطفى سويف ، دار المعارف ، ١٩٨١/٤م .

١٦- أسس النقد الأدبي عند العرب ، د. أحمد أحمد بدوي ، دار نهضة مصر بالقاهرة ، ١٩٩٦م .

١٧- الأسلوب ، لأحمد الشايب ، النهضة المصرية بالقاهرة ، ١٩٦٦/٦م .

١٨- الأسلوبية والبيان العربي ، د. محمد عبد المنعم خفاجي وزميليه ، الدار المصرية اللبنانية بالقاهرة ، ٩٩٢/١م .

١٩- أصول النقد ، لأحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ، ١٩٧٣/٨م .

٢٠- أصول علم النفس ، د. أحمد عزت راجح ، دار القلم ببيروت ، ١/؟ .

٢١- الإطار الموسيقي للشعر - ملامحه وقضاياه - ، د. عبد العزيز نبوي ، دار الصدر بمصر ، ١٩٨٧/١م .

٢٢- الأعلام ، لخير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ببيروت ، ١٩٨٤/٦م .

٢٣- الاغتراب في حياة وشعر الشريف الرضي ، عزيز السيد جاسم ، دار الأندلس

للطباعة والنشر ببيروت ، (د . ت) .

٢٤- الاغتراب في القصيدة الجاهلية ، لمحمود هياجنة ، دار الكتاب الثقافي بعمان ، ١٤٢٦/١هـ .

٢٥- أنا والشعر ، شفيق جبري ، الشركة المتحدة للتوزيع بدمشق ، ١٤٠٦/١هـ .

٢٦- الإنسان والطبيعة في الشعر الجاهلي ، د. حسني عبد الجليل ، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز ، مصر ، ١٩٨٩/١م .

٢٧- أهدى سبيل إلى علم الخليل ، لمحمود مصطفى ، تحقيق : د. محمد أحمد قاسم ، المكتبة العصرية بيروت ، ١٤٢٢/١هـ .

حرف الباء

٢٨- بحوث في الأدب وعوامل نهضته ، د. إبراهيم الفوزان ، الشركة العربية للنشر والتوزيع ، ١٤١٨/١هـ .

٢٩- البناء الفني في شعر عمر بهاء الدين الأميري ، د. خالد الحليبي ، نادي الأحساء الأدبي بالأحساء ، ١٤٣٠/١هـ (٢٠٠٩م) .

٣٠- بناء القصيدة العربية ، د. يوسف بكار ، مطبعة دار نشر الثقافة بمصر ، ١٩٧٩م .

٣١- بناء القصيدة العربية الحديثة ، لعلي عشري زايد ، مكتبة دار العلوم بالقاهرة ، ١٩٧٨/١م .

٣٢- البنائية في النقد الأدبي ، د. صلاح فضل ، دار الآفاق الجديدة ببيروت ، ١٩٨٥/٣م .

٣٣- بين الفلسفة والأدب ، لعلي أدهم ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٧٤/١م .

حرف التاء

٣٤- تاريخ الشعر العربي الحديث ، د. أحمد قبش ، دار الجيل ببيروت .

٣٥- التاريخ اليهودي العام ، لصابر طعيمة ، دار الجيل ببيروت ، ١٩٩١/٣م .

٣٦- التحرير الأدبي ، دراسات نظرية ونماذج تطبيقية ، د. حسين علي محمد ، مكتبة العبيكان بالرياض ، ١٤٢٤/٤هـ .

٣٧- التفسير النفسي للأدب ، د. عز الدين إسماعيل ، مكتبة غريب بمصر ، ؟/٤ .

حرف الحاء

٣٨- الحب والغزل في الشعر السعودي المعاصر ، لمحمود رداوي ، دار الوطن للنشر بالرياض ، ١٤٠٢/١هـ .

٣٩- الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، د. بكري شيخ أمين ، دار العلم للملايين ببيروت ، ١٩٧٢/١م .

٤٠- حركة التجديد الشعري في المهجر بين النظرية والتطبيق ، للدكتور : عبد الحكيم بلبع ، الهيئة المصرية العليا للكتاب ، ١٩٨٠/١م .

٤١- حركة النقد الحديث والمعاصر ، د. إبراهيم الحاوي ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٤/١هـ .

٤٢- الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ، د. أحمد بدوي ، دار نهضة مصر للطبع والنشر بالقاهرة ، ١٩٧٩/٢م .

٤٣- الحياة العلمية والثقافية والفكرية في المنطقة الشرقية (١٣٥٠ - ١٣٨٠هـ) ، د. عبد الله السبيعي ، مطابع الشريف ، الدمام ، ١٤٠٩/٢هـ .

حرف الخاء

٤٤- خالد بن الوليد ، لمحمود عبد الحميد الكفري ، دار حوران للطباعة والنشر ، ٢٠٠٢/١م .

٤٥- الخصائص ، عثمان بن جني ، بتحقيق : محمد علي النجار ، دار الهدى ، بيروت ، (؟/٢) .

حرف الدال

٤٦- دراسات في الشعر العربي ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٦/٦م .

٤٧- دول الخليج العربية وعوامل نهضتها الثقافية الحديثة ، أ.د. إبراهيم الفوزان ، مطابع القصيم ، الرياض ، ١٤١٨/١هـ .

٤٨- ديوان إشراق الغروب ، لعلي دمر ، المطبعة الحديثة بحماة ، ١٣٩٨/١هـ .

٤٩- ديوان أوراق الخريف ، ندرة حداد ، نيويورك ، ١٩٤١م ، عن كتاب : حركة التجديد الشعري في المهجر ، للدكتور : عبد الحكيم بلبع .

٥٠- ديوان الحطيئة ، اعتنى به وشرحه : حمدو طماس ، دار المعارف ببيروت ، ٢٠٠٥/٢م .

٥١- ديوان حنين الليالي ، رابطة الأدب الحديث ، القاهرة ، مطبعة المنيرة بالأزهر ، ١٣٧٤/١هـ .

٥٢- ديوان رسائل محرجة إلى نزار قباني ، لعلي دمر ، المطبعة الحديثة بحماة ، ١٩٨١/١م .

٥٣- ديوان رعشات ، لعلي دمر ، المطبعة الحديثة بحماة ، ١٣٦٦/١هـ .

٥٤- ديوان الزحف المقدس ، لعمر بهاء الدين الأميري ، دار الضياء بعمان ، ١٤٠٩هـ .

٥٥- ديوان شعب الله المختار ، لعلي دمر ، مطبعة الإصلاح بحماة ، ١٤٠١/١هـ .

٥٦- ديوان شواطئ الحرمان ، ليوسف بن عبد اللطيف أبو سعد ، مطابع الجواد بالأحساء ، ١٤٠٨هـ .

٥٧- ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري ، عني به : مصطفى السقا وإبراهيم

الأبياري وعبد الحفيظ شلبي ، دار المعرفة ببيروت ، ١٣٩٧هـ .

٥٨- ديوان علي دُمَّر ، لعلي دُمَّر ، نادي جدة الأدبي ، ١٤٠٧/١هـ .

٥٩- ديوان عواصف على هضاب فلسطين ، مطبعة الإصلاح بحماة ، ١٣٦٨/١هـ .

٦٠- ديوان غيبوبة الحب ، دار مجلة الثقافة ، دمشق ، ١٣٨٨/١هـ .

٦١- ديوان أبي القاسم الشابي ورسائله ، تقديم وشرح : مجيد طراد ، دار الكتاب العربي ، ١٤٢٧/١هـ .

٦٢- ديوان كثير عزة ، شرح قدري مايو ، دار الجيل ببيروت ، ١٤١٦/١هـ .

٦٣- ديوان المجهولة ، لعلي دمر ، مطبعة الإصلاح بحماة ، ١٣٧٩/١هـ .

حرف الراء

٦٤- رجل الصناعتين - شفيق جبري - ، د. عبد الله بن سليم الرشيد ، مكتبة التوبة بالرياض ، ١٤١٥/١هـ .

حرف الزاء

٦٥- الزمان والمكان وأثرهما في حياة الشاعر الجاهلي وشعره ، د. صلاح عبد الحافظ ، دار المعارف بالإسكندرية ، ١٩٨٣م .

٦٦- زهر الآداب وثمر الألباب ، لإبراهيم الحصري ، بعناية : د. زكي مبارك ، دار الجيل ببيروت ، ١٩٧١/٤م .

حرف السين

٦٧- سر الفصاحة ، لابن سنان الخفاجي ، تحقيق : علي فوده ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ١٩٩٤/٢م .

٦٨- سورية ١٩١٨م - ١٩٦٨م ، د. جورج جبور ، دار الأبجدية بدمشق ، مطابع ألف باء الأديب ، دمشق ، ١٩٩٣/١م .

٦٩- سيد قطب حياته وأدبه ، لعبد الباقي محمد حسين ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع بالمنصورة ، ١٤٠٦/١هـ .

٧٠- سير أعلام النبلاء ، للذهبي لمحمد بن أحمد الذهبي ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ومحمد العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ١٤١٧/١١هـ .

٧١- سيوكلوجية المراهق ، د. إبراهيم قشقوش ، مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة ، مكتبة مصر عن دار مصر للطباعة ، ١٩٧٩/١م .

حرف الشين

٧٢- شعر بني عامر من الجاهلية حتى آخر العصر الأموي ، د. عبد الرحمن الوصيفي ، نادي المدينة المنورة الأدبي ، دار العلوم جدة .

٧٣- شعر سعدي يوسف دراسة تحليلية ، د. امتنان بنت عثمان الصمادي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت ، ٢٠٠١/١م .

٧٤- الشعر العربي في المهجر ، لمحمد عبد الغني حسن ، دار القلم بالكويت ، ١٣٩٦/٤هـ .

٧٥- الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ، د. عز الدين إسماعيل ، دار العودة ببيروت ، ١٩٨٨/٥م .

٧٦- شعر غازي القصيبي " دراسة فنية " ، د. محمد الصفراني ، مؤسسة اليمامة الصحفية ، ١٤٢٣/١هـ .

٧٧- الشعر المعاصر في ضوء النقد الحديث ، لمصطفى السحرتي ، مطبوعات تهامة بجدة ، ١٤٠٤/٢م .

٧٨- الشعر المعاصر في نجد ، د. حسن الهويمل ، مطابع الفرزدق بالرياض ، ١/١٤٠٤هـ .

٧٩- الشعر والنغم ، رجاء عيد ، مؤسسة كيلوبترا بالقاهرة ، ١٩٨٣م .

٨٠- شعراء البحرين في العصر الجاهلي ، لإسماعيل العالم ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٤م .

٨١- شعراء عبد القيس في العصر الجاهلي ، د. عبد الحميد المعيني ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٦م .

٨٢- شعراء عرفتهم ، أحمد الخاني ، مطابع المدينة ، ١٤٠٨هـ .

٨٣- شعراء مرحلة التقليد المتطوّر وشعرهم في المنطقة الشرقية ، أ.د. إبراهيم الفوزان ، مطابع القصيم ، الرياض ، ١/١٤١٨هـ .

٨٤- شعراء معاصرون ، د. إسماعيل أحمد أدهم ، دار المعارف بالقاهرة .

حرف الصاد

٨٥- الصورة الأدبية ، د. مصطفى ناصف ، دار الأندلس للطباعة والنشر ببيروت ، ١٩٨٣/٣م .

٨٦- الصورة بين البلاغة والنقد ، د. أحمد بسام ساعي ، دار المنار للطباعة والنشر بدمشق ، ١/١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

٨٧- الصورة الشعرية في النقد الحديث ، د. بسام نوفل ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، ١/٢٠٠٤م .

٨٨- الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث ، د. بشرى موسى صالح ، المركز الثقافي بيروت ، ١/١٩٩٤م .

٨٩- الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، لعبد القادر الرباعي ، جامعة اليرموك عمان ، ١٩٩٩/٢م .

حرف الضاد

٩٠- الضوء واللعبة استكناه نقدي لنزار قباني ، شاكر النابلسي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٦/١م .

حرف الطاء

٩١- طبيعة الشعر ، د. محمد العزب ، مطبعة الفجر الجديد ، مصر ، (د . ت) .

حرف العين

٩٢- علم العروض التطبيقي ، د. نايف معروف ، و د. عمر الأسعد ، دار النفائس ببيروت ، ١٤١٨/٣هـ .

٩٣- علي دمر شاعر الحب والغربة والحنين ، د. رجا سمرين ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، ١٩٩٩/١م .

٩٤- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، لأبي علي الحسن بن رشيق ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ببيروت ، ١٩٧٢/٤م .

٩٥- عمر بهاء الدين الأميري ، د. خالد الحليبي ، منشورات نادي جازان الأدبي ، ١٤٢٧/١هـ .

٩٦- عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، للدكتور : علي عشري زايد ، دار الفصحى للطباعة والنشر ، ١٩٧٧/١م .

٩٧- العنوان في الشعر السعودي بوصفه مظهرًا إبداعيًا ، بحث للدكتور : عبد الله بن سليم الرشيد ، نشر ضمن كتاب (عقدان من الإبداع الأدبي السعودي) ، نادي القصيم الأدبي ببريدة ، الكتاب (٦٥) ، ١٤٢٣/١هـ .

٩٨- عيار الشعر ، لمحمد بن أحمد طباطبا العلوي ، دار الكتب العلمية ببيروت ، شرح وتحقيق : عباس عبد الستار ، ١٤٠٢/٢هـ .

٩٩- العين ، للخليل بن أحمد الفراهيدي ، دار إحياء التراث العربي ببيروت ، (د . ط) .

حرف الفاء

١٠٠- فن الشعر ، لإحسان عباس ، دار الشروق بعمان ، ١٩٩٢م .

١٠١- في الأدب السعودي - رؤية داخلية - ، د. يوسف نوفل ، دار الأصالة الرياض ، ١٤٠٤/١هـ .

حرف القاف

١٠٢- قضايا الشعر المعاصر ، لنازك الملائكة ، دار العلم للملايين ببيروت ، ١٩٧٨/٥م .

١٠٣- قضايا النقد الأدبي المعاصر ، د. محمد زكي العشماوي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ببيروت .

حرف الكاف

١٠٤- كتاب إبراهيم هاشم فلالي ، د. خالد الدنياوي ، نادي جدة الأدبي ، ١٤٢١/١هـ .

١٠٥- كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ، لأبي هلال العسكري ، تحقيق : د. مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ببيروت ، ١٤٠٤هـ .

١٠٦- كتاب العالم الشهيد الشيخ محمود الشقفة : حياته وآثاره ، د. محمد رياض الخوام ، دار عمار للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠٠٤/١م .

حرف اللام

١٠٧- لغة الشعر العربي الحديث ، سعيد الورقي ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٨/١م .

حرف الميم

١٠٨- المثل السائر ، لضياء الدين ابن الأثير ، تقديم وتعليق : د. أحمد الحوفي ،

و د. بدوي طبانة ، دار نهضة مصر للطبع والنشر بالقاهرة .

١٠٩- مجددون ومجترون ، لمارون عبود ، دار الثقافة ببيروت ، ١٩٧٩/١م .

١١٠- المرصاد ، إبراهيم هاشم فلالي ، مطابع الفرزدق ، الرياض ، ١٤٠٠هـ .

١١١- مشكلات الطفولة والمراهقة ، د. ميخائيل إبراهيم أسعد ، دار الآفاق الجديدة ببيروت ، ١٤٠٥/٢هـ .

١١٢- مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني ، لبكري شيخ أمين ، دار العلم للملايين ، ١٩٨٦/٤م .

١١٣- معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين ، مؤسسة جائزة عبد العزيز البابطين للإبداع ، ١٩٩٥م .

١١٤- المعجم المفصل في اللغة والأدب ، د. إميل بديع يعقوب ، و د. ميشال عاصي ، دار العلم للملايين ببيروت ، ١٩٨٧/١م .

١١٥- مفاهيم الشعرية (دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم) ، لحسن ناظم ، المركز الثقافي العربي ببيروت ، ١٩٩٤م .

١١٦- مفهوم الشعر ، د. جابر عصفور ، دار الثقافة للطباعة والنشر بالقاهرة ، ١٩٧٨م .

١١٧- مقدمة في الشعر العربي ، لعلي أحمد سعيد (أدونيس) ، دار العودة ببيروت ، ١٩٨٣/٤م .

١١٨- مكة في شعر حسين عرب ، أ. د. محمود بن إسماعيل بن عمار ، نادي الطائف الأدبي ، ١٤٢٥/١هـ .

١١٩- منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، لحازم القرطاجني ، بتحقيق : محمد الحبيب بن الخوجة ، دار الغرب الإسلامي ببيروت ، ١٩٨٦/٣م .

١٢٠- المؤامرة الكبرى ، د. يوسف نوفل ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، ٢٠٠١/١م .

١٢١- موسيقا الشعر ، د. إبراهيم أنيس ، ؟ ، ١٩٨١/٥م .

حرف النون

١٢٢- نظرات في أصول الأدب والنقد ، د. بدوي طبانة . شركة مكتبات عكاظ بجدة ، ١٤٠٣هـ .

١٢٣- النقد الأدبي ، لأحمد أمين ، دار الكتاب العربي ببيروت ، ١٣٨٧هـ .

١٢٤- النقد الأدبي الحديث ، د. محمد غنيمي هلال ، دار الثقافة ببيروت ، ١٩٧٣م .

١٢٥- نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، تحقيق : كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ١٩٧٩/٣م .

١٢٦- النقد والنقاد المعاصرون ، د. محمد مندور ، نهضة مصر للطباعة والنشر ، ؟/٢٠٠٢م .

١٢٧- النمو النفسي للطفل والمراهق ونظريات الشخصية ، د. محمد مصطفى زيدان ، دار الشروق بجدة ، ١٤٠٦/٢هـ .

حرف الواو

١٢٨- الوساطة بين المتنبي وخصومه ، لعلي الجرجاني ، تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ١/؟ .

١٢٩- وقفات على الاتجاه الإسلامي في الشعر العربي ، د. عبد العزيز الفيصل ، مطابع الفرزدق بالرياض ، ١٤١٤/١هـ .

ثانيًا : المطبوعات المترجمة :

١٣٠- الشعور اختيار ينبع من الذات ، د. جاري مكاي ، و د. دون دينكماير ، مكتبة جرير ، ٢٠٠٥م .

١٣١- ضرورة الفن لآرنست ، ترجمة : أسعد حليم ، الهيئة المصرية للتأليف والنشر ، ١/١٩٧١م .

١٣٢- نظرية الأدب ، رينيه ويليك وأوستن دارين ، ترجمة : محيي الدين صبحي ، مراجعة : د. حسام الخطيب ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت ، ١٩٨٧م .

١٣٣- الولايات المتحدة وسياسة السيطرة على العالم ، لبيير سالنجر ، ترجمة : د. حامد فرزات ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، ١/٢٠٠١م .

١٣٤- اليهودي العالمي ، لهنري فورد ، بترجمة : خيري حماد ، دار طلاس للدراسات والنشر ، ١٩٩١م .

ثالثًا : المخطوطات والأشرطة :

أ- المخطوطات :

١٣٥- الاتجاه الإسلامي في الشعر الحديث في الشام ، د. محمد نوري بكار (رسالة دكتوراه مخطوط) ، جامعة الأزهر .

١٣٦- الاتجاه الرومانسي في شعر يوسف أبي سعد ، لفوزية الرويشد ، (رسالة ماجستير مخطوط) ، جامعة الملك فيصل ، ١٤٢١هـ .

١٣٧- ديوان رباعيات علي دمر ، لعلي دمر ، (مخطوط) محفوظ لدى أسرة الشاعر .

١٣٨- ديوان صفحات من حياتي ، لعلي دمر ، (مخطوط) محفوظ لدى أسرة الشاعر .

١٣٩- ديوان عالم الأسرة ، لعلي دمر ، (مخطوط) محفوظ في منزل أسرة الشاعر .

١٤٠- لوحات من حياتي ، لعلي دمر ، (مخطوط) محفوظ لدى أسرة الشاعر .

١٤١- مذكرة عن السنوات الأولى من حياة علي دُمَّر ، لعلي دُمَّر ، (مخطوطة) محفوظة

لدى الأستاذ : أحمد الديولي .

١٤٢- ملامح عمري ، لعلي دُمَّر ، (مخطوطة) محفوظة لدى أسرة الشاعر .

١٤٣- ملامح من حياتي ، لعلي دُمَّر ، (مخطوط) محفوظ لدى أسرة الشاعر .

ب- الأشرطة :

١٤٤- أشرطة حفل التأبين الذي أُقيم لتأبين الشاعر في ١٤/٥/١٩٨٥م ، (مجموعة أشرطة لدي نسخة منها) .

رابعًا : المصادر الصحفية :

١٤٥- صور مصرية ، لشفيق جبري ، مقال ، مجلة الحديث ، يونيو ١٩٣٤م .

١٤٦- العنونة في شعر غازي القصيبي ، مقال ، د. حسناء عبد العزيز ، جريدة الرياض ، العدد : (١٥١٧٥) ، ١٠/١/١٤٣١هـ .

١٤٧- عودة اللاجئين إلى ديارهم حق مقدس ، مقال ، د. واصل أبي يوسف ، جريدة حق العودة ، العدد (٢٨) ، أكتوبر ٢٠٠٤م .

١٤٨- قراءة هرمنيوطيقية للصورة الفنية في شعر علي دمر ، مقال ، د. نبيل قصاب باشي ، جريدة الفداء ، العدد (١٤٧٠٥) ، ٥/٧/٢٠٠٩م .

١٤٩- المجلة العربية ، العدد (٣١٨) ، رجب ١٤٢٤هـ (سبتمبر ٢٠٠٣م) .

١٥٠- مجلة المنهل لشهر رجب ١٣٧٩هـ .

١٥١- مسافر وزاده الشعر ، مقال ، أ. طاهر زينو ، جريدة الثورة ، العدد (١٣٦٠٥) ، ٥/٥/٢٠٠٨م .

١٥٢- ناح الحمام ، ليوسف أبي سعيد ، قصيدة منشورة في جريدة الجزيرة ، الاثنين ٢١ شعبان ١٤٢٨هـ . العدد : (٢١٤) ، المجلة الثقافية .

١٥٣- النهضة النسائية : من مقال بعنوان : (الشعر والعلم) ، فبراير ١٩٢٥م ، العدد (٢) . منقول من كتاب : سيد قطب حياته وأدبه .

خامسًا : المقابلات الشخصية والهاتفية :

١٥٤- مقابلة مع الأستاذ : أحمد بن إبراهيم الديولي .

١٥٥- مقابلة مع الأستاذ : مبارك بن إبراهيم أبوبشيت .

١٥٦- مكالمة هاتفية مع الأستاذ : رضا بلال رجب .

١٥٧- مكالمة هاتفية مع الأستاذ : محمد عدنان قيطاز .

سادسًا : مراجع أخرى :

١٥٨- مجموعة من الأوراق بعث بها إلى الباحث الأستاذ : أحمد الديولي ، كتبها عن الشاعر : علي دُمَّر ، وعددها (٩) ورقات .

١٥٩- مجموعة من الأوراق بعث بها إلى الباحث الأستاذ : عدنان قيطاز للباحث .

١٦٠- مجموعة من الأوراق بعث بها إلى الباحث الأستاذ : مبارك بوبشيت كتبها عن الشاعر : علي دمر وعددها (٥) ورقات .

١٦١- مجموعة من الأوراق بعث بها إلى الباحث الأستاذ : محمد عدنان قيطاز كتبها عن الشاعر : علي دُمَّر ، وعددها (٨) ورقات .

❖ ❖ ❖ ❖

٣ـ فهرس المحتويات

المحتوى	الصفحة
المقدمة	٣
التمهيد	٩
١- حياة علي دُمَّر	١٠
أ- اسمه ونسبه	١٠
ب- مولده ونشأته	١٢
ج- تعليمه	١٦
د- رحلاته	١٨
هـ- صلاته برجال عصره	١٩
و- صفاته	٢٥
١- صفاته الخَلْقية	٢٥
٢- صفاته الخُلُقية	٢٥
ز- عمله	٢٦
١- التعليم في سوريا	٢٧
٢- الإمامة والخطابة	٢٧
٣- التعليم خارج سوريا	٢٧
ح- آثاره	٢٨
ط- وفاته	٣٣
٢- العوامل المؤثرة في شعره	٣٦
أ- الموهبة	٣٧
ب- المناخ السياسي	٣٩
ج- اتصاله ببيئات مختلفة	٤٠
د- الطبيعة	٤٣

المحتوى	الصفحة
هـ- مطالعاته وتثقيفه نفسه	٤٥
و- رغبته في الظهور	٤٧
ز- عوامل أخرى	٤٨
الباب الأول : موضوعات شعره	٥٢
الفصل الأول : الشعر الوجداني	٥٣
المبحث الأول : شعر الحب	٥٤
المبحث الثاني : شعر الاغتراب والشكوى	٧٧
المبحث الثالث : شعر الوصف	١٠٨
المبحث الرابع : شعر الرثاء	١٢١
الفصل الثاني : الشعر الاجتماعي	١٣٢
المبحث الأول : شعر الأسرة	١٣٣
المبحث الثاني : شعر الإخوانيات	١٥٣
الفصل الثالث : الشعر السياسي	١٦١
المبحث الأول : شعر القضايا الإسلامية والعربية	١٦٢
المبحث الثاني : شعر القضايا الوطنية	١٨٦
الباب الثاني : سماته الفنية	١٩٩
الفصل الأول : هيكل القصيدة	٢٠٠
المبحث الأول : العنوان	٢٠١
المبحث الثاني : المطلع	٢٠٧
المبحث الثالث : الوحدة	٢١٥
المبحث الرابع : المقطع	٢٢١
الفصل الثاني : اللغة	٢٣٤
المبحث الأول : الألفاظ	٢٣٦
المبحث الثاني : التركيب	٢٥٢

المحتوى	الصفحة
الفصل الثالث : الصورة الشعرية	٢٧٠
المبحث الأول : مصادر الصورة	٢٧٣
١- الإنسان	٢٧٣
٢- مشاهد الطبيعة	٢٧٥
٣- تكوينه الثقافي	٢٧٩
المبحث الثاني : أنواع الصورة	٢٨٣
أولاً : الصورة البسيطة (المفردة)	٢٨٣
أ- تراسل الحواس	٢٨٣
ب- التشبيه والوصف المباشر	٢٨٤
ج- تبادل المدركات	٢٨٦
ثانيًا : الصورة المركبة (الكلية)	٢٨٨
أ- التوليد	٢٨٨
ب- التراكم	٢٩٠
ج- الصورة المشهد	٢٩٠
د- الصورة الكونية	٢٩١
المبحث الثالث : وظائف الصورة ودلالتها	٢٩٣
الفصل الرابع : الموسيقا الشعرية	٣٠٤
المبحث الأول : الموسيقا الخارجية (الوزن والقافية)	٣٠٦
١- الوزن	٣٠٦
٢- القافية	٣١٢
المبحث الثاني : الموسيقا الداخلية	٣١٩
الخاتمة	٣٢٧
الفهارس	٣٣٠
١- فهرس الأعلام	٣٣١

المحتوى	الصفحة
٢- فهرس المصادر والمراجع	٣٣٥
٣- فهرس المحتويات	٣٥٠

❖ ❖ ❖ ❖